



مجلة رهانك

عدد 52 . 2020

محتويات العدد

2
2
4
4
14
26
41
46
54
66
82
82
92
92
104
104
122
130
130
131
132
132

افتتاحية العدد

• المغرب ومخاضات الجائحة

ملف العدد : المغرب و مخاضات الجائحة

- أطفال الشارع في ظل جائحة كورونا - جعفر الباز
- السلطة وآليات التدبير في مواجهة الجائحة (Covid 19) - عبد الوهاب الراجي
- النظام الدولي ما بعد كورونا... أية سيناريوهات؟؟؟ - آمال بن براهيم / إسماعيل الرزاوي
- مدارات الهيمنة: بلاغة الليبرالية - عبد الله العثماني
- تأثير الجوائح الطبيعية على إصلاحات العهد السعودي خلال القرن 16 م - سعد الخالقي
- الأنثروبولوجيا: وقع الجائحة ومآلات الخطاب السياسي - عبدالإله الكلخة
- خطاب القيم في زمن الوباء واستراتيجيات التنمية الإنسانية - إبراهيم الخمليشي

حوار العدد

• ادريس بنسعيد الباحث في علم الاجتماع في حوار خاص حول تداعيات مغرب ما بعد الجائحة

ترجمات

• سوسيولوجيا الخطورة والأزمات الصحية: أضواء على وباء فيروس كورونا - عبد العالي صابر

دراسات

- الشباب و علم الاجتماع في تونس - هيام التركي
- دور الحركات الاجتماعية الاحتجاجية في الانتقال الديمقراطي بالبلدان العربية: دراسة للجزائر والسودان - الحافظ النويني

إبداعات

- لا نصدقك ! - محمد الشاوي
- تمائم الهجرة - عبد الله العثماني

قراءات

• جييك يكشف معابنه العميقة ومفارقاته وفوضاه في كتاب جديد: "وباء كورونا.. هل يرح العالم فعلا؟" - محمد جليل

شروط النشر في مجلة رهانات

1. المجلة لا تنشر بحثا سبق نشرها أو أنها معروضة للنشر في مكان آخر.
2. ضرورة اعتماد الأصول العلمية المتعارف عليها في كتابة الأبحاث و خاصة فيها يتعلق بالتوثيق و الإشارة إلى المصادر و المراجع.
3. يجب ألا يتجاوز عدد كلمات الدراسة 3000 كلمة.
4. على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن سيرته العلمية، إلى جانب صورته الشخصية.
5. البحوث و الدراسات التي تقترح هيئة التحرير إجراء تعديلات عليها أو إضافات إليها تعاد إلى أصحابها لإجراء التعديلات المطلوبة قبل نشرها.

مجلة رهانك

مجلة فكرية ثقافية فصلية جامعة تصدر عن
مركز الدراسات والأبحاث الإنسانية - مدى
ملف الصحافة: 45 ص 05
رقم الإيداع القانوني 142-2006

عنوان المراسلة:

مركز الدراسات و الأبحاث الإنسانية
29 زنتة عمر السلاوي - الدار البيضاء
الهاتف: 05 22 22 42 27
rihanatmada98@gmail.com
www.madacenter.ma

المدير

المختار بنعبدلاوي

رئيس التحرير

زكرياء أكضيض

أعضاء هيئة التحرير

محمد جليل

حياة الدرعي

محمد لهبوز

عبد الإله الكلخة

عبد العالي صابر

عبد اللطيف الحاجي

عبد الرزاق بلال

الغلاف و الإخراج الفني

محمد أمين نجمي

الطبع

VIVA PRINT

VIVA print

0522505696

التوزيع

سايريس - الدار البيضاء

جميع الآراء الواردة في هذه

المجلة تعبر عن وجهة

نظر أصحابها و لا تعكس

بالضرورة رأي المجلة

افتتامية المدد

مغرب ما بعد الجائحة

المختار بنعبدلاوي

استنزاف موارد الأرض بصورة تهدد توازن العالم، بما يجعل تدخل الطبيعة عبر ظواهرها وأدواتها حيويًا لإعادة الانسجام إلى هذا العالم، وضمان قدرته على البقاء.

نجدلانتفاضة الطبيعة هذه جذورا حتى في الأساطير القديمة، ففي ملحمة غلغامش؛ عندما طغا الإنسان وتجر وأصدر ضجيجا أصبح يقض مضاجع الآلهة ويحرمهم من نعمة النوم، اجتمعت هذه الأخيرة وقررت أن تسلط عليه سلسلة من الجوائح لكي تذكره بحجمه الطبيعي. أما عند الإغريق فتتناوبحالتا النظام Cosmos واللانظام Chaos لكي تتحقق الاستمرارية ضمن الصيرورة في هذا العالم، وعند هؤلاء فقد أخذت الآلهة قرار خلق الإنسان ليس فقط لأن ساكنة الأومب أحست بالرتابة والملل ما جعلها تقرر خلق الإنسان لإثارة بعض التسلية، ولكن لأنالجدید لا يمكن أن يقوم إلا على رفات القديم،تماما كما يخرج الحي من الميت!

حتى نعود إلى شجون عالمنا المعاصر تحت عصف الوباء، فإن ما يمكن مناقشته ليس ما ورائيات هذه الظاهرة بل تداعياتها وانعكاساتها؛ وبغض النظر عن التوازن الذي أصبح مفقودا بين الإنسان والطبيعة، فإن السياسات العمومية التي أصبحت تميز عالمنا المعاصر ما فتئت تقطع حبال العلاقة مع تراثها الكينزي المحتشم Keynesian Theory...فمنذ نهاية السبعينيات بدأنا نلحظ تراجع السياسات الاجتماعية في أوروبا، انطلاقا من التاتشيرية Thatcherism التي أصبحت التيار الليبرالي المهيمن، وصولا إلى تكريس تقليد توجيه التنمية الاقتصادية في السياسات العمومية باتجاه استعمال آليات تخفيف

لا مرء في أن جائحة كوفيد 19 وضعت العالم بأكمله أمام تحد هائل، فلم يواجه البشر حتى هذا اليوم وباء بقوة انتشار وكثافة هذا الوباء (امتداده الكوني في زمن قياسي). ولعل المزحة السوداء في حالتنا اليوم أن الإنسانية وقعت في فخ أحد أشد الفيروسات فتكا في الوقت الذي هي فيه في أعلى حالات الانتشاء بانتصارات التقانات الجديدة وثورة المعلومات، والذي كانت فيه التأملات الفلسفية والأخلاقية قد بدأت التنظير بالفعل لزمن ما بعد الإنسان Post-humanism حيث أفضى كشف الموروث الجيني للإنسان، والتطور الهائل عملياتالترقيع الجينيGenetic grafts وزراعة الأعضاء Or-gan transplantation وتقانة الصغائر Nanotechnology إلى ولادة مثال "الإنسان الأمثل" بمهارات خارقة، وكل مواصفات المناعة بما يمكن أن يرفع متوسط عمره الافتراضي إلى ما يتجاوز القرون الثلاثة.

مع ذلك؛ وأمام هول الجائحة، والإحساس الهائل بالعجز إزاءها، تراجع الغرور العلمي لفلسفة ما بعد الإنسانلي يجبرنا على العودة إلى مراجعة ما أورده أحد منظري الاقتصاد السياسي الإنجليزي، منذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، هو توماس مالتوسThomas Malthus الذي طرح فكرة قدرة الطبيعة على التدخل كلما اختل التوازن بينها وبين الإنسان لكي تعيد هذا التوازن عبر وسائل الحروب والمجاعات والأوبئة. بحسب مالتوس؛ يؤدي التزايد السكاني، بالإضافة إلى تضخم الثروات وجموح الاستهلاك إلى



والتعليم والرعاية أو عن حقه في التفكير والتعبير والمبادرة؛ هذا إذا كان يعيش خارج ما نسميه بدول العالم الثالث، التي خلُق المواطن فيها لكي يتحمل جميع الأوزار دون أن ينعم بأي من الإيجابيات! فهل تقدم كوفيد 19 الدرس الذي يحتاجه هذا العالم؟ للأسف إن من يرصد تهليل الفضائيات من هنا وهناك، والنكهة القوية للشعبوية في الخطابات الانتخابية يستنتج أن قوة الوباء الضاربة لم تقدم الدرس المطلوب بقدر ما فتحت شهية السياسيين لإركوب الموجة، ورأس المال الجشع إلى الاستثمار في حق الحياة، كما منحت الدول الكبرى فرصة جديدة لتوسيع مجال نفوذها داخل دائرة البؤس الإنساني.

من هذا الموقع؛ لا يمكننا النظر إلى المغرب خارج ما يجري في هذا العالم؛ وإذا كان هناك من نقاش عمومي قبل الجائحة حول توفير حد أدنى من الدخل، لا سيما بالنسبة للشباب الذين هم في طور البحث عن عمل، وتعميم نظام التغطية الصحية، ومراجعة وتقييم برامج التنمية البشرية، وإصلاح التعليم... فلربما أن تجربة الجائحة أكدت على هذه الأولويات نفسها التي يجب أن توجه السياسات العمومية، وهي أولويات تكاد تكون قد أصبحت بديهية تتطلب ضرورة إعطاء الأولوية للسياسات الاجتماعية، وترشيد النفقات العمومية، وربط المسؤولية بالنجاعة والمحاسبة، وتحرير المجال الإعلامي، وجعله في خدمة قضايا تنمية المواطنة وتوسيع دائرة المشاركة في القرار، بالصورة التي تحقق انتقالاً هادئاً ومتوازناً يضمن تحقق التوازي الضروري بين المطالب الاجتماعية والتنمية المنشودة. ■

العبء الضريبي على الشركات، ودعم تنافسيتها بالحوافز والإعفاءات، وتشذيب ضمانات الوجه الانتاجي الاجتماعي في نظام العمل، سواء تعلق الأمر بالأجور أو الضمانات الاجتماعية، وحتى فيما يخص الالتزامات الدستورية للدول فيما يخص حقوق المواطن في العمل والصحة والتعليم.

أكثر من هذا؛ انبثق عن الليبرالية نفسها خطاب شعبي صاعد يستثمر أكثر الغرائز بدائية في الإنسان من أجل الربح والسلطة، ويفتح الباب أمام عودة الشوفينيات التي تصورت الإنسانية أنها قطعت معها مع نهاية الحرب العالمية، ويفتح الباب على مصراعيه أمام عودة المجاعات والأوبئة والحروب بسبب احتكار الثروة، وسوء توزيعها، وتفاقم الفوارق بين الدول الفقيرة والغنية، واستنزاف الطبيعة بصورة أنانية، قصيرة النظر، تلقي عرض الحائط بكل المكاسب الكونية التي تحققت منذ القرنين الثامن والتاسع عشر.

هذا التقاطب الكبير الذي نجده بين الدول الغنية والفقيرة، نلفاه بدوره على مستوى الفوارق الطبقيّة على مستوى كل دولة. إن الموجات الوبائية الدورية هي إحدى مقومات الوجود الطبيعي الذي قد تفاقمه ظواهر التلوث والتغيرات المناخية، التي لا مندوحة منها للإنسان؛ لكن ما لا يعقل هو أن يموت مواطنون في دول غنية ومتقدمة في الشوارع أو منزوين في بيوتهم فقط لأنهم لا يتوفرون على تأمين صحي أو لأن الطاقة الاستيعابية للمشافي لا تستجيب للحالات المتزايدة؛ إذ ليس من المنطقي ألا تتوفر الدول التي تتوفر على ميزانيات حربية هائلة، وعلى ترسانات نووية واحتياطات استراتيجية ضخمة، على مشافي ميدانية وأسرة كافية لحماية المواطن الذي وُجدت هذه السلطة أصلاً لخدمته.

إن المُحرزن المضحك في جائحة كورونا أن الدول التي توصف بالتحكمية هي من حقق بعض النجاح، ولو النسبي في احتواء الظاهرة، وأن الدول التي ينعم فيها المواطن بـ "الحرية" هي التي تجاهلت حقه في الصحة أو في الحياة، وكأن "المواطن العالمي" المسكين عليه إما أن يتنازل عن الحق في الصحة



ملف المدد

أطفال الشارع في ظل جائحة كورونا

جعفر الباز
باحث في باحث في تواصل

في مدلول المفهوم ودلالة الوضعية الاجتماعية

في سنة 1993 عرفت منظمة اليونسيف الأطفال في وضعية الشارع بأنهم الأطفال الذين يعيشون في الشارع، ورغم قضائهم أغلب اليوم وبعض الليالي فيه، فهم مايزالون على علاقة بأسرهم. أما هيئة الأمم المتحدة، فقد عرفت الطفل في وضعية الشارع بأنه أي طفل، بنتا أو ولدا، أصبح الشارع سكنه ومصدر رزقه الأساسي، ويفتقد للحماية والتوجيه. في حين يذهب بعض العاملين في حقل رعاية الطفولة إلى التمييز بين فئتين من الأطفال في الشارع: الأطفال الذين يعيشون في الشارع أي الذين يتصف وجودهم في الشارع بالاستمرارية. والأطفال الذين يعيشون على الشارع، الذين يمارسون مهنا في الشارع ولكنهم في الوقت نفسه على اتصال بأسرهم و يقضون جزءا من اليوم في سكن يجمعهم مع الأسرة.

ونظرا لشمولية المفهوم، فمن الباحثين من عرف الأطفال في وضعية الشارع من منظور وضعيتهم الاجتماعية ومعاناتهم

وضعية الشارع، فعلى الرغم من خطورة الوباء وسرعة انتقاله لم تستطع هذه العينة من الأطفال العيش والتعايش والالتزام بأداب السلوك كأهمية غسل اليدين بشكل مستمر، وأهمية وضع مسافة الآمان فيما بينهم، وارتداء الكمامات، مازالوا لايبالون بالقواعد الاحترازية ولا بقواعد النظافة، مازالون يعيشون في البؤر السوداء، ينامون بشكل جماعي، يتصافحون ، يتقاسمون الأزمة بشكل وظيفي.

تعد إشكالية الأطفال في وضعية الشارع إشكالية اجتماعية متغيرة زمانيا ومكانيا، ظاهرة تتميز بخصوصيات مجالية، اقتصادية، ثقافية متجددة. وحتى يستطيع العاملون الاجتماعيون مسايرة هذا التغيير والتجديد، بات من اللازم تشخيص الوضعية ورصد خصوصيات البؤر السوداء، وتحليل سلوكياتهم ودراسة أنشطتهم الذهنية والفكرية، خصوصا ونحن نعلم أن الطفل في وضعية الشارع يعيش خارج إطار الحماية.

مدخل عام

في ظل الأوضاع التي يعيشها العالم بسبب وباء كورونا المستجد، اتخذ المغرب كغيره من الدول مجموعة من الاجراءات الاحترازية من أجل مواجهة هذا الوباء ومحاصرة عدم انتشاره بين المواطنين، في السياق ذاته أوضحت وزيرة التضامن والتنمية والمساواة والأسرة، أن الوزارة وضعت خطة لحماية الطفولة تسعى الى توفير سلة من الخدمات الاستعجالية لاسيما منها الموجهة للأطفال بمؤسسات الرعاية الاجتماعية والأطفال في وضعية الشارع، تشمل تعزيز خدمات القرب من خلال ايواء الفئات الاجتماعية بدوم مأوى وإدماج آخرين إلى أسرهم.

في خضم هذا المشكل الوبائي، لم يتغير شيء في حياة الأطفال في وضعية الشارع، وفي نظرهم الى المستقبل والصحة، فالملاحظ أن واقعة الحجر الصحي نجمت عنه العديد من التغييرات على مستوى الثمالات الاجتماعية والممارسات اليومية بالنسبة للأطفال في

ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

وشمال إفريقيا 2006، أن مصطلح الأطفال في وضعية الشارع يعد مصطلحا إشكاليا، نظرا لإمكانية استعماله كتصنيف للوصم Stigmatize. والوصم علامة تميز الفرد، فالسلوك والملابس وطريقة الكلام والمظهر والأمراض والإعاقة أشياء تقولب إما إيجابيا أو سلبيا. وتشير القوالب السلبية إلى دونية الفرد وإلى خطورته: فالصفات السلبية هي التي توظف في بناء الوصمة.

ويمكن لتلك الصفات أن تكون حقيقية أو وهمية، بمعنى أنها تفترض في الفرد من صيرورته الخارجية. ويمكن الوصم من اختزال شخصية الطفل في وضعية الشارع في الصفة السلبية، بحيث تصبح تصرفاته السلبية هي المحدد الأساسي لشخصيته. وفي هذه الحال

عن الطفل في الشارع بأنه كل طفل قاصر، أصبح الشارع له محلا لإقامته المعتاد، ولا يجد حماية كافية.

من خلال التعريفات المشار إليها أعلاه، نستنتج أن الأطفال في وضعية الشارع لا تستطيع أسرهم تلبية حاجاتهم الأساسية، سواء المادية كالغذاء والملبس والمأوى، والحاجات النفسية كالأمن والاطمئنان، أو حاجات التفتح العقلي مثل التعليم. ونضيف أن الطفل في وضعية الشارع هو كل طفل، ذكرا كان أم أنثى، يقل عمره عن 18 سنة، يقضي معظم وقته في الشارع، يعيش ظروفًا قاسية ويعاني فراغا عاطفيا. وقد ورد في تقرير "وضع الأطفال في العالم" الصادر عن مكتب اليونسيف الإقليمي للشرق الأوسط

النفسية. ومنهم من يرى أن الطفل في وضعية الشارع هو ذلك الطفل الذي عجزت أسرته عن تلبية حاجاته الأساسية، النفسية والاجتماعية، مما دفعه إلى البحث عن فضاء آخر، يمارس فيه حريته ويشبع حاجاته الأساسية. أما الطرف الثالث من الباحثين فقد أعطوا تعريفا وسطا، واعتبروا الطفل في وضعية الشارع هو ذلك الطفل - ذكرا كان أو أنثى- من يقل عمره عن 18 سنة، يعيش وينام ويأكل ويلعب في الشارع.

ومن الأطفال من لا يعمل، وآخرون يعملون في الشارع بشكل غير رسمي وغير مرخص له، أما من جهة علاقاتهم بأسرهم فهي إما منتظمة أو منقطعة. وفي نفس السياق قدم الدكتور محمد الدريج تعريفا



المراحل؛ ففي المرحلة الأولى يخفي الطفل خوفه باللجوء إلى اللغة الحركية في التعامل مع الآخرين، هذا السلوك نشأه بشكل كبير في البؤر السوداء التي يقيم فيها الأطفال في وضعية الشارع. حيث يبدأ العنف كلامياً قبل أن يتحول إلى عنف فعلي. والسبب يرجع إلى الإفلاس الذي تعاني منه هذه الشريحة الاجتماعية على مستوى الذخيرة اللغوية.

مع مرور الوقت، يرتكب الطفل في وضعية الشارع مجموعة من الأفعال الجانحة التي من شأنها أن تخرجه من دوامة الإقصاء وتعطي لوجوده معنى. حينئذ يعرض شعوره بالملل والرتابة بارتكاب أفعال السرقة والعنف والعدوان... كما يلجأ إلى ارتكاب تصرفات مجانية، كالتخريب.....

إن هذه النزعات التدميرية لدى الطفل في وضعية الشارع، ماهي إلا انعكاس لواقع أليم، مليء بالمخاطر والمخاوف. من جهة فهو يحاول التخلص من هذه المخاوف وأيضاً لتخويف الآخرين بارتكابه للأفعال الجانحة المخالفة للقانون. ومن جهة أخرى، يسعى إلى توجيه رسالة للمجتمع من أجل انتزاع الاعتراف به كإنسان وكطفل له حقوق وهوية ينتمي إليها، ومن أجل هدم المسببات. وهذا ما دفع عالم النفس الفرنسي "لاكاز" يعتبر جنوح الحدث في الشارع بمثابة حوار عنيف مع الآخر، يحاول من خلاله الاعتراف به كإنسان⁵.

وتحت تأثير جائحة كورونا، تبين من خلال الملاحظة أن الأطفال لا يستقرون في مكان محدد، وينتقلون من بؤرة لأخرى، من شارع لأخر، وبالتالي فإن معرفتهم

أي "الذات المزيفة" التي تنتج عن المواقف الأولى للأم، والتي لم تكن "حسنة" بما فيه الكفاية، ومن ثم لم تتمكن من الإحساس بحاجات رضيعها. وفي هذا الصدد يؤكد (سبيتز) "spitz" أن العلاقات الأولية الإيجابية بين الطفل وأمه، من شأنها أن تجعل الطفل في مأمن من أن يقع ضحية السلوك الجانح مستقبلاً³.

فالمسألة لا تتعلق فقط بوجود الأم بشكل مطلق، أي مجرد وجود صوري لها، بل تتعلق بنوعية الأمومة التي تمارسها الأم اتجاه الطفل حتى يرتبط بها ارتباطاً ويتعلق بها تعلقاً قوياً آمناً ومشبعاً له. وبالتالي يصبح المطلوب هو ما يطلق عليه وينيكوت Winnicott "الأمومة الكافية الجيدة"⁴. من البديهي أن نرجع عوامل خروج الأطفال إلى الشارع إلى تاريخ الطفل، لكن علينا أن نضيف إلى هذه الأسباب، دلالة هذا التصرف بالنسبة للشخص الذي ارتكبه. فالسلوك الإنساني عموماً لا يتحدد فقط بالماضي، وإنما أيضاً بالمستقبل، آخذين بعين الاعتبار أن رؤية الشخص لمستقبله يؤثر في سلوكه الحاضر. فاللجوء إلى الجنوح، أو إلى ارتكاب الجريمة، يهدف إلى تحقيق غاية في نفس الطفل الجانح. وقد تطرق موريس كوسون Maurice Cusson إلى مجموعة من الغايات، هي نفسها التي تسيطر على سلوك طفل الشارع، وهي أربع: الفعل والحركة، l'action، والاستحواذ l'appropriation، والعدوان l'agression، وأخيراً السيطرة la domination.

إن العيش في الشارع اختيار صعب وقاس، وغالباً ما يتحدد بمجموعة من

يتخلى المجتمع عن الفرد الموصوم، لكن في الوقت نفسه يظل -المجتمع- فضولياً ويتبع سلوكياته ويراقبها. فالوصم تعبير عن العقاب الذي يناله طفل الشارع على الأفعال الشاذة التي يفتريها في حق نفسه وفي حق المجتمع. وتشير البحوث والدراسات إلى أن عدداً من الدول العربية قد تأثرت بإفرازات ظاهرة الأطفال في وضعية الشارع، لأسباب متعددة منها الفقر والبطالة، وعدم المساواة في توزيع الثروات، والتي تعد الدافع الرئيسي لانتشار عمل الأطفال وللانحرافات السلوكية وفقدان الأمان. فالعلاقة الآمنة التي يسودها الدفء الأسري والاستقرار النفسي عامل مهم وواقٍ للطفل، يشعره بالثقة والقدرة على مواجهة المشاكل. فالشعور بالأمن النفسي حسب إريك إريكسون (Erikson, 1980) حجر الأساس في تكوين الشخصية السوية¹ في حين، يفسر (جون بولبي) "John Bowlby" (1980) أن إدراك الطفل لعدم حب الوالدين أو عدم احترامهما له، أو إهمالهما له، أو تحكمهما فيه، يدفعه إلى تكوين نماذج معرفية سلبية عن ذاته وعن مستقبله وعن الآخرين، وأنه طفل غير مرغوب فيه، كما يشعره بالتشاؤم من المستقبل². واتساقاً كذلك مع الأفكار التحليلية النفسية، يشير (وينيكوت) "Winnicott" إلى أن الميل والاتجاه المعادي للمجتمع، يتكون في مرحلة الطفولة المبكرة، وذلك إذا لم تستجب البيئة الأسرية، بما فيه الكفاية، للحاجات الوجدانية والمادية للطفل، مما ينتج لديه شعوراً بأن "المحيط العائلي مدين له بشيء ما". ويقدم وينيكوت Winnicott "فكرة الذات الحقيقية والذات غير الحقيقية"،

ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

متغيرات مجتمع الشارعكنسق في ظل جائحة كورونا

يعد مجتمع الشارع بمثابة نسق اجتماعي، يخلق لنفسه حدودا وقواعد تجعله متميزا عن الأنساق الأخرى. كما يخلق حالة من التوازن بين الأنشطة التي تمارس داخله، بحيث يظل قادرا على أداء وظائفه، وفق تدرجه ومكانته الاجتماعية.

لقد أصبح الشارع اليوم في ظل زمن كورونا، يفتقد للحيوية والنشاط، ويمثل تواجد الأطفال بالشارع في ظل هذه الظروف الوبائية، حافة التواجد الإنساني ونوعا من القضاء الاجتماعي. لكن رغم ذلك، فالأطفال في هذه الوضعية يجعلون من الشارع مكان عيشهم ولهوهم وثقافتهم. ففي الشارع يتعايشون مع مخاوفهم وقلقهم ومردهم. لذلك يمكننا القول أن الشارع لا يمثل ما هو سائد عند العموم، وأنه فراغ مساحي فقط، بل هو مساحة للتنشئة الاجتماعية، وفضاء للمغامرة وللتضامن، ومكان للهروب.

حلفا رمزيا مع الموت. هذا التعاقد المعنوي يمنحه الشعور بالوجود والشعور باللذة. وفي السياق نفسه يرى سذرلاند Sutherland صاحب نظرية المخالطة، أن السلوك الإجرامي سلوك متعلم، يتعلمه الطفل من محيطه الاجتماعي بحسب درجة المخالطة. فكلما زاد التقارب في المخالطة كلما زادت إمكانية تعلمه السلوكات العنيفة والمنحرفة. فالعلاقة جدلية وبالتالي يشل الطفل في وضعية الشارع في علاقته بالمحيط ليست دائما من نفس النوع، إذ قد يقع تبادل في الأدوار بين طرف آخر، فمن كان يلعب دور الرئيس في لحظة ما قد يلعب دورا ثانويا في لحظة تالية⁶.

ولو تأملنا وضعية الطفل في وضعية الشارع في ظل تفشي فيروس كورونا في المجتمع المغربي لوجدناه يعيش نمطا، مرتبط ارتباطا كليا بالاطر الزمالي الذي فرضه الحجر الصحي، حيث أثرت الوضعية الوبائية على سلوكاته، تثلثاته الاجتماعية، على نمط حياته اليومية، على تحركاته الفردية أو الجماعية التي أصبحت مقيدة بالزمان والمكان.

بطبورغرافة المدينة تظل محدودة على الرغم من تنقلهم الدائم مما يشعرهم بالخربة وانعدام الأمان. أصبحت رغباتهم آنية تتغري حسب الظروف التي يواجهونها والمليئة بالمفاجآت، انهم لا يخافون من المرض، بل يخافون من المستقبل، من الغد. استسلامهم لواقعهم جعلهم يعيشون ببعد واحد هو الحاضر.

عموما، الطفل في وضعية الشارع ليس كغيره من الأطفال، فحياته في الشارع غير مستقرة يعيشها يوما بيوم. فبعد كل سلوك انحرافي يعيش حياة جديدة، شرعية جديدة، المستقبل غير واضح المعالم أمام عينيه، حاضره مرتبط بإشباع حاجاته الآنية، يغيب عنده الأفق الزمني Horizon temporel، ولا طموح Aspiration لديه.

إن لجوء الطفل في وضعية الشارع إلى العنف والعدوان كأسلوب للحوار والتواصل مع الآخر، يتيح له فرصة مواجهة عالم الشارع، ويمنحه شعورا بالتفوق وتأكيد الذات، على حد تعبير العالم الفرنسي لوبروتون Lebreton الذي يرى أن إقدام الحدث على المجازفة والمخاطرة، كأنه يعقد

الهوامش

- 1 - رضونفرغلي، أطفال الشوارع، الجنس والعدوانية دراسة نفسية، مكتبة دار العربية للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى 2012، الصفحة 57.
- 2 - المرجع عينه، الصفحة 58.
- 3 - المرجع عينه الصفحة 61.
- 4 - المرجع عينه الصفحة 61
- 5 - د. محمد عباس نور الدين، انحراف الأطفال والشباب، رؤية نقدية نفسية اجتماعية لواقع ظاهرة الجنوح زيفية التصدي لها، 2004، الصفحة 101.
- 6 - نفس المرجع عينه، الصفحة



الشعور بالحرية يصبح مقيدا بالمبادئ والقيم والقانون الداخلي. هذا التقييد المشروط، يجعل الطفل في وضعية الشارع غير مرتاح، فاقتدا لحيته أو لشعوره بأنه طفل ملك، فيهرب بمجرد ما تسنح له الفرصة؛ يهرب من المؤسسة طمعا في للحصول على الحرية حسب ما جاء في تصريحات عينة من الأطفال، وخصوصا الذين عاشوا مدة طويلة في الشارع وخضعوا لجميع مغرياته.

إلى جانب الحرية كعامل للتواجد في الشارع، هناك عامل ربح المال الذي يعد من مغريات البقاء في الشارع. وبعد اتصالنا المباشر بمصدر المعلومات تبين لنا أن استراتيجية العيش عند الأطفال في وضعية الشارع تختلف من طفل لآخر، ومن جماعة لأخرى؛ فالأهم هو النتيجة.

أما العامل الثالث، فإنه يتعلق بالإدمان على المخدرات. ولهم مشكلة الإدمان لدى الأطفال في وضعية الشارع لابد من التعرف على كل من⁷: ظاهرة التحمل والاعتقادية، وظاهرة المعاناة من أعراض الانسحاب، أي انسحاب العقار المخدر من تناول يد المدمن. وفوق كل ذلك يلزم معرفة الأسباب التي تدفع الأطفال في وضعية الشارع للإدمان. والجواب هو اعتقاد الأطفال أن المخدرات تسبب السعادة واللذة، وتخفف عنهم ضغوط الحياة والمشاكل الأسرية والاجتماعية وفي الوقت نفسه تعطيهم الشجاعة على الاقتراب من المارة وطلب المال منهم دون تردد. علميا فهذا الاعتقاد الشخصي للأطفال خطأ لأن المخدرات تزيد الطين بلة، وتضيف مشاكل أخرى يصعب مقاومتها أو قهرها، كارتفاع ضغط الدم

في العلاقات بين أفراد المجموعة. فالطفل في وضعية الشارع يعيش بمفرده، بل يعيش في مجتمع له علاقاته وقيمه، وبه قنوات للتعلم وتقوية القدرات ووسائل التهيب والترغيب؛ مجتمع مواز للمجتمع الأصلي الرسمي بضوابطه الاجتماعية وقيمه وتقاليده.

بعد هذا الاستعراض لمجتمع الشارع كنسق متميز عن الأنساق الأخرى، يتاح أنيا، التعرف على آراء هؤلاء الأطفال حول وضعيتهم الاجتماعية في ظل جائحة كورونا؛ أثر الاجراءات الاحترازية وقواعد الحجر الصحي على نمط عيشهم في الشارع؟

ومن خلال المقابلات الفردية التي أجريت مع الأطفال تبين أن هناك تباين واختلاف في الرؤى والأجوبة؛ فمنهم من هم راضون عن وضعيتهم لقدرتهم على التعايش والتأقلم مع الظرفية الراهنة، وكسب المال وإشباع الرغبات. ومنهم من يشعر بالخوف والقلق وعدم الرضا عما يتعرضون له من اقصاء وتهميش وصعوبة التكيف مع الحجر الصحي وتأثرهم بشكل مباشر من الاجراءات الاحترازية والصحية مما دفع بهم الوضع للرجوع إلى اسرهم أو قبول الایداع باحدى المراكز الاستعجالية.

لماذا يرفض الأطفال في وضعية الشارع الولوج للمراكز الاستعجالية؟

تعتبر الحرية شعار الحياة في الشارع، هي الوجود، محدد من محددات التواجد به. وبمجرد إيداعهم بالمركز، فإن هذا

إن الأطفال في وضعية الشارع يعانون أوضاعا غير مستقرة، ويعيشون ظروفًا صعبة، تتصف بالقسوة وعدم الأمن. وهم ضحايا العنف والاستغلال بجميع أنواعه، وفي الوقت نفسه يوفر لهم -الشارع- الشعور بالحرية ويتيح لهم إشباع حاجاتهم ورغباتهم المكبوتة دون رقيب أو حسيب.

فالحياة في الشارع توفر لهم إمكانية المغامرة وتحقيق غريزة حب الاستطلاع. كما ينضجون بكمال الكثرة التجارب والشعور بالاستقلالية. وبخروج الطفل إلى الشارع والعيش وسط دهاليزه وبين البؤر السوداء الخاصة به، والتحاقه بجماعة الرفاق يبحث عن هويته الجديدة التي لم يتمكن من تلمسها داخل الأسرة.

في البداية، يحصل الطفل على اسم شهرة، لا يبالي إذا نودي عليه به، حيث يتم إطلاق هذه الألقاب بين الأطفال بغرض التمييز، والانفلات من الوصم الاجتماعي. وفي الوقت نفسه يلبسون ألبسة متميزة، ويتكلمون لغة خاصة، وتتكون عندهم خبرة التعايش والتواصل مع الآخر.

وبناء على كل ما سبق، بعد الشارع المأوى الذي يتخذ الأطفال محلا لإقامتهم الدائمة أو المؤقتة؛ أثناء الليل يتغير شكل الشارع خصوصا ونحن في مراحل الحجر الصحي، فيعود آخر المتأخرين أدرجهم إلى بيوتهم، كما يغادره المترددون عليه نهارا ليتركوه للسكان الأصليين: الأطفال في وضعية الشارع.

في ظل هذه الظروف الوبائية التي تعيشها بلادنا، دفعت بالطفل في وضعية الشارع إلى تطوير أساليبه في التعامل مع هذه الوضعية، والتعايش مع التنوع السائد



ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة



في الفرد ذاته وطبيعة التكوين السيكولوجي لشخصيته، من أهمها: الشعور المتزايد بالإحباط وضعف الثقة بالنفس وضعف الاستجابة للمعايير الاجتماعية، وعدم القدرة على مواجهة المشكلات التي يعاني منها الفرد، والشعور بالعجز عن إقامة علاقات اجتماعية سليمة، وكذا الشعور بالفشل والحرمان من العطف، والاضطرابات المرتبطة بمرحلة البلوغ أو المراهقة وقد يزيدا تفاهما الإدمان على المخدرات.⁹

كما تعتبر التنشئة الأسرية مسببة للعنف، إذ تعتبر الأسرة هي الجماعة الإنسانية الأولى التي يمارس فيها الطفل أولى علاقاته الإنسانية ولذلك فهي المسؤولة عن إكسابه أمط السلوك الاجتماعية والكثير

من اجل حماية الأطفال في وضعية الشارع، لكن طرق الإيداع ومستوى جودتها أثر على بقاء الأطفال في المراكز واختيارهم بشكل متكرر الهروب إلى الشارع، إلى مجتمع ينتج المعاناة والعنف عبر انتاج عوامل الهشاشة ورعاية تلك العوامل من خلال الروابط الاجتماعية السائدة والمهيمنة والتي تسببت في بروز مجموعة من السلوكيات الانحرافية والعنيفة.

فأية عوامل تغذي العنف؟

لقد درجت الأدبيات التربوية على إرجاع العنف إلى عوامل متعددة، في مقدمتها العوامل السيكولوجية التي يكون مصدرها

وزيادة درجة حرارة الجسم، والتوجس والشعور بالشك والريبة في نوايا الآخرين، والسلوك الشاذ والمتكرر، والهوسات القوية أو الواضحة، والعصبية الزائدة إلى جانب العنف، وسرعة ضربات القلب مع احتمال الوفاة.⁸

عموما، الحياة في الشارع حياة خارج إطار الحماية، وفتح أبواب العديد من المراكز حلا مؤقتا بسبب الجائحة لكن ما هو كائن هو هروب الأطفال المتكرر من مراكز الايواء، على الرغم من احتمال تعرضهم للعدوى في الشارع، لكنهم يعيشون المغامرة من أجل تلبية رغباتهم النفسية والاجتماعية والاقتصادية. على الرغم من المجهودات المبذولة من طرف الدولة والمجتمع المدني

الهوامش

7 - عبد الرحمان محمد العيسوي، الجنوح وأطفال الشوارع دار الفكر الجامعي، 2011، الصفحة 121

8 - المرجع عينه، الصفحة 126 - فهدعلي الطيار، "العوامل الاجتماعية المؤدية للعنف لدى طلاب المرحلة الثانوية: دراسة ميدانية لمدراس شرق الرياض"، إشراف أحسن مبارك طالب، أطروحة

9 - (ماجستير) جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الاجتماعية، 2005، الصفحة 41.



من اليأس من إقناع نفسه أو التحكم فيما يقول أو يفعل حيث يغيب عنده الاتصال المضبوط بالآخرين.

وعلى العموم، فقد ذهبت بعض النظريات، على تفسير العنف أنه من السلوكيات المكتسبة، في حين تؤكد أخرى أنه فطري¹²، فبقدر الاختلاف أو التوافق فيما بينهما فإنه لا يمكن الاختلاف على أن مجملها لا تعطي الشرعية، وتبرر العنف، بل تسعى جاهدة إلى وضع الحلول اللازمة للقضاء على الظاهرة أو التخفيف من حدة انتشارها في المجتمع. ومنه، فالعنف السائد في المجتمع هو نتاج تكاملي بين كل النظريات، إذ أن جميعها صبت في منحى واحد هو دراسة الظروف المحيطة بالفرد مع تشخيص وضعيته الاجتماعية.

الأطفال في وضعية الشارع خارج إطار الحجر الصحي.

يحفل التراث السوسيولوجي بالكثير من المعارف التي ترتبط بمفهوم التحول الاجتماعي بوصفه كل التغييرات الواسعة

الدراسات والأبحاث التي تناولت موضوع الرفاق وعلاقتهم بالانحراف إلى أن معظم المنحرفين والمقبوض عليهم في السجون والموجودين في المؤسسات الإصلاحية كانوا على علاقة بأصدقاء منحرفين. ويمكن إيراد بعض أسباب سلوك العنف التي ترجع إلى الرفاق والأصدقاء في الأمور التالية:

1. النزعة إلى السيطرة على الآخرين،
2. الشعور بالفشل في مسيرة الرفاق،
3. الهروب المتكرر من المدرسة،
4. الشعور بالرفض من جهة الرفاق.¹¹

مهما تعددت العوامل، يعد العنف بمثابة لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع ومع الآخرين، حيث يعجز الفرد عن إيصال صوته بوسائل الحوار العادي، وحيث تترسخ القناعة لديه بالفشل في إقناعه بكيانه وقيمه، وهذا يعني أن العنف عنده آخر الحلول الممكنة بعد اليأس من التواصل اللغوي الحواري ووقوع الشخص في حالة

من مظاهر التوافق ترجع إلى نوع العلاقات الإنسانية في الأسرة وللأسرة دور فعال في الانحراف والسلوك العنيف، وذلك لما تحتله الأسرة من أهمية حيوية في عملية التنشئة الاجتماعية للفرد. ويمكن أن إيجاز أسباب سلوك العنف التي ترجع إلى الأسرة فيما يلي:

1. التفكك الأسري،
2. التدليل الزائد من الوالدين،
3. عدم متابعة الأسرة لسلوك الأبناء،
4. الضغوط الاقتصادية للأسرة.¹⁰

وتعتبر جماعة الرفاق والأصدقاء من الجماعات الأولية التي لها تأثير على شخصية الفرد بعد الأسرة، ومما يقوي من تأثير هذه الجماعة على الفرد: التشابه والتجانس بين أفرادها من حيث العمر والأهداف والميول والاتجاهات. وكل ذلك يؤدي إلى تقوية تأثيرها على تشكيل سلوك الفرد وقد وجد بعض الباحثين أن جماعة الرفاق قد تكون البديل للأسرة في بعض الأحيان، خصوصا للمنحرفين والمجرمين وقد أشارت معظم



ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

لحاجياتهم النفسية، الاجتماعية، الاقتصادية وأيضاً الحميمية.

من خلال تقنية الملاحظة للأماكن التي يتواجد فيها كل الفئات الهشة، تبين لي أنها تتميز بخصوصيات اقتصادية، اجتماعية، تستجيب لحاجيات الفئة المستهدفة من أكل ومال أو ما يصطلح عليه بالبليّة. لكن في ظل جائحة كورونا، أصبح من الصعب عليهم تلبية حاجياتهم مما دفع بعضهم قبول مرافقتهم لمراكز الإيواء التي تم فتحها من قبل العمالات، عمالة أنفا، عمالة الفداء، عمالة عين الشق، عمالة البرنوصي سيدي مومن... في حين فئات أخرى وافقت على مرافقتهم لأسرهم، لكن الفئة الثالثة منهم رفضت أي اقتراح وقررت البقاء في الشارع على الرغم من صعوبة العيش في الشارع فالأمر لم يعد سهلاً أمام إغلاق الدولة لجميع المقاهي والفضاءات العمومية كإجراء احترازي لمواجهة جائحة كورونا.

لكن على الرغم من خطورة الوباء، فهم يرفضون التوجيه، نظراً لأن المكان الذي يعيشون فيه يتوفر على كل المقومات، بيئة تؤثر على رغبتهم في الخروج حيث كما صرح أحدهم " أنا هنا بخير " بمعنى أن كل ما هو بحاجة إليه متوفر، حيث أنهم يخرجون في شكل مجموعات بالتناوب للتسول نهاراً

تحسيسهم بأخطاره وكيفية الوقاية منه باستعمال طرق الوقاية واتباع اجراءات السلامة الصحية.

تعد هذه الجولات النهارية بمثابة فرصة للفريق التربوي على ملاحظة سلوكيات الأطفال التي تعيش وضعية الشارع في ظل الجائحة، وكيفية تعاملهم مع الاجراءات الاحترازية، لكن النتيجة مؤلمة، أطفال يعيشون في بؤر سوداء، في أماكن مهجورة، يتبادلون الأشياء فيما بينهم، ينامون بشكل جماعي، يتسولون من أجل ربح قوت يومهم لا يحترمون اجراءات السلامة الصحية مما يجعلهم عرضة لانتقال العدوى فيما بينهم

تزرع شوارع مدينة الدار البيضاء، بأعداد كبيرة من الأطفال، الراشدين، المسنين، المهاجرين جنوب الصحراء، في وضعية الشارع، ينامون في الطرقات، ويكسبون قوت يومهم إما بالتسول، كما يعانون من مشكلات اجتماعية ونفسية. لماذا؟ لأن مدينة الدار البيضاء، واحدة من المدن التي تعرف تواجد عدد كبير من الفئات الاجتماعية الهشة. ومن خصوصيات هذه المدينة، أنها تتسع مساحة وسكانا، تتوفر فيها محلات تجارية، حدائق وشوارع كبيرة وأحياء راقية... ناهيك عمّا يوجد فيها من بؤر سوداء تستجيب

في البنى الاجتماعية للمجتمع والتي تحدث أثراً في نظم المجتمع وتؤثر في العلاقات بين الأفراد، ويعرفه البعض بكونه " كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في بنائه أو وظائفه خلال فترة زمنية¹³. والمغرب كغيره من الدول عرف تحولا اجتماعيا بسبب جائحة كورونا مما أزمه إتخاذ مجموعة من الاجراءات الاحترازية من أجل مواجهة هذا الوباء ومحاصرة عدم انتشاره بين المواطنين. وقد تم في هذا الإطار تدخل الدولة لاسيما في تقديم الخدمات والمساعدات الاجتماعية لفائدة الأطفال في وضعية الشارع، حيث تم فتح فضاءات أو مراكز الايواء التي تم احداثها خلال مرحلة الحجر الصحي. والتي بلغ عددها حالياً 52 مركز وفضاء. مند بداية الحجر الى غاية 15 ماي 2020 تم سحب ما مجموعه 803 طفل من العيش في الشارع منهم 633 ذكور و 170 إناث، وقد تم في هذا الإطار إدماج 129 طفل بوسطهم الأسري وإيواء 184 بمراكز الايواء المستعجل. وتتمينا لما قامت به الدولة، نظمت جمعية بيتي بشراكة مع جمعية الاسعاف الاجتماعي الدار البيضاء مجموعة من الجولات النهارية بغية حماية الأطفال التي تعيش وضعية الشارع بكل فئاتها العمرية وجنسياتها المختلفة من هذا الوباء وفي الوقت نفسه

الهوامش

10 - المصدر عينه ، الصفحة 43 / 44

11 - نجاة السنوسي، "الأثر الذي يولد العنف على الأطفال ودور الجمعيات الأهلية في مواجهته"، الجمعية المصرية العامة لحماية الأطفال بالإسكندرية، 2002، ص 6

12 - ياسمينه بغيريش. إشكالية العنف الاجتماعي في المدن الجديدة، المجلة العربية لعلم الاجتماع، إضافات، العدد 28 خريف 2014 الصفحة 95.

13 - عبد اللطيف كيداي، التحولات الاجتماعية القيمة للشباب المغربي محاولة للرصد والفهم، مجلة التدريس، العدد 7 السلسلة الجديدة - يونيو 2015، الصفحة 79.



كورونا تحولاً اجتماعياً في وظائفه، في حريته
المجالية، لم يعد يتميز بمغريات إقتصادية
 واجتماعية بسبب الاجراءات الاحترازية،
مما نتج عنه تصاعد مخاوف الأطفال في
وضعية الشارع الذين كانوا يعتمدون على
التسول والأنشطة غير المهيكلة من أجل
العيش والتعايش. إذا تأملنا وضعية الأطفال
في وضعية الشارع فيظل تفشي الجائحة
لوجدناهم في وضعية اجتماعية مزرية،
مرتبطة ارتباطاً كلياً بمجتمع له خصوصياته،
أثرت بشكل مباشر على سلوكياتهم وتمتلاتهم
الاجتماعية.

فالشارع ميكانيزم من ميكانيزمات
التنشئة الاجتماعية، حيث إنه أكسب الأطفال
في وضعية الشارع مهارات التعايش، وعلمهم
جميع الأشكال الدفاعية والأساليب العنفية.
على الرغم من خطورة الوباء مازالت عينة
من الأطفال تتوافد على البؤر السوداء، تعيش
على دراهم المارة، لا يحترمون قواعد التباعد
الاجتماعي. كما أظهرت بعض المؤشرات أنه
في خضم هذا المشكل الوبائي تبني الأطفال
في وضعية الشارع استراتيجية جديدة للتأقلم

لحي منعزل، وحينما يضيق البيت عليه، فإن
الملجأ الوحيد يبقى هو أزقة الحي. وتدرجياً
تتسع رقعة استعمال المجال، فيصبح طفلاً في
وضعية الشارع. وهذه ظاهرة نتجت عن
التمدد والهجرة الداخلية على العموم. إن
عملية الالتقاء بالأطفال في وضعية الشارع،
ليست لها معايير محددة، بل تحتاج أساساً
إلى معرفة دقيقة بالشارع وبخصائصه،
وتحتاج كذلك إلى موارد مالية وبشرية
كافية. وتكون طرق الالتقاء عبر مراحل
متتالية، فهي ليست مقننة أو سبق التنظير
لها في كتاب أو في مؤلف. إن طريقة الالتقاء
ليست محددة، فهي تختلف من مرَبِّ لآخر،
وحسب الظروف سواء تلك المتعلقة بالطفل
أو بالمربي نفسه. فالأهم من كل هذا، هو
احترام شعور وكرامة الطفل، والتواصل معه
كفاعل وليس كضحية، كصاحب حق وليس
كموضوع للحقوق.

الخاتمة

عرف مجتمع الشارع في ظل جائحة

ويعودون أدراجهم ليلاً بغنيمة كافية
للعيش، كما تساعد البؤر السوداء على
الاجتماع من المراقبة الأمنية.

على اعتبار أنها البؤر السوداء - أمكنة
لها أسبابها ومغرياتها التي من شأنها مكاناً
أن تلبي حاجياتهم البيولوجية، النفسية،
الاجتماعية والاقتصادية وكذلك الحميمية
والجنسية. بما أن الأطفال يعيشون خارج
إطار الحماية فهم يعيشون خارج إطار
الحجر الصحي.

يعد مجتمع الشارع كفضاء رافض
للإناث، مجتمعاً ذكورياً، على الرغم من
التفوق العددي للذكور فحضور الإناث
تأبث في مجتمع الشارع خصوصاً في الأماكن
المغلقة التي يصعب الولوج إليها أو في
بعض البؤر السوداء التي تعرف تواجد عدد
كبير من الفئات العمرية كالسكة والفيلا
المهجورة مثلاً؟

إن التعرف على الانتماء الجغرافي لأي فرد
في المدينة، أصبح معياراً للتعرف على هويته
السوسيو-اقتصادية. فحينما ينتمي الطفل



ملف العدد : المغرب ومفاضات البالعة

والتلاءم مع مراحل الحجر الصحي. بموازاة ذلك، تعددت التساؤلات حول مدى احترام هذه العينة من الأطفال للقواعد الصحية ومط العلاقات الاجتماعية السائدة بينهم داخل الجماعة. على الرغم من الموجودات التي تبذلها الدولة لحماية الأطفال في وضعية الشارع من عدوى "كورونا"، بما فيها الخدمات الاستعجالية لفائدة الأطفال. لكن بمجرد إيداعهم بالمراكز أصب تحريتهم مقيدة بالقانون الداخلي. هذا التقييد المشروط دفعهم إلى الهروب من المركز طمعا في استعادة الحرية. إلى جانب عاملا لحرية، هن اكعوا مل أخرى مرتبطة بربحا مالموا لإدما نعلى المخدرات أو ما يعبر عنها الأطفال ب"البلية".

بالفعل، إن الحياة في الشارع حياة خارج إطار قواعد الحجر الصحي. لكننا بعد رفع الحجر الصحي كيف سيعش هؤلاء الأطفال؟ هل هناك استراتيجية معتمدة من طرف الدولة والمجتمع المدني تهتف الى تتبع هذه العينة من الأطفال في أسرهم، وفي أماكن تواجدهم بالبؤر السوداء؟ ■

المراجع

- أحمد أوزي، سيكولوجية العنف، عنف المؤسسة ومأسسة العنف، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2004.
- بسيمة الحقاوي، التسول في المغرب من الآباء إلى الأبناء، مقارنة نفسية، اجتماعية، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2006.
- رضوى فرغلي، أطفال الشوارع، الجنس والعدوانية دراسة نفسية، مكتبة دار العربية للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى 2012، الصفحة 57
- سارة كارمونا بنينو، البغاء في شوارع الدار البيضاء، ترجمة عبد الصمد الديالمي، مراجعة عزيز المستقيم، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 2008.
- عبد الرحمان محمد العيسوي، الجنوح وأطفال الشوارع دار الفكر الجامعي، 2011، الصفحة 121
- عبد اللطيف كيداي، التحولات الاجتماعية القيمية للشباب المغربي محاولة للرصد والفهم، مجلة التدريس، العدد 7 السلسلة الجديدة - يونيو 2015، الصفحة 79 .
- عبد الله العروي، مفهوم الحرية، دار التنوير للطباعة والنشر، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 1984.
- فهد علي الطيار، "العوامل الاجتماعية المؤدية للعنف لدى طلاب المرحلة الثانوية: دراسة ميدانية لمدارس شرق الرياض"، إشراف أحسن مبارك طالب، أطروحة (ماجستير) جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الاجتماعية، 2005 الصفحة 41
- محسن بوعزيزي، طفولة مقصية: بحث في العلاقة بين اللوغوسواييتوس، اللغة والتواصل التربوي والثقافي مقارنة نفسية وتربوية، تأليف مجموعة من الباحثين الطبعة الأولى 2008 .
- محمد الدريج، الأطفال في وضعية صعبة، سلسلة شهرية، المعرفة للجميع، العدد 25، 1998.
- محمد عباس نور الدين، أطفال الشوارع، رؤية نقدية، اجتماعية وتربوية للظاهرة بأبعادها المختلفة، مجلة الطفولة والتنمية، العدد 11، مجلد 3، 2003.
- نجاه مجيد، منارة قوارب الشارع مقارنة جديدة لإشكالية الشارع، مكتبة دار الأمان، الرباط 2001.
- ياسمينه بغريش. إشكالية العنف الاجتماعي في المدن الجديدة، المجلة العربية لعلم الاجتماع إضافات، العدد 28 خريف 2014 الصفحة 95 .

السلطة وآليات التدبير في مواجهة جائحة (19Covid)

عبد الوهاب الراجي
باحث في العلوم السياسية

توازنات سياسية واقتصادية لم يكن بالإمكان أن تمر بسهولة في الظروف العادية³، مثل تسريع وتيرة التطبيع وهرولة بعض الدول للارتقاء في أحضانه؟. وبالإجمال الشديد هل هذا الفيروس مؤامرة مدبرة بليل أم هو مجرد حدث عادي سواء كان مصدره تفاعل في الطبيعة أم خطأ بشري؟

1. الخطة المغربية "الاستباقية" لمواجهة كوفيد-

19

دخل المغرب معركة جائحة فيروس كوفيد-19 التي فرضت عليه- وهو في ظروف اقتصادية صعبة، ومناخ سياسي متأزم، وانتظارات وآمال فئات عريضة في المجتمع (رجال التعليم المتعاقدين / الدكاترة الذين يرغبون في تسوية وضعياتهم/ معتقلي حراك الريف وجرادة...)، فضلا عن آثار جفاف السنة الثالثة على التوالي على الاقتصاد الوطني... على الرغم من هذه الإكراهات، فإن الدولة المغربية واجهت هذه الجائحة بمجموعة من التدابير والإجراءات التي نالت رضى

والاستثنائي- بكل المقاييس- طرح وما زال يطرح علينا مجموعة من التساؤلات المقلقة والمزعجة أحيانا، والمحيرة والمشككة تارة أخرى... من ذلك مثلا: هلا لصين فعلا هي مصدر هذا الفيروس؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل هو من نتاج الطبيعة أم أنه أت من مختبر صيني؟ ثم لم تم التستر عنه مدة شهرين قبل الإعلان الرسمي عن تفشيته؟ وماذا نقول لأولئك الذين يتصورون أنه بامتياز كيد أمريكي لتشيويه صورة بلد الصين، وإضعافه اقتصاديا، وإحراجة أمام الرأي العالمي؟. ثم ما سر الاكتساح الواسع لهذا الفيروس لعدد من الدول الأوروبية مثل إسبانيا وفرنسا وإيطاليا... ثم بعد ذلك الولايات المتحدة الأمريكية التي احتلت الرتبة الأولى دون منازع، سواء من حيث عدد الإصابات أو الوفيات، ثم جاءت روسيا والبرازيل والهند... أيضا هناك من يقول بأن هذا الفيروس عبارة عن آلية تستهدف تقليص عدد ساكنة هذا الكوكب الأرضي، خاصة المسنين والمتقاعدين الذين يكلفون ميزانيات دولهم مبالغ مهمة أو هو أداة لإشغال الرأي العام العالمي لتثبيت سياسات معينة، وتمير قرارات مقصودة، أو خلق

للسلطة أدوات توجيهية وآليات تديرية لتبقى في حدود الاستقرار والاستمرار. الأفق الطبيعي للسلطة هو من تؤول إليه الدولة نفسها؛ بالعمران عند ابن خلدون¹ وبتجاوز الأزمات كالأوبئة والجوائح عند بروديل².

قراءة في الخطة المغربية "الاستباقية" لمحاربة فيروس كوفيد 19

الأكد أنه لا أحد كان يتوقع، على وجه اليقين، زمن ومكان ظهور هذا الفيروس التاجي كوفيد-19، الذي قلب حياة عموم أهل الأرض رأسا على عقب، وأحرق كثيرا من أخضرها وياوسها، فقد أربك أحوال المجتمعات والدول، بما في ذلك المسماة متقدمة، إذ اضطرت هذه الأخيرة إلى إغلاق مطاراتها، وإيقاف جزء مهم من عجلة اقتصادها وأنشطتها الثقافية والرياضية والفنية... بسبب الأرواح التي أزهقت، والارتفاع الصاروخي لحالات الإصابات التي تقدر الآن بعشرات الملايين.

هذا الوضع الصحي الخاص

ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة



وسريع الانتقال بين الأفراد عبر الرذاذ والعطاس، وأيضا عبر الأسطح (الزجاج / الحائط / النبات / الخشب / القصدير...)، الشيء الذي جعل عددا من الدول تلزم مواطنيها بارتداء الكمامة تحت طائلة الغرامة المالية أو العقوبة الحبسية بما في ذلك عدد من الدول المصنفة في المراتب الأولى عالميا.

- لم تستطيع المنظومة الصحية لعدد من الدول المتقدمة اقتصاديا وعسكريا استيعاب ضحايا هذا الفيروس في بلدانها، مما جعلها عرضة لسيل من الانتقادات بسبب سوء تدبيرها للجائحة، مثل إيطاليا وإسبانيا...

- جاءت الجائحة والبنية الصحية

ذلك لا بد من لفت الانتباه إلى هذه الإشارات:

- ليس من السهل التعامل مع فيروس كورونا المستجد، فقد أصاب هذا الأخير معظم بلدان العالم إذ أحدث زلزال داخلها، بل مس كل جوانب الحياة فيها، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية أو فنية أو رياضية أو قانونية... فقد أزهد آلاف الأرواح⁴ وأعطب ملايين الأجسام وعطل جزئيا أو كليا ملايين المقاولات وأوراش العمل وأجهزة للدول، وخلق لها متاعب كثيرة.

- يزيد من صعوبات هذا المرض- الجائحة أنه خفي لا يرى بالعين المجردة،

وإعجاب عدد من المسؤولين والمحللين والمواطنين...، وهذا جرد سريع ومختصر لأهم الإجراءات المتخذة.

تروم هذه المقالة التأمل والنظر في المقاربة المغربية لجائحة كورونا، التي استأثرت باهتمام كبير للمسؤولين المغاربة وعدد من الرموز والفاعلين من داخل المغرب وخارجه، حيث أشادوا بها واعتبروها خطة استباقية ومدروسة تستحق أن تكون مثلا يحتذى به، مقابل آخرين بخسوا بجزء من الجهود المبذولة، وكشفوا عن أوجه القصور فيها. مهمتنا في هذه المقالة هي محاولة تسليط الضوء على بعض الجوانب الإيجابية والسلبية في التجربة المغربية في تدبير الجائحة. قبل

الهوامش

1- ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الصحفات من (33 إلى 38)

2- فرنان بروديل، هوية فرنسا م2: الناس والأشياء، ص. (21-22-23)

3- العولمة والجائحة، أوراق من زمن الحجر الصحي Policy Center For The New South، فتح الله ولعلو، ص. (37-38)

4- السلطات المغربية تفرض حالة طوارئ صحية بالمملكة كلها اعتبارا من الجمعة لمواجهة وباء كورونا، موقع فرانس 24، 2020.



• 16 مارس 2020: أصدر المجلس العلمي الأعلى فتوى تجيز إغلاق المساجد مؤقتاً، وذلك بناء على طلب الملك محمد السادس بصفته أميراً للمؤمنين.¹⁴

• 18 مارس 2020: اجتمعت "هيئة العمل المشتركة بين وزارة الصحة وجمعية العيادات الخاصة" لمناقشة حشد موارد العيادات الخاصة لصالح المستشفيات الحكومية.¹⁵

• 19 مارس 2020: أعلنت المملكة المغربية حالة الطوارئ الصحية لتكون سارية المفعول بداية من من السادسة مساءً من يوم الجمعة 20 مارس 2020 إلى إشعار آخر، وبذلك أصبح تنقل المواطنين مشروطاً برخصة تسلمها السلطات المحلية، ويستثنى من ذلك العاملون بالصيدليات ومحطات الوقود والعيادات الطبية¹⁶...

• 22 مارس 2020: صادق مجلس الحكومة على مشروع المرسوم المتعلق بإعلان حالة الطوارئ بسائر أرجاء البلاد بداية من 20 مارس 2022. فهذا المشروع يخول للسلطات العمومية المعنية اتخاذ التدابير اللازمة (عدم مغادرة السكان لمنازلهم / منع أي تنقل لكل شخص خارج المنزل إلا في حالة الضرورة القصوى / منع أي تجمع أو تجمهر أو اجتماع لمجموعة من الأشخاص / إغلاق المحلات التجارية...)،¹⁷ كما جاء في الجريدة الرسمية¹⁸.

• بمجرد فرض الحجر الصحي نزلت قوات الأمن ومدركات الجيش

الوطني وبلورة الأجوبة المناسبة للتقليل من آثاره.¹²

• 13 مارس 2020: أعلنت الحكومة أنها توصلت إلى اتفاق لتعليق جميع رحلات الركاب ومعابر العبارات من إسبانيا والجزائر حتى إشعار آخر.

• 13 مارس 2020: تقرر إغلاق جميع المدارس مؤقتاً، وذلك ابتداءً من 16 مارس 2020، واعتماد التعليم عن بعد عبر البوابة الإلكترونية تلميذ تيس والقناة التلفزية الرابعة والثقافية.

• 13 مارس 2020: أعلنت المندوبية العامة لإدارة السجون وإعادة الإدماج عن حزمة من الإجراءات من أجل مواجهة الجائحة، إذ قلصت عدد الزوار، وقامت بحملات تحسيسية لفائدة الأطر الطبية وشبه الطبية والسجناء على السواء...

• 15 مارس 2020: تم إعلان تعليق جميع الرحلات الدولية مع باقي الدول.

• 16 مارس 2020: تم إحداث "صندوق خاص بتدبير جائحة فيروس كورونا" تنفيذاً لتعليمات ملك البلاد محمد السادس، إذ بلغت موارده في غضون أيام حوالي 22 مليار درهم.¹³ كما تم وضع رابط على موقع الخزينة العامة للمملكة رهن إشارة الأشخاص الذاتيين والاعتباريين الراغبين في تقديم تبرعاتهم عن طريق تحويلات مصرفية، ساهمت فيها مؤسسات عامة وهيئات مهنية و...¹³

المغربية ضعيفة بسبب النقص الكبير في عدد الممرضين والأطباء، والتجهيزات الطبية، فضلاً عن حرمان عدد كبير من المواطنين من التغطية الصحية⁵...

وفيما يلي جرد سريع ومختصر لأهم القرارات والإجراءات التي اتخذتها الدولة المغربية لمحاربة هذا الفيروس والحد من خطورته في أفق التغلب عليه:

• بعد أن (أكدت منظمة الصحة العالمية أن فيروساً تاجياً جديداً كان سبباً لمرض تنفسي لمجموعة من الأشخاص في مدينة ووهان)⁶، عملت السلطات المغربية على (إجلاء المغاربة العالقين في منطقة ووهان الصينية)⁷، وحين عودتهم (فرضت عليهم قيوداً إضافية شملت الحجر الإلزامي لمدة 20 يوماً في مستشفى عسكري في الرباط)⁸.

• 2 مارس 2020: سجلت أول حالة إصابة بفيروس كورونا وحجر فوري للمخالطين⁹. في هذا السياق كان هناك توقع (أن تصبح المراكز الطبية في المدن غير قادرة على التحمل أو أن تعجز المناطق الريفية عن الفحص لاكتشاف المرض وعن معالجته)¹⁰، الشيء الذي عجل باتخاذ التدابير اللازمة لتفادي الكارثة.

• 2 مارس 2020: أعلن رئيس الحكومة عن تأجيل التظاهرات الرياضية والثقافية في جميع أنحاء البلاد¹¹.

• 8 مارس 2020: أنشأت الحكومة "لجنة اليقظة الاقتصادية لتتبع هذا الفيروس"، ورصد انعكاساته على الاقتصاد



ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة



والسلطات العمومية إلى شوارع المدن الكبرى مثل البيضاء وفاس ومراكش وسلا... من أجل بث الاطمئنان وإظهار القوة، وقد استعانت السلطات بمكبر الصوت و"البراح"... وللإشارة فقد اعتقلت السلطات آلاف الأفراد بسبب خرق حالة الطوارئ.

• كما سارعت السلطات إلى محاربة مجموعة من الممارسات والظواهر التي استغل أصحابها الوضع الجديد في ظل كورونا للقيام بسلوكات تضر بالمجتمع، وتربك أحوال المواطنين، وتنتشر الخوف والرعب. وهكذا شرعنا في اعتقال (كل من يبت أخبارا تثير الهلع بين صفوف

المواطنين)¹⁹ عبر وسائل التواصل فيروس كورونا²⁰. كما شنت السلطة حربا اجتماعي أو من يشككون في وجود شعواء على المضاربين والمحتكرين وعدد

الهوامش

- 5 - الخطاب الملكي الموجه الى البرلمان في غرفتي بمناسبة الجلسة الافتتاحية يوم الجمعة 9 أكتوبر 2020
- 6 - "هل تعيد جائحة كورونا أزمة الأوبئة مجددا إلى المغرب؟"، مهدي الخمال مدونة الجزيرة. 2020.
- 7 - "كيف يتعامل المغرب مع وباء كورونا؟" إيلان بيرمان، موقع الحرة.
- 8 - "استراتيجية المغرب للتخفيف من التداعيات الاقتصادية والاجتماعية لجائحة كورونا"، نوفل الناصري، موقع الصحيفة. 2020.
- 9 - "المغرب: محمد السادس يعلن خطة بقيمة 12,8 مليار دولار لإنعاش الاقتصاد والتصدي لتداعيات فيروس كورونا"، فرانس 24. 2020.
- 10 - "فيروس كورونا في المغرب: التبعات الاقتصادية والاجتماعية"، محمد اشتاتو، موقع الحرة. 2020.
- 11 - العربي الجديد-الرباط. 02 مارس 2020
- 12 - نفسه
- 13 - المادة 25 من المرسوم 2.15.426 المتعلق بإعداد وتنفيذ قوانين المالية، بإحداث حساب مرصد لأموال خصوصية يحمل اسم "الصندوق الخاص بتدبير جائحة فيروس كورونا" كوفيد19
- 14 - للموقع الإلكتروني لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،
- 15 - "فيروس كورونا في المغرب: التبعات الاقتصادية والاجتماعية"، محمد اشتاتو. م. س. موقع الحرة. 2020.
- 16 - الجريدة الرسمية. السنة التاسعة بعد المائة. عدد: 6867 مكرر.
- 17 - نفسه
- 18 - انظر الجريدة الرسمية، السنة التاسعة بعد المائة، عدد: 6867 مكرر، 24 مارس 2020، المادة الثانية من مرسوم رقم: 2.20.293 المتعلق بإعلان حالة الطوارئ الصحية بسائر أرجاء التراب الوطني لمواجهة فيروس كورونا- كوفيد19-
- 19 - العربي الجديد. هشام المنصوري 02 أبريل 2020.



لصالح مربي الماشية في المناطق المتضررة من قلة التساقطات المطرية ابتداء من 27 مارس 2020.²⁹

• 6 أبريل 2020: صدر قرار إلزامية وضع الكمامة كما هو واضح في البلاغ المشترك بين وزارات الداخلية والصحة والاقتصاد والمالية والصناعة والتجارة، بل إن رئيس النيابة العامة اعتبر من خلال إحدى دورياته أنه يترتب عن عدم وضعها غرامة مالية من 300 درهم إلى 1300 درهم، وعقوبة حبسية تتراوح بين شهر وثلاثة أشهر.³⁰

• 7 أبريل 2020: صوتت لجنة المالية بالبرلمان بشبه إجماع على مرسوم بقانون يسمح بموجبه للحكومة بسحب مبلغ 3 مليار دولار باستخدامه خط الوقاية والسيولة قابلة للسداد على مدى خمس سنوات مع فترة سماح لمدة 3 سنوات بناء على الاتفاق المبرم مع صندوق النقد الدولي سنة 2012 وذلك بهدف الحد من وقع الأزمة بالبلاد.³¹

• 1 يونيو 2020: أطلقت وزارة الصحة تطبيق "وقايتنا" للمساعدة على كشف المصابين والمخالطين.³²

II. الإشادة بالتدابير المتخذة لمحاصرة فيروس كورونا

المتأمل في مجموع هذه الإجراءات والتدابير والقرارات التي اتخذها المغرب، ملكا وحكومة وشعبا، في هذا الزمن القياسي وبذلك الحس الاستباقي

أسرة من القطاع غير المهيكل والمسجلين في نظام المساعدات الطبية (رميد) بمبلغ 800 درهم للأسرة التي تتكون من شخصين و1000 درهم للأسرة المكونة من ثلاثة أو أربعة أفراد و1200 درهم للأسرة التي تتجاوز أربعة أفراد.²⁵

• كما تجند القطاع البنكي بدوره لتقديم مساهماته أو تسهيلات الخاصة، حيث أجل سداد الأقساط الشهرية المتعلقة بالسكن أو الاستهلاك على مدى ثلاثة أشهر، ومنح خطوط ائتمان إضافية خاصة لمواصلة أنشطة المقاولات وذلك بسعر فائدة مناسب، بناء على طلب للمستفيدين هذه الخدمات. كما جندت مستخدميها ووفرت لهم الشروط المناسبة لمزاولة أعمالهم، وجعلت - في نفس الآن - شبائيكها الإلكترونية رهن إشارة عموم المتضررين من جائحة كورونا.²⁶

• أعطى ملك البلاد مكثري المحلات الحبسية المخصصة للتجارة والحرف والمهن والخدمات والسكنى ما عدا الموظفين، وذلك خلال فترة الحجر الصحي.²⁷

• 25 مارس 2020: تم تأجيل مباريات التوظيف والترقيات المبرمجة في السنة المالية لتحويل مخصصاتها المالية لصندوق مواجهة فيروس كورونا باستثناء المباريات التي سبق الإعلان عن نتائجها.²⁸

• أعلنت وزارة الفلاحة عن توزيع 2.5 مليون قنطار من الشعير المدعم

من المواطنين الذين تهافتوا على سلع المواد الغذائية مثل الدقيق والسكر وقنينات الغاز... واشتروا كميات كبيرة من المتاجر الكبرى والمتوسطة خوفا من نفاذها بعد إعلان حالة الطوارئ الصحية. في هذه الأجواء طلب رئيس الحكومة العثماني من عامة الناس أن لا يهلعوا، لأن تفشي الوباء في المغرب تحت السيطرة.²¹ كما قامت الدولة بخطوات مهمة ذات بعد اقتصادي واجتماعي للتخفيف على المواطنين ودعمهم حتى يستطيعوا معايشة هذه الجائحة والتخفيف من حدتها عليهم. من ذلك:

• تزويد السوق الوطنية بالمواد الغذائية الأكثر استهلاكاً بكميات وافرة مثل السكر والشاي والمنتجات الفلاحية والسلمكية²² وقنينات الغاز... حيث استدعت القنوات التلفزيونية المغربية، الأولى والثانية، لهذا الغرض وزراء الفلاحة والطاقة والمعادن والتجارة والصناعة... لتقديم شروحات إضافية في الموضوع، كما وفرت منتجات النظافة، مثل المحلول الكحولي المائي إذ حددت الحكومة سعر الكمامة الواحدة في 80,0 درهم أي يوم 14 مارس 2020.²³

• أخذت الحكومة قرار تعويض الأجراء الذين توقفوا عن عملهم بسبب الجائحة بمبلغ قدره 2000 درهم على امتداد ثلاثة أشهر (أبريل وماي ويونيو)، زيادة على التعويضات العائلية، وتأجيل سداد القروض البنكية (قروض السكن وقروض الاستهلاك)²⁴.

• دعمت الحكومة حوالي 4 مليون



ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

سوار الفرنسية (إن المغرب لم يثر إعجاب المجتمع الدولي فحسب، بل أثار إعجاب المغاربة أنفسهم وذلك باستغلاله التجارب الأجنبية وعامل الوقت...)³⁵

يقول مهدي الخمال : (سيسجل التاريخ أن المغاربة أبانوا باستجابتهم وتفاعلهم مع التدابير الوقائية... عن وعي ومسؤولية كبيرين)³⁶، بل إن باحثين ومراقبين تحدثوا عن لحظة إجماع وطني كبير على غرار ما حدث زمن المسيرة

تألقا وأن يكون في مستوى الحدث واللحظة³³)، وقال أيضا: (إننا من بين الدول السباقة إلى اتخاذ جملة من الإجراءات الوقائية والاحترازية، وفرض حالة الطوارئ الصحية في كافة أنحاء التراب الوطني) إلى أن يقول: (إن المغرب اتخذ منذ شهر مارس أزيد من 350 إجراء لتدبير جائحة كورونا على المستوى الاقتصادي والاجتماعي... على حد ادعائه³⁴.

جاء في افتتاحية صحيفة فرانس

وبالرؤية الشمولية... سيقر فعلا أن هناك خطة أو استراتيجية ناظمة لكل هذه المبادرات الكثيرة والمتنوعة والجريئة أيضا. ولعل هذا ما حدا بعدد من المسؤولين والمفكرين والمهتمين للإشادة والتنويه بهذه الجهود المغربية حتى اعتبرها البعض مثالا متميزا ينبغي الاستنارة به.

يقول رئيس الحكومة سعد الدين العثماني: (إن التدابير المتخذة استطاعت أن تجنب بلادنا الأسوأ، وأن تعطيه

الهوامش

- 21 - نفسه
- 22 - نفسه
- 23 - "استراتيجية المغرب للتخفيف من التداعيات الاقتصادية والاجتماعية لجائحة كورونا"، نوفل الناصريم س. 2020
- 24 - تقرير تحت عنوان: "استراتيجية المغرب في مواجهة كوفيد 19"، ص: 13، من إصدار "الأوراق السياسية"
- 25 - نفسه.
- 26 - موقع البوابة الوطني maroc.ma، المجموعة المهنية لبنوك المغرب تتفاعل مع بعض الانتقادات الموجهة للأبنك،
- 27 - "حصيلة المغرب في مواجهة جائحة كورونا.. الواقع والتحديات"، نجيب البقالي، موقع حزب العدالة والتنمية.
- 28 - منشور رقم: 03/2020. 25 مارس 2020.
- 29 - موقع البوابة الوطني maroc.ma، توزيع 2,5 مليون قنطار من الشعير المدعم لمربي الماشية في المناطق المتضررة من قلة التساقطات المطرية.
- 30 - الجريدة الرسمية، السنة التاسعة بعد المائة، عدد: 6867 مكرر، 23 مارس 2020، المادة الرابعة من مرسوم بقانون رقم: 2.20.292 المتعلق بإعلان حالة الطوارئ الصحية بسائر أرجاء التراب الوطني لمواجهة فيروس كورونا-كوفيد19-
- 31 - "حصيلة المغرب في مواجهة جائحة كورونا.. الواقع والتحديات"، نجيب البقالي، 2020.
- 32 - العربي الجديد. عادل نجدي-الرباط. 06 يونيو 2020.
- 33 - تصريح رئيس الحكومة في البرلمان خلال دورة أبريل 2020 بتاريخ الاثنين 13 أبريل 2020، أنظر الرابط: رئيس-الحكومة-في-البرلمان/رئيس-الحكومة-اتخذنا-أزيد-من-300-إجراء-لمواجهة-آثار-جائحة-كورونا.
- 34 - تم اتخاذ أزيد من 350 إجراء جنب المغرب الأسوأ خلال مواجهته كورونا، سكينه بنزين، موقع أحداث أنفو.
- 35 - "إدارة المغرب لأزمة كورونا محل إعجاب داخليا وخارجيا"، موقع الجزيرة، 2020.
- 36 - مقال لمهدي الخمال، هل تعيد جائحة "كورونا" أزمة الأوبئة مجددا إلى المغرب؟، مدونة الجزيرة،



الخضراء .

يقول نوفل الناصري: (فالمغرب يعد بشهادة منظمة الصحة العالمية ورؤساء الدول والهيئات الدولية نموذجاً يحتذى به في التعاطي مع هذه الأزمة)³⁷، ذلك أن الدولة كانت (لديها خطة ورؤية واضحة لمحاصرة هذا الفيروس)³⁸ بل سيخلد (التاريخ جرأة وحكمة وسرعة الدولة المغربية في اتخاذ إجراءات سيادية واستباقية للحفاظ على صحة وكرامة ومستقبل المواطن...)³⁹.

III. انتكاسة الخطة المغربية أم تغول الفيروس أم...؟

آثرنا من باب الاقتصاد ومراعاة المشترك بين البلدان أن نقوم بمقارنة لا نخرج فيها المغرب من محيطه، حيث اخترنا أن نتعامل مع المغرب في محيطه الإفريقي أو العربي، وقد اخترنا الأخير لتقديرنا أن المشترك بينه وبين العرب أكثر من المشترك بينه وبين إفريقيا. وعليه فهذا جدول يرصد، الى حدود 9 أكتوبر 2020، العدد الإجمالي للإصابات والوفيات والمتعافين الحالات الإيجابية المتبقية إلى هذا اليوم في كل الدول العربية:

الهدف من بسط هذا الجدول هو الوقوف -على الأقل من خلال الأرقام-

التساؤلات المطروحة الآن بعد سرد تلك الإجراءات وإيراد هذه الشهادات هي: ما مدى نجاعة وفعالية تلك الإجراءات في واقع حياة المغاربة، سواء كأحزاب سياسية أو هيئات نقابية أو حقوقية أو جمعيات المجتمع المدني أو مؤسسة البرلمان بغرفتيه أو الأجهزة التنفيذية أو عموم المواطنين⁴⁰...؟ قبل الشروع في مقارنة بعض هذه التساؤلات نرى أنه من الأنسب القيام بعرض بيانات على مستوى تفشي هذا الفيروس في دول العالم لتسهل علينا عملية المقارنة بين النتائج كآلية لفهم درجة حضور هذا الوباء في تلك الدول. ونظرا لصعوبة الانفتاح على بلدان العالم فقد

الدول العربية	إصابات يوم	وفيات اليوم	مجموع الإصابات	مجموع الوفيات	حالات الشفاء	الحالات الإيجابية
المملكة العربية السعودية	404	24	338.539	4.996	324.282	9.261
الإمارات العربية المتحدة	1.075	4	104.004	442	94.903	8.659
قطر	206	1	127.600	219	124.559	2.822
مصر	106	12	104.262	6.029	97.592	641
الجزائر	146	6	52.804	1.789	37.067	13.948
المغرب	3.445	44	146.398	2.530	123.022	20.846
العراق	3.214	52	397.780	9.735	328.097	59.948
البحرين	438	7	74.860	271	70.406	4.138
الكويت	635	7	110.076	649	102.024	7.403
عمان	00	00	104.129	1.009	91.731	11.389



ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

21.458	5.032	409	26.899	00	00	<u>تونس</u>
28.313	22.407	450	51.170	11	1.426	<u>لبنان</u>
16.691	5.906	166	22.763	22	1.246	<u>الأردن</u>
6.375	36.922	367	43.664	8	408	<u>فلسطين</u>
7	5.355	61	5.423	00	00	<u>جيبوتي</u>
636	3.010	99	3.745	00	00	<u>الصومال</u>
6.080	6.764	826	13.670	00	00	<u>السودان</u>
3.139	1.212	215	4.566	00	00	<u>سوريا</u>
4.306	3.102	132	7.540	00	00	<u>موريتانيا</u>
129	1.329	593	2.051	00	1	<u>اليمن</u>
17.294	23.453	621	41.368	5	1.096	<u>ليبيا</u>

لنا بالتفصيل في تلك العوامل والمؤثرات فإننا سنكتفي فقط بتقديم إشارات سريعة حول هذا الجدول بالاعتماد على خمسة متغيرات:

اعتباراتها- من شأنها أن تزيّف أو تلبس جزءاً أو أجزاء من الحقيقة، إذ لا يمكن مثلاً تغييب عدد ساكنة الدول وأيضاً مستواها الاقتصادي ومطحكها السياسي... فكل بعد من هذه الأبعاد إلا وله تأثيره على طريقة ومستوى تدبير جائحة كوفيد 19، ولأن المقام لا يسمح

على مدى نجاح ونجاعة الخطة المغربية "الناجحة" في محاربة وإضعاف هذا الفيروس؟ أي هل حققت أهدافها ومقاصدها المسطرة أم أن الفيروس تمرد واستمر في العرْبدة والتفشي؟

نقر بدءاً أن القراءة الجافة للأرقام -ممعزل عن محددات أخرى لها أيضاً

الهوامش

37 - "استراتيجية المغرب للتخفيف من التداعيات الاقتصادية والاجتماعية لجائحة كورونا"، نوفل الناصري، م س. 2020

38 - نفسه

39 - نفسه

40 - فتح الله ولعلو. العولمة والجائحة. أوراق من زمن الحجر الصحي Policy Center For The New South. ص. (39-40)



- متغير حالات الإصابات:

الرتبة	الدولة	عدد الإصابات
1	العراق	397.780
2	السعودية	338.539
3	المغرب	146.383
4	قطر	127.600

المغرب مصنف في الدول الثلاثة الأولى من حيث عدد الإصابات، إذ بقيت خلفه 18 دولة عربية عدد إصابات أقل، فعن أية خطة مغربية ناجحة نتكلم؟

- متغير حالات الوفيات:

الرتبة	الدولة	عدد الوفيات
1	العراق	9735
2	مصر	6029
3	السعودية	4996
4	المغرب	2530

احتل المغرب الرتبة الرابعة من حيث عدد الوفيات إذ بقيت خلفه 17 دولة عربية عدد وفياتها أقل، فعن أية خطة مغربية ناجحة نتكلم؟

- متغير المتعافين:

الرتبة	الدولة	المتعافون
1	العراق	328.097
2	السعودية	324.282
3	المغرب	123.022
4	قطر	124.559

شئى إيجابي أن يحتل المغرب الرتبة الثالثة على مستوى عدد حالات

الاستشفاء أو المتعافين، لكن بالمقابل علينا استحضار عدد حالات الإصابات التي وصلت إلى 146.262 إصابة، بينما لم تصل 13 دولة عربية عتبة 100.000 إصابة.

- متغير الحالات الإيجابية:

الرتبة	الدولة	الحالات الإيجابية
1	العراق	59.948
2	لبنان	28.313
3	تونس	21.458
4	المغرب	20.846

احتل المغرب الرتبة الرابعة من حيث عدد الحالات الإيجابية التي لا تزال تعالج، بينما توجد 17 دولة عربية في وضعية أفضل من المغرب على هذا المستوى، فعناية خطة مغربية ناجحة نتكلم؟

إذا اعتمدنا فقط على مقارنة الأرقام فإن المحصلات في عمومها مؤسفة وتبعث على القلق، لكوننا احتلنا رتبا متأخرة تضر بسمعة البلد، سواء تعلق الأمر بعدد الإصابات أو عدد الوفيات أو الحالات الإيجابية المتبقية. من هنا يصبح التساؤل مشروعاً حول علاقة هذه النتائج المخيبة للآمال مع الدعاية الكبيرة والقوية للخطة المغربية "الناجحة" أو الاستراتيجية "المميزة" التي نهجها المغرب لتدبير جائحة فيروس كورونا، والتي أريد لها أن تكون نموذجاً "يحتدى به"؟، فماذا جرى؟

صحيح أن المغرب اتخذ خطوات

استباقية متعددة وجريئة، استطاع بها إبطاء عمليات التوالد وتكاثر الفيروس، خاصة لما اعتمد أمرين اثنين هما: ضمان أرزاق شرائح مجتمعية مهمة متضررة من الآفة، ثم تنزيهه قرار حالة الطوارئ الصحية الذي تعزز بإجراء "العزلة الصحية"، وذلك على امتداد حوالي ثلاثة أشهر ونصف (من 20 مارس إلى 20 أبريل + من 20 أبريل إلى 20 ماي + من 20 ماي إلى 10 يونيو + من 10 يونيو إلى 30 يوليو) ليعيش المغاربة طوال تلك الأيام على إيقاع اخبار وجهود وزارة الصحة وصوله وجولان رجال الأمن والعسكر والسلطات المحلية. لذا كان مفهوماً أن تصدر تلك التنبيهات والإشارات بالخطة المغربية في تدبير الجائحة، خاصة وأن حالات الإصابة انتقلت فقط من 66 إصابة في 20 مارس إلى 8920 إصابة في 30 يونيو، ومن 3 حالات وفاة إلى 87 وفاة في نفس المدة، أي خلال 103 أيام.⁴¹

إلا أنه بعد رفع الحجر الصحي، وتخفيف حالة الطوارئ، بدأ الوباء، كما يقول الحبيب عكي، (يجتاح مدن وقرى المنطقة بشكل خطير، ويستبيح عافيتها وعزلتها، وهامو التوتر والسخط والحيرة تتنامى بين أبناء المنطقة)⁴². وتركي هذا الانفلات بالترخيص للفلاحين ببيع أكباش عيد الأضحى، والسماح لبعض الأسواق بالبيع، وللمواطنين باقتناء أضحاهم. فالجميع يعلم حجم الحركة الاقتصادية التي تحدث في هذه المناسبة من خلال تنقل الشاحنات والسيارات في مختلف مدن وقرى البلاد، الشيء الذي عزز



ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

يعرض على مجلس الحكومة إلا في 22 مارس (2020)⁴⁵. فهذه المادة -حسب المعطي منجب- تمثل (خرقا واضحا للدستور واعتداء على السلطة الشرعية، وعلى القيمة الاعتبارية لرئيس الحكومة. كما تشكل تراميا على صلاحيات البرلمان بغرفتيه)⁴⁶، (معنى هذا أن ممارسة حالة الطوارئ في البداية لم تكن تستند إلى سند دستوري أو قانوني).

• **رئاسة مجلس النواب:** نظرا لظروف الجائحة، فقد تم التوافق على حضور عدد محدود من البرلمانيين والمستشارين في الغرفتين معا بدل حضور الجميع. فهذا الوضع -حسب المعطي منجب- أثار سخرية الرأي العام المغربي لأن (رئاسة مجلس النواب أصبحت تحتسب النواب المتغيين بسبب ظروف الحجر الصحي كحاضرين، بل وكمصوتين على اعتماد القوانين. وهذا خرق واضح للدستور المغربي الذي لا يعترف بالتفويض في التصويت)⁴⁷.

وبالباقي من رفع أصواتهم للتعبير عن آرائهم فيما جرى ويجري، وهذه نماذج من ذلك:

• **حالة الطوارئ الصحية:** أثارت مسألة الإعلان عن حالة الطوارئ الصحية مجموعة من التساؤلات، ذلك أنه (لم يرد في الدستور المغربي لسنة 2011 عبارة حالة الطوارئ أصلا أو اشتقاقا كما هو الحال في الدستور المصري لسنة 2014 م(159) والدستور الجزائري لسنة 2016 م(105)، وإنما نص الدستور المغربي على إمكانية إعلان حالة الاستثناء أو حالة الحصار)⁴³. أمام هذا الفراغ الدستوري لجأت السلطات المغربية - من خلال بلاغ مشترك بين وزارتي الصحة والداخلية يوم 18 مارس 2020- إلى تقييد حركة الناس وأمرهم بملازمة بيوتهم)⁴⁴. وفي 19 مارس 2020 أعلنت وزارة الداخلية أن البلاد ستعرف حالة طوارئ صحية بداية من 20 مارس إلى 20 أبريل 2020، بينما (المرسوم بقانون 2.20.292 المتعلق بسن أحكام خاصة بحالة الطوارئ الصحية لم

حظوظ تكاثر وانتشار هذا الفيروس. يضاف إلى ذلك الإصرار على عدم تأجيل الدخول المدرسي حتى تتضح الرؤية وتتهيأ الشروط. كل هذه الأسباب ساهمت في إحداث تطور مهمول بين فترة الحجر وما بعد رفع الحجر، إذ سجل المغرب في 9 أكتوبر 2020 بالضبط 146.398 حالة إصابة و2.530 حالة وفاة و20.846 من الحالات الإيجابية، الشيء الذي يعكس لنا الفارق الكبير بين المرحلتين.

IV. قراءة في التدبير المغربي لجائحة كوفيد 19

إن الرعب الذي خلقتة جائحة كوفيد 19، والخوف الذي نشرته في البلاد والعباد، والآلة الإعلامية الجهنمية التي سوقت لها، والإجراءات والتدابير التي اقتحمت الأسوار وخرقت الجدران حتى أصبح الصغير يتفزع منها قبل الكبير، وحالة الطوارئ الصحية والعزلة الصحية اللتان رهنتا المواطنين في بيوتهم... كل هذه الشروط لم تمنع عددا من المفكرين

الهوامش

41 - "حلقات مفقودة بين السلطة والمواطن في تدبير جائحة "كورونا"، الحبيب عكي. موقع العمق المغربي 2020.

42 - نفسه، ص: 49.

43 - الدستور المغربي 2011. الفصلين: 59 و74.

44 - "فيروس كورونا المستجد: إلى أي حد التزمت الدولة بالدستور؟" عبد الرحمان علا، موقع المعهد المغربي لتحليل السياسات. 2020.

45 - نفسه

46 - نفسه

47 - نفسه

بها)⁵⁸.

الخلاصة

المشكلة الكبيرة التي عاشها المغرب، ولا يزال يعيشها مثل عدد من دول العالم، هي الفصل بين مكونين أو طرفين رئيسيين في كل عمليات التغيير الكبرى، بحيث لا يمكن الاستغناء عن أحدهما وإلا كانت المحاولات الإصلاحية أو التغييرات ضعيفة. فالدولة بكل مؤسساتها وأجهزتها(الملك/الحكومة/ البرلمان/ القضاء...) عاجزة وحدها عن القيام بإصلاحات نوعية وناجعة تستوعب من خلالها المجتمع بكل أو بمعظم مكوناته وهيئاته ومنظماته ومواطنيه.

كذلك الشأن بالنسبة للطرف الثاني المتمثل في هيئات المجتمع المدني والأحزاب السياسية والمنظمات الحقوقية والنقابية وعموم المواطنين. فإذا لم توفر الدولة لهذا الطرف الشروط الضرورية المؤطرة لسلوكه وممارساته، والتسهيلات اللازمة لتفريغ طاقاته، فإنه عادة ما يلوم الطرف الأول ويحملة المسؤولية وينقم عليه، بل ويتحول إلى معرقل لكل مشاريعه بدعوى القيود والعراقيل والكمائن التي ينصبها بين يديه.

صحيح أن الدولة المغربية قد تبنت خطة متميزة، وبذلت جهودا كبيرة من أجل محاربة فيروس كورونا من خلال منظومة من الإجراءات والتدابير المختلفة، إلا أن مخرجات هذه الخطة كانت ضعيفة إن لم نقل فاشلة بسبب

عموما منذ ظهور الجائحة، ولن يشوش على هذا المعطى ظهور بعض الجمعيات -من خلال القنوات التلفزيونية المغربية الأولى والثانية- وهي تجوب بعض الأزقة والأحياء رفقة السلطات المحلية. ذلك أن (تفويض الحكومة تدبير الحجر الصحي لوزارة الداخلية) - كما هو واضح وصريح في المادة الثالثة من مرسوم رقم: 2.20.293 المتعلق بإعلان حالة الطوارئ الصحية بسائر أرجاء التراب الوطني، لم يترك مجالاً لأي تأويل، الشيء الذي جعل عبدلطيف وهبي - أمين عام حزب الأصالة والمعاصرة- يؤكد (أن رئيس الحكومة سعد الدين العثماني تخلى عن مهامه الدستورية بعدما تخلى عن دوره في التنسيق والتفويض بين القطاعات الوزارية)⁵⁴، في الوقت الذي (منح فيه صلاحيات أوسع للولايات والعمال) عمل على (تهميش وإقصاء المؤسسات المنتخبة وإبعاد دور مجالس الجهات)⁵⁵. بل إن نواباً من حزب العدالة والتنمية تقدموا بسؤال شفوي إلى وزير الداخلية حول أسباب تهميش دور الجماعات المحلية من تركيبة اللجنة المستحدثة لجائحة كورونا⁵⁶. أما النائبة أمينة ماء العينين فقرار وزير الداخلية عندها (مخجل ومهمش للمنتخبين المحليين في إدارة الجائحة)، إذ تسلمت (مقاليد التدبير المجالي محل المنتخبين)⁵⁷. كما أعلن الحزب الاشتراكي الموحد صراحة رفضه الشديد لاستبعاد (كل قوى المجتمع، من أحزاب سياسية ونقابات وجمعيات.. في تدبير تداعيات الجائحة، وعدم الأخذ برأيها مقابل انفراد وزارة الداخلية

• حضور الملك ثم وزير الداخلية مقابل تهميش الحكومة برئيسها: يؤكد علال عبد الرحمن أن المواجهة المغربية للجائحة اتسمت (بالحضور التنفيذي للملك سواء بصفته أميرا للمؤمنين أو بصفته قائدا أعلى للقوات المسلحة)⁴⁸، ويقول المعطي منجب (إن تدبير كورونا "مجال محفوظ للملك"، وأن كل ما اتخذ من قرارات مهمة بهذا الشأن "يخرج من القصر الملكي")⁴⁹، الشيء الذي أدى إلى (تهميش لا دستوري لرئيس الحكومة والبرلمان والأحزاب السياسية). أما هشام المنصوري فإنه يرى أن النظام المغربي، خلال الأزمات السياسية، يعمل على (حجب عمل الحكومة والأحزاب السياسية، التي انزوت إلى الخلق واكتفت بالمراقبة ومباركة التدابير المتخذة)⁵⁰، وبالمقابل يبرز (الملك ووزراء السيادة - الذين فرضهم القصر على الحكومة- بمعينة عدد من التكنوقراطيين)⁵¹ وبخصوص عادل نجديف فإنه يصرح بأن المكتب السياسي للحزب الاشتراكي الموحد عبر في بيان له عن امتعاضه (من تمكين سلطات وزارة الداخلية من الانفراد بمسؤولية وصلاحيات تدبير مختلف تداعيات جائحة كورونا مع هيمنة عقليتها ومقاربتها الأمنية)⁵². كما أبدى الحزب استغرابه الشديد (لتنازل رئاسة الحكومة عن صلاحيتها لوزير الداخلية).⁵¹

• تهميش المنتخبين وجمعيات المجتمع المدني: كان لافتا الغياب الكلي أو شبه الكلي للأحزاب السياسية والمنتخبين

ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

فكيف يراد لها اليوم، بين عشية أو ضحاها، أن تخرج من مرقدتها لتبني الأجيال وتقاوم الجهل والامية وتنتصب في وجه الظلم والاستبداد؟ لقد أخطأت الدولة موعدها مع هذه الجائحة، كما أخطأت هذه الجمعيات والأحزاب شرف المقاومة والنصر. ■

الأجسام؟ فهل أخطأت موعدها مع التاريخ أم أنهم أخذوا على غرة؟. ذلك أن صورة الجمعيات والأحزاب السياسية، إضافة إلى صورة رجال التعليم والوزراء والبرلمانيين والمنتخبين عموما.. ظلت على مدى عقود من الزمن مشوهة وبئيسة ومعرضة لكل أشكال الإهانة والقذف...

الارتفاع الصاروخي لعدد حالات الإصابات والوفيات التي لم تتوقف.

ترى ما سر غياب الجمعيات والأحزاب السياسية عن مشهد صراع الدولة ضد هذا الفيروس؟، وهل هو غياب أم تغييب؟ متى تقوم الدولة بدورها لمواجهة هذا الفيروس الذي يحصد الأرواح ويحطم

الهوامش

48 - مقال لعبد الرحمان علال، فيروس كورونا المستجد: إلى أي حد التزمت الدولة بالدستور، م س.

49 - "أزمة كورونا تفضح المستور في «الديمقراطية» المغربية"، المعطي منجب، م س، 2020.

50 - نفسه

51 - نفسه

52 - "جدل مغربي حول إدارة الطوارئ الصحية"، عادل نجدي، موقع العربي، 2020.

53 - نفسه

54 - نفسه

55 - "جدل مغربي حول إدارة الطوارئ الصحية"، عادل نجدي، موقع العربي، م.س. 2020.

56 - نفسه

57 - نفسه

58 - نفسه

المراجع والمواقع الالكترونية المعتمدة:

1- موقع فرانس 24

2- مدونة الجزيرة

3- موقع الحرة

4- موقع الصحيفة

5- موقع وزارة الأوقاف وش. الإسلامية

6- الجريدة الرسمية

7- مركز السياسات من اجل الجنوب الجديد

8- موقع البوابة الوطني

9- احداث أنفلو

10- موقع العمق المغربي

11- موقع المعهد المغربي لتحليل السياسات

12- موقع العربي

13- العربي الجديد

14- ابن خلدون. المقدمة.

15- بروديل، هوية فرنسا، م2 الناس والأشياء.

ملف المدد

النظام الدولي ما بعد كورونا... أية سيناريوهات؟؟؟

آمال بنبراهيم

باحثة في العلاقات الدولية
والدبلوماسية

إسماعيل الرزاوي

باحث في العلاقات الدولية
والدبلوماسية
كلية العلوم القانونية
والاقتصادية والاجتماعية سلا

الصين وروسيا وثنائهما الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي، وهو صدام لا مناص منه لرسم ملامح عالم جديد متعدد الأقطاب والهويات⁴.

وينشغل الخبراء اليوم بالتمعن بما سينتج عن جائحة كورونا من تحولات على مستوى السياسات المحلية للدول، وكذلك على مستوى التغيرات التي ستطال منظورات القوى الكبرى واستراتيجياتها، حيث ستتنافس هذه القوى على استشراف أي تحول حتى تضمن بقاء موقعها في خريطة القوة العالمية.

تحاول الورقة التالية معالجة تداعيات أزمة كورونا على العالم وما يفترض أن تحدثه من تغيرات على المستوى الدولي سواء في شقه الاقتصادي المرتبط بمآلات العولمة ومستقبل الاقتصاد الدولي (الجزء الأول) أو في شقه السياسي، من خلال رصد ظاهرة التنافس المحموم بين الصين والولايات المتحدة حول قيادة النظام الدولي من جهة، وما ستخلفه

والاعتماد المتبادل، إذ كشفت النقاب عن الجوانب السلبية للعولمة ولفلسفة التكامل والاندماج الدوليين بكل مظاهرهما (اقتصادي، سياسي، اجتماعي، وأمني)، كما وضعت المؤسسات الدولية تحت مجهر الحقيقة مسلطة الضوء على عجزها في مواجهة الأزمة وعن تقديم أي مساعدات للدول المتضررة، بل وعجزها أيضا على القيام بوظيفتها المتمثلة في ضمان استقرار النظام الدولي اقتصاديا وماليا. كورونا المستجد فرض إيقاعه على دول العالم وشعوبها، وأصبح عنوانا لأي إجراء اقتصادي أو سياسي أو اجتماعي تتسابق الدول والحكومات لاتخاذ هبغية وضع حد لانتشاره السريع الذي خلف وراءه حتى الآن أكثر من 6.287.771 مصابا، وأودى بحياة 379.941 شخصا عبر العالم³

إن ما يعيشه العالم اليوم ينذر بأن العالم المقبل على كارثة اقتصادية وركود وإفلاس مالي -بنكيتتجاوز أزمة 2008 بل يتجاوز حتى أزمة 1929. كما ينذر بحرب باردة جديدة، وصدام بين حضارتين وأولهما الشرق بقيادة

إن الحديث عن النظام الدولي¹ والحاجة إلى تغييره ليس بالأمر المستجد فهو حديث مصاحب للنظام الدولي منذ تأسيسه وخصوصا بعد تفكك الاتحاد السوفياتي ونهاية القطبية الثنائية إلا أن الجديد في الأمر أن الحديث عن التغيير هذه المرة لا يتعلق باختلالات في موازين القوى العسكرية أو بحروب بين الدول العظمى كما جرت العادة، بل بخطر من خارج النظام يهدد كل البشرية، والمتمثل في تفشي فيروس أو وباء كورونا غير المرئي. لقد طرح انتشار فيروس كورونا أسئلة حول مستقبل النظام الدولي وما إذا كان تفشي الوباء سيشكل نقطة تحول في موازين القوى والعلاقات الدولية².

ومع تزايد الإجراءات اتو التدابير للتصدي لتفشي فيروس كورونا المستجد، والتي تضمنت حظر العديد من الدول السفر منها وإليها، بدت جائحة كورونا بمثابة الامتحان العسير لمفهوم العولمة

ملف العدد : المغرب ومفاضات الجالعة

جديدة منالتحولالمرحلة إعادة رسم معالم رقعة المنتظم الدولي، وإعادة النظر في المفاهيم والمعايير. قدييدوللوهلة الأولى وكأن أزمة كوفيد19- تعمل على تعزيز وتقوية المؤسسات القائمة، فقد اضطلعت الدولة القومية التقليدية بالمهمة العاجلة المتمثلة في احتواء الفيروس وتداعياته الاقتصادية، ولم تلعب مؤسسات ما بعد الحرب المتعددة الأطراف سوى دور داعم. وحتى في أوروبا، تقود الدول القومية، وليس الاتحاد الأوروبي، الكفاح ضد الجائحة، مع ذلك، يشير هذا إلى اعتقاد خاطئ بوضوح. فالنظام الدولي يتألف من دول متنوعة الأحجام إلى حد كبير، بدرجات متفاوتة من القوة، لكنها جميعا تحتضن الأسطورة القديمة المتمثلة في السيادة الوطنية. والواقع أن هذا النظام، كما نعرفه، نشأ من رماد حروب أوروبا الدينية في القرن السابع عشر، وعمل على تعزيز ذاته من خلال الاستعمار ثم إنهاء الاستعمار الذي كان ذاته ردة فعل متولدة عن دول قومية جديدة⁷

فحسب باعتبارها مسرحا للعمليات، بل أن التغييرات التي طرأت على السياسة الخارجية الأمريكية انعكست بصورة كبيرة على العلاقات الدولية، وجعلت الساحة الدولية تعرف تغييرات أساسية في التحالفات والتوجهات⁹. لقد أثبتت السنوات التي تلت هجمات الثلاثاء الأسود الأمريكي أن ما يجري حول العالم هوتريسيخ لنظام عالمي تتصرف فيه الولايات المتحدة وكأنها في عالم وحيد القطب، مدعية على الدوام أنها تنطق باسم المجتمع الدولي، وموظفة الأحداث لخدمة مصالحها، إلا أنها ورغم الهيمنة التيمارستهاالعقودمعمية الشركات المتعددة الجنسيات، لم تنجح في منع صعود قوى جديدة أو عودة قوى تقليدية لمنافستها على الساحة الدولية فلا استطاعت أن تمنع الصعود الصيني ولا تمكنت رغم المحاولات العديدة والجهود الحثيثة من كسرالصمود الروسي.

واليوم وفي ظل تفشي وباء كوروناالمستجد، دخل العالم في مرحلة

تداعيات كورونا على تنظيمات إقليمية مؤثرة كالاتحاد الأوروبي من جهة ثانية (الجزء الثاني).

1. العالم ما بعد كورونا... أية تحولات؟

قبل 29 عاما، بشر الرئيس بوش الأب في لقائه مع الكونغرس الأمريكي نظام دولي جديد مبني على سيادة الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، "إننا نتطلع إلى نظام عالمي جديد يصبح أكثر تحررا إزاء التهديد بالإرهاب وأكثر مناعة في إقرار العدالة، وأكثر أمنا في السعي من أجل السلام، إننا نتطلع إلى عالم جديد يسوده القانون بدلا من شريعة الغاب وتعترف فيه الأمم المتحدة بمسؤولياتها المشتركة في تحقيق الحرية والعدالة"⁵.

وبعد الأحداث التي عرفتها الولايات المتحدة الأمريكية في 11 من سبتمبر 2001، شهد العالم تحولات وتغييرات في مسار النظام الدولي، فتداعيات الأحداث لم تقتصر على الولايات المتحدة الأمريكية

الهوامش

- 1 - يمكن تعريف النظام الدولي على انه تجمع يضم وحدات سياسية مستقلة تتفاعل فيما بينها بتواتر معقول وفقا لعمليات منتظمة، وتلعب القوة دورا رئيسيا في التفاعل بين هذه الوحدات. وإذا كانت معظم الدراسات التي تناولت النظام الدولي قد اعتبرت الدولة هي الفاعل الأساسي في السياسة الدولية، فان هناك عددا آخر من الدراسات تتبنى وجهة نظر اشمل وتدمج في النظام الدولي فواعل أخرى، كالمنظمات الدولية والشركات متعددة الجنسيات، والأفراد.. ينظر جهاد عودة، النظام الدولي نظريات وإشكاليات، دار الهدى للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2005، ص 10
- 2 - إبراهيم أبراش، النظام الدولي ليس بالتماسك الذي يعتقده البعض. ها هويتغير.. على الموقع <https://middle-east-online.com> اخر زيارة 3 يونيو 2020
- 3 - إحصائيات 04 يونيو 2020 على الساعة 20.52
- 4 - محمد الطايح، "نهاية عالم... كورونا" يضع البشرية أمام تاريخ جديد"، جريدة المساء، عدد 4151، بتاريخ 31 مارس 2020، ص 08
- 5 - باتريك هرمان وآخرون: النظام العالمي الجديد، القانون الدولي وسياسة المكياين، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى 1995 ص (32-31).
- 6 - عبد القادر رزيقالمخادمي، النظام الدولي الجديد، الثابت... والمتغير، طبعة رابعة منقحة ومزودة 2010، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 127
- 7 - يوشكا فيشر، "الفيروس الذي غير العالم"، جريدة الوطن، العدد 9012، بتاريخ 06 مايو 2020، ص 17

1. فيروس كوفيد 19- امتحان لمبادئ العولمة :

انطلقت العولمة نهاية الحرب العالمية الثانية مع ميثاق هافانا عام 1947، مباشرة بعد مؤتمر برتونوودز الذي قاده صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للإنشاء والتعمير بواشنطن، وكان أهم ما جاء في هذا الميثاق هو الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة GATT، لكن انقسام العالم إلى كتلتين متصارعتين في إطار الحرب الباردة التي تزعمتها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي، لم يمنح النفس اللازم للاتفاقية الجديدة التي لم تصادق عليها آنذاك سوى 23 دولة، وبسقوط حائط برلين وانقراض مؤتمر GATT بمراكش عرفت الاتفاقية منعطف تاريخيا، حيث تحولت إلى منظمة التجارة العالمية والتي وقعت عليها 117 دولة في بداية 1994.

كان مؤتمر مراكش الدولي بداية إرساء نظام عالمي جديد قاعدته الرئيسية والأساسية هي تحرير التجارة العالمية وإقامة مناطق حرة، لكن بنيتها العميقة كانت نهاية رعاية الدولة الوطنية تحت غطاء تشجيع حركية الإنتاج ورؤوس الأموال والاستثمارات وخفض الحواجز الجمركية، لتسود النيوليبرالية وتنهار معها الحدود والسيادة التقليدية للدول الراعية.⁸

لقد بلغت العولمة، لحدود ظهور فيروس كورونا، أوج عطائها وحدودها التوسعية القصوى، معجلة بإيقاف زحفها الدولي عاجلا أو آجلا، غير أن الوباء سرع التاريخ وشكل امتحانا عسيرا لها، وتهديدا

لفكرة أن العولمة هي " المرحلة العليا من الرأسمالية"، منذرا بانهيائها أو على الأقل بانهييار عدد من مفاهيمها التي أضحت وكأنها أمر حتمي، فالعولمة في نظر الكثيرين لم تكن الحل الأمثل للبشرية ولم تجد حولا لأزمات العالم المتمثلة في الفقر وسوء الأنظمة الصحية والتعليمية، بل عمقت الفجوة بين دول العالم المتقدمة والنامية، بل وبشرت بنهاية الدولة والتي كانت أدبيات العولمة تصورها على أنها الدولة المتسلطة المحتركة لكل مناحي الحياة العامة.

لقد أثار تأثير الجائحة على العولمة الكثير من الجدل والنقاش، بين مؤيدين لانهيائها أو "تقلصها" وبعث الدولة

الوطنية ومعها السيادة الوطنية، ومعتبرين الجائحة بمثابة المنعطف التاريخي الذي ستتغير معه المعايير والمبادئ العالمية، حيث يرى كابلان أن جائحة كورونا ستكون الحدث السياسي والاقتصادي الأهم الذي سيدشن معظم الاضطرابات الجيو سياسية المحتملة في العقد المقبل، وسوف يتعمق في أعقابه نموذج جديد للعولمة تدخل إليه البشرية، ولن يكون أيضا نهاية للتاريخ، وهو الطرح الذي يؤيده الاقتصادي البريطاني فيليب ليجرين، حيث يرى أن جائحة كورونا سيكون لها تأثير دائم، مرجحا أن تكون بمثابة هدية للقوميين الوطنيين الذين يريدون ضوابط أكبر للهجرة والتنقل، وستعيد كذلك الاعتبار لأزمة المناخ والوعي البيئي والاستدامة.

ويرى ليجرين أن القادة الليبراليين الذين يتحدثون بعبارات لطيفة عن الحاجة إلى التعاون العابر للحدود في مواجهة تهديد مشترك، فرضوا قيودا على السفر والتجارة أكثر قسوة مما تجرأ الرئيس الأمريكي دونالد ترامب على فرضه في ذروة صراعه مع الصين العام الماضي. واعتبر أن أزمة جائحة كورونا تهدد بالدخول إلى عالم أقل عولمة، وبمجرد أن يخف الوباء والذعر، فإن أولئك الذين يعتقدون أن الانفتاح على الناس والمنتجات من جميع أنحاء العالم هوشية جيد، بشكل عام، سيحتاجون إلى الدفاع عن ذلك بطرق جديدة ومقنعة، بحسب مقال ليجرين لصحيفة فورين بوليسي الأمريكية.⁹

هذا التيار المؤيد لنظرية انهيار العولمة يقابله توجه آخر يقلل روادهم تأثير أزمة كورونا المستجد على العولمة باعتبارها اتجاها تاريخيا لن يتوقف عن المضي قدما رغم أنها قد تواجه بعض الانتكاسات وسط الوباء، مشيرين في الوقت نفسه إلى ضرورة قيام البلدان بتعزيز التنسيق والتعاون في معالجة القضايا العالمية، وكذا في تحسين نظام الحوكمة العالمية.¹⁰

ويؤكد فرانسيس فوكوياما، أن جائحة كورونا ستوفر للدول إمكانية الرد والتفكير بسرعة، وستقدم العديد من الشركات على الحد من تعاملاتها الخارجية، لاسيما خدمات التزويد بالمواد الأولية والسلع، وذلك على المستويين المحلي والدولي، إذ سيكون من السخيف القول بأن الشركات العالمية ستعاني

ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

إن أيتراجع للعملة ولوعلى المدى المتوسط، أو أيتغير لمبادئها سيسفر بالضرورة عن تغير في المفاهيم التقليدية كالأمن والصحة والتعليم والحكامة والتنمية العالمية، وهو ما يحتم على الدول أن تطور نظاما وحكامة جديدين يجعلان العملة التي أبانت عن وجهها للأخلاقي واللاإنساني، أكثر استجابة لحاجيات المجتمعات.

2. كورونا والأضرار الاقتصادية: ارتفاع البطالة وأزمة غذاء متوقعة:

مع تفشي فيروس كورونا في شتى أنحاء العالم، كانت الإشكالية هي حماية البشر من الإصابة، لكن مع استمرار الفيروس في الانتشار باتحتواء الأضرار الاقتصادية العالمية الهم الأكبر للدول الم أزمة، لذا بادرت العديد من الدول إلى وضع العديد من البرامج التحفيزية كتخفيض أسعار الفائدة بتزامن مع قرارات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي تقديم

من الخسائر المحلية الصينية، إنسانياً واقتصادياً. وعلى نحو ما، أظهرت أزمة الفيروس وسرعة انتقاله بين قارات العالم السبع الترابط الإنساني العالمي وتداخل مصائر البشر في كل دولهم الوطنية، سواء في النواحي الصحية أو التعليمية، الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية، لقد كشفت الأزمة عن تشابه عالمي في الهموم والمشاكل، من اختبار حكمة الزعامات السياسية في مواجهة الأزمة، والاضطرار لتبني التعليم الإلكتروني، والعناء الاقتصادي المقلق للفئات الأشد فقرا في المجتمع، وإعادة تعريف الصلات الاجتماعية وانتشار العنف الاسري وغيرها، بل وحتى في أساليب السخرية من الفيروس. منها تبدو هذه الأزمة مثالا إضافيا على العملة الحتمية للتجربة الإنسانية بكل تنوعاتها الوطنية والفردية التي ينبغي أن تساهم في اتساع مفهوم العملة وجعله أكثر تعددية وديمقراطية وتعاوناً وإيماناً بالعدالة الاجتماعية.¹²

من شح في الموارد الأساسية، سيجبرها لا محالة على التعويل على «الاكتفاء الذاتي» بغية الاستمرار في المنافسة الدولية. يتوقع أيضا، أن يتراجع الإنتاج الدولي، إلى مستواه منذ ما يقرب من 50 سنة مضت، أما بخصوص حدوث «تقلص للعملة» فمن الوارد أن يكون، لكن أثره لن يمس عمق العلاقات الدولية¹¹. إن ما يعيشه العالم ليس انهيارا للعملة بقدر ما هو فرصة لتطويرها وأسننتها أكثر، من أجل تجنب الأخطاء التي قادت إلى الأزمة الحالية. وهو الطرح الذي تبناه الكاتب والأكاديمي العراقي عباس عقيلي مقالته "فيروس كورونا.. عملة المشاكل والحلول" معتبرا أن الصين عندما قررت في لحظة قلق سيادي على السمعة الوطنية ألا تشارك العالم ومؤسساته الدولية المعنية كامل المعلومات المتوفرة لديها عن الفيروس، تحول الفيروس بسرعة من مشكلة وطنية صينية كان يمكن احتواؤها هناك إلى مشكلة عالمية يعاني منها الجميع وبخسائر أعلى بكثير

الهوامش

8 - عبد العزيز كوكاس، "سيناريوهات عالم ما بعد كورونا، قطبية جديدة واستبدال رقمي وعودة الدولة الوطنية"، جريدة المساء، العدد 4201 بتاريخ 31-30 ماي 2020، ص. 06

9 - هشاشة النظام.. هل تنهي جائحة كورونا العملة التي نعرفها أم تدخل مرحلة أخرى؟، موقع الجزيرة، <https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2020/3/21/%D9%87%D9%84-%D8%AA%D9%86%D9%87%D9%8A-%D8%AC%D8%A7%D8%A6%D8%AD%D8%A9-%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%88%D9%84%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A>، آخر زيارة 04 أبريل 2020.

10 - مقالة خاصة: كيف سيدو العالم بعد جائحة فيروس كورونا الجديد؟، موقع arabicnews،

11 - François Guillaume Lorrain ; « Fukuyama : Nous allons revenir à un libéralisme des années 1950-1960 », le point ; numéro 2485 , le 9 avril 2020, p.91-92

12 - عقيل عباس، " فيروس كورونا.. عملة المشاكل والحلول"، 24 أبريل 2020، <https://www.skynewsarabia.com/blog/1339372-%D9%81%D9%8A%D8%B1%D9%88%D8%B3-%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7-%D8%B9%D9%88%D9%84%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B4%D8%A7%D9%83%D9%84-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%84%D9%88%D9%84>، آخر زيارة 10 أبريل 2020.



أن تفاقم الأزمات التي تواجه سلاسل القيمة العالمية، وتزيد مستويات عدم اليقين المرتفعة بالفعل، بل والأكثر أهمية أنه ينبغي على الحكومات أن تتجنب فرض قيود على الصادرات من الأغذية والمنتجات الطبية الضرورية، والعمل بدلا من ذلك على مساندة زيادة الإنتاج وضمان تدفق الموارد إلى حيث تزداد الحاجة إليها. والخلاصة هي أن الدرس الذي يجب أن يعيه واضعو السياسات ليس هو الانطواء على الذات بل تشجيع منشآت الأعمال على الحفاظ على مستويات أعلى من المخزون.¹⁴

فإذا أخذنا على سبيل المثال الولايات المتحدة الأمريكية، فنسجد أن الأرقام الخاصة بالاقتصاد الأمريكي وحدها كفيلة بالإجابة، فقد أعلنت الولايات المتحدة عن تراجع الناتج المحلي الإجمالي بنسبة 4.8% على أساس سنوي في الفصل الأول، بعد نمو مستمر منذ عشر سنوات¹⁵. فعندما تسلم الرئيس دونالد ترمب مهامه في البيت الأبيض كانت قيمة الدين الأمريكي تبلغ 19.9 ترليون دولار، لكن الأرقام الحالية باتت صادمة إذ بلغ مستوى الدين أخيرا 23.5 ترليون دولارا ما يشكل 109% من الناتج المحلي الاجمالي الأمريكي. غير أن قيمة الدين المترتبة على الأفراد والشركات تبدو أكثر رعبا لصانعي السياسة إذ بلغت أخيرا 76.8 ترليون دولار (ضعفي دين الحكومة الأمريكية) هذا الرقم يزداد 6.5 مليون دولار في كل دقيقة وهو ما يجعل الأفراد والشركات مهددين في بتعطل أعمالهم

محدوديته في الزمان والمكان.

وإذ كشف هذا الوباء عن هشاشة الأسواق وضعف الحكامة وكفاءة المسؤولية بتلك الدول، فإن الاقتصاد العالمي سيعرف لاحقا شللا في شبكات التوزيع والتموين، مما سيؤدي إلى ظهور تغييرات جوهرية في موازين القوى الاقتصادية، الأمر الذي سيدفع بالكثير من الدول إلى الاهتمام الكلي بإعادة بناء اقتصادها الوطني وترتيب الأولويات الملحة، التي تسد الحاجيات الضرورية لمواطنيها، دون اللجوء إلى استيراد تلك المواد من جهات أخرى.

إن انتقال الأضرار يحدث على الأرجح من خلال قنوات عديدة أولها التجارة، فسلال القيمة العالمية ستتتعطل نتيجة توقف المصانع وتأخر استئنافها لأنشطتها، كما سيعرف تدفق رأس المال الأجنبي تراجعا عن البلدان المتضررة من تفشي الفيروس، إضافة إلى تراجع رأس المال المحلي البشري والمالي والذي بات غير مستغل بعد إغلاق المصانع ومكوث العمال في منازلهم، زد على ذلك أن قطاعي النقل والسياحة اللذان يشكلان رافدا رئيسيا للإيرادات في العديد من البلدان النامية سينكمشان مع تراجع الطلب وزيادة القيود على السفر، وأخيرا سيؤدي الهبوط الحاد في أسعار السلع الأولية إلى أضرار بالبلدان النامية التي تعتمد عليها من أجل تأمين الإيرادات التي تحتاج إليها بشدة. لكل هذا سيكون على الحكومات تجنب اللجوء إلى السياسات الحماية التي يمكن

مالية للتغلب على الأزمة الصحية والحد من الخسائر الاقتصادية. لكن سيتعين على جميع البلدان بما فيها تلك التي لم يتم تسجيل حالات إصابة بالفيروس، اتخاذ خطوات ملموسة على صعيد السياسات لحماية مواطنيها والحد من الأضرار على اقتصاداتها، خصوصا وأنه لا أحد يستطيع التنبؤ عن يقين بالأثر الاقتصادي الكامل لتفشي الفيروس إلى متى ستستمر العدوى، وكم عدد البلدان التي ستبقى فيها، وما مدى استدامة وتضافر سياسات المواجهة المنسقة والسريعة التي يتم تبنيها، بيد أن الأكيد هو أن تفشي العدوى حدث مع مرور الاقتصاد العالمي بنقطة ضعف تزامنت مع بدء نهوضه منذ أدنى معدل شهده بعد الأزمة المالية التي حدثت عام 2009، ولهذا فإن تداعياته المثيرة للقلق على الاقتصادات النامية تحتمل على واضعي السياسات في كل مكان أن يدركوا أن الأضرار الاقتصادية يمكن أن تنتقل من بلد إلى آخر.¹³

لقد كان العالم قبل كورونا يمشي بخطى أكيدة نحو أزمة اقتصادية ومالية غير مسبوقة، لكن بحلول الجائحة، انكشف الستار الذي كان يحجب عن الأعين حقيقة هشاشة الاقتصاد العالمي. وليضع العالم أمام اختبار جدي، فكل المؤشرات تشي بأن الاقتصاد العالمي مفلس (حجم الدين العام يتجاوز حجم الناتج الدولي الخام)، ناهيك عن حجم الدمار الذي سيخلفه الوباء من دمار اقتصادي وسياسي واجتماعي، لا يمكن التنبؤ بمدى



ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

على الإمدادات العالمية للغذاء، وهذه كازاخستان وهي من أهم مُصدّري القمح في العالم، أوقفت إمدادات القمح إلى كافة الدول، وكذلك فعلت فيتنام والتي تعتبر ثالث أكبر مورد للأرز في العالم، وهذا يؤدي إلى الحمائية الغذائية لدى باقي الدول¹⁷. وربما هذا كان الدافع الرئيسي الذي جعل فرنسا تعتبر أن تأمين الغذاء وسط هذه الأزمة يعتبر أولوية مطلقة، فاستثنت النشاط الزراعي من القيود والإقفال الذي عمّ البلاد بعد وإبان أزمة كورونا.

3. المؤسسات العالمية، أي دور في زمن وما بعد كوفيد-19:

الكثيرون طرحوا اليوم السؤال عن سر اختفاء مؤسسات من حجم البنك الدولي، رغم خطواته الخجولة وصندوق النقد الدولي، بعد تفشي فيروس كورونا وكان لا بد للدول النامية أن تبحث عن جواب عن فشل السياسات التي ظلت توصي بها هذه المؤسسات الدولية والتي كان كل همها هو تحقيق مزيد من التوازن المالي حتى ولو على حساب

فعلى الأرجح سيتخلى المستثمرون عن الاستثمار في الدولار لصالح الملاذات الآمنة كالذهب الذي قد يشهد تذبذبات كبيرة في أسعاره خلال الفترة المقبلة. الأكثر خطورة أن استمرار الفيروس سيزيد من أعداد العاطلين عن العمل وبالتالي ارتفاع طلبات الإعانة¹⁶.

وفي هذا السياق، فإن فقدان الوظائف بسبب كورونا وارتفاع أعداد العاطلين عن العمل سيؤدي بدوره إلى الكساد ليس في الدول النامية فقط بل حتى في الدول العظمى، ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلا نه اقتصاديون متخصصون في الغذاء أمثال shub D bgupta إلى أن فيروس كورونا بدأ يؤثر على سلاسل الإمداد الغذائي في البلاد، كما أكدت شركة الاستشارات Fitch Solutions على أنها ترى مخاطر على جميع مستويات التوريد، من الإنتاج إلى التسويق، وهذا ما سوف يؤدي إلى تسارع تضخم أسعار الغذاء عالميا، وبالتالي سيسفر عن انخفاض القدرة الشرائية للمواطنين، وهوما طرحته أيضا منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (الفاو)، إذ أكد تبأن هنا كخطرا

في ظل الظروف الراهنة، وبالتالي عدم قدرتهم على سداد ديونهم، لاسيما أن الحكومة الأمريكية التي تحاول إنقاذهم هي نفسها مدينة بمبالغ ضخمة، ورغم أن الحكومة الأمريكية حاولت تفادي هذا الأثر عبر ضخ 6 ترليون دولار (2 تريليون منه للأفراد والشركات) وهي أكبر حزمة تحفيزية في التاريخ الأمريكي، إلا أنه من المحتمل أن يكون أثرها مؤقتا، فالأموال في الاقتصاد الأمريكي سريعا ما تتبخر بفعل طبيعة الاستهلاك الشرهة، وسيبقى الدين الأمريكي الذي بات كثقب أسود، يشكل خطورة غير مسبوقه في ظل اتساع الفجوة بين الإيرادات والنفقات (عجز الموازنة) الذي من المتوقع ان يبلغ أعلى مستوى في ثماني سنوات العام الحالي (أكثر من ترليون دولار).

من جانب آخر، فإن استمرار تفشي الفيروس بالولايات المتحدة الأمريكية سيكون خطيرا على مستوى تراجع قيمة الدولار، لا سيما أمام الأصول والمعادن النفيسة وقد تجد الإدارة الأمريكية نفسها محاصرة فتضطر إلى تخفيض نسبة الفائدة على الدولار من جديد لأن الفائدة الصفرية حاليا ستصبح سالبة،

الهوامش

13 - CeylaPazarbasioglu, «Agir vite pour limiter le préjudice économique du coronavirus dans les pays en développement », banque Mondiale Blogs, 09 mars 2020, <https://blogs.worldbank.org/fr/voices/agir-vite-pour-limiter-le-prejudice-economique-du-coronavirus-dans-les-pays-en-developpement>, vu le 01 Avril 2020

14 - الهام نجدية، "في زمن كورونا...الاتحاد الأوروبي إلى أين؟"، جريدة المساء عدد 4148 بتاريخ 27 مارس 2020، ص.7

15 - "أوروبا تغرق في كارثة كورونا اقتصادية"، جريدة الغد ، عدد 5646 بتاريخ 1 ماي 2020، ص. 8

16 - أسامة أبو عجمية، "المواجهة بين كورونا والدولار... النتائج قد تكون كارثية"، جريدة الغد ، 31 مارس 2020

17 - ناصر فرحات، "الفيروس التالي يدق أبواب الغرب.. أزمة غذاء"، موقع الميادين، 07 أبريل 2020، <https://www.almayadeen.net/articles/blog/1390582/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%8A%D8%B1%D9%88%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A7%D9%84%D9%8A-%D9%8A%D8%AF%D9%82-%D8%A3%D8%A8%D9%88%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B1%D8%A8---%D8%A3%D8%B2%D9%85%D8%A9-%D8%BA%D8%B0%D8%A7%D8%A1>



باعتبارها قطاعات اجتماعية.

اليوم يطرح السؤال الجوهرى حول مستقبل الاقتصاد العالمى بعد كورونا، هل يمكنه أن يتعافى بالسرعة الضرورية، أم انه سيعانى أكثر قبل أن يتمكن من تجاوزه عثرته وهل سيكون لمؤسسات مثل مؤسسة البنك الدولى وصندوق النقد الدولى وكل المؤسسات المانحة دور فى المرحلة المقبلة.¹⁸

لقد كشف الفيروس بمنتهى القسوة عن نقاط الضعف التى تعيب المؤسسات التى تعتمد عليها الغالبية العظمى من سكان العالم. ويشمل هذا الحكومات الوطنية والنظام الدولى. ومن غير المرجح أن تنجو الحكومات ولا مؤسسات النظام الدولى فى هيئتها الحالية من الأزمة، ولا ينبغي لها أن تنجو.¹⁹

تشير توقعات الأمم المتحدة إلى أنه فى حال لم يتحرك النظام الدولى بمختلف أطرافه الآن، فإن الوباء يمكن أن يفتطح ما يقرب من 8.5 تريليون دولار أمريكى من الاقتصاد العالمى على مدى العامين المقبلين، وهو ما سيدفع بـ 34.4 مليون شخص إلى الفقر المدقع هذا العام وربما 130 مليون شخص إضافى خلال هذه العشرية. وستسبب الشركات الفاشلة حالياً فعلياً فى زيادة البطالة. وتتوقع منظمة العمل الدولية أن تكون ساعات العمل العالمية فى الربع الثانى من عام 2020 أقل بنسبة 10.5 بالمائة مما كانت عليه قبل الأزمة، أى ما يعادل 305 مليون وظيفة بدوام كامل.²⁰

إذن ووفقاً لهاته المعطيات، فإن الدول التى انتشر بها فيروس كورونا اليوم وجدت نفسها غير قادرة وغير مؤهلة للتصدي له ولاحتواء تداعياته، خاصة البلدان منخفضة ومتوسطة الدخل والتى يشهد الكثير منها تراجعاً فى جهودها لتحقيق أهداف التنمية المستدامة. وهو ما يدفعنا للتساؤل حول مسؤولية هيئة الأمم المتحدة والمؤسسات المالية العالمية ومدى نجاعة أو فشل توصياتها فى جعل الدول قادرة على استباق الكوارث التى يمكن أن تلم بها؟ وماهى الإجراءات التى اتخذتها لمساعدة الدول على تجاوز محنتها؟

هيئة الأمم المتحدة:

تم إطلاق مبادرة مشتركة لتحديد وتسريع الجهود لاستجابة عالمية منسقة وشاملة ومتعددة الأطراف لدعم البلدان المحتاجة، ولمجابهة التأثيرات الاقتصادية والبشرية الهامة لكوفيد-19. والتقدم بحلول ملموسة للطائرة التنموية. كما تم إطلاق جهد تعاونى لتمكين النقاشات حول مقترحات محددة للتغلب على التحديات فى ست مجالات.

- الحاجة لتوسيع السيولة فى الاقتصاد العالمى والحفاظ على الاستقرار المالى لحماية مكاسب التنمية.

- الحاجة لمعالجة أوجه هشاشة المديونية بالنسبة لجميع البلدان النامية لإنقاذ الأرواح وسبل العيش لمليارات الناس فى جميع أنحاء العالم.

- الحاجة لخلق مساحة يستطيع

فيها دائن والقطاع الخاص الانخراط بشكل استباقي فى حلول فعالة وفى الوقت المناسب.

- المتطلبات الأساسية لتعزيز التمويل الخارجى والتحويلات من أجل النمو الشامل وخلق فرص العمل.

- تدابير توسيع الحيز الضريبي وتعزيز تعبئة الموارد المحلية عبر منع التدفقات المالية غير المشروعة.

- ضمان تعاف مستدام وشامل عبر موازنة سياسات التعافى مع أهداف التنمية المستدامة.²¹

البنك الدولى:

من جانبه اتخذ البنك الدولى حزمة من الإجراءات الجديدة والسرعة التى من شأنها أن تساعد البلدان النامية على تقوية الأنظمة الصحية وتدعيم مراقبة الأمراض ودعم تدخلات الصحة العامة، والعمل مع القطاع الخاص على تقليل تأثير ذلك على الاقتصادات. وسيجري تنسيق هذه المساعدات المالية على المستوى العالمى من خلال السحب من موارد المؤسسة الدولية للتنمية والبنك الدولى للإنشاء والتعمير ومؤسسة التمويل الدولية. وستنتج هذه الإجراءات مساندة مكافحة فيروس كورونا بموارد نموذجية أولية لمواجهة الأزمة تصل قيمتها إلى 12 مليار دولار، تتوزع عبر 8 مليار دولار منها موارد جديدة، ويضم هذا التمويل ما يصل إلى 2.7 مليار دولار تمويلاً جديداً من البنك الدولى للإنشاء والتعمير، و1.3 مليار دولار من المؤسسة



ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

دبلوماسية الكمامات موزعة الإمدادات الطبية اللازمة لمكافحة الجائحة على مختلف بلدان العالم، قرر الرئيس الأمريكي ترامب أن يجمد التمويل الأمريكي لمنظمة الصحة العالمية متهما إياها بمحاباة الصين وخدمة مصالحها.

1. تعامل الصين مع أزمة وباء

كوفيد19

تمكنت الصين، التي كانت أول من ظهر بها فيروس كورونا وتحديدا في مدينة ووهان من احتواء الجائحة والسيطرة على الوضع بفعل الإجراءات الصارمة التي اتخذتها ولاقت تحفظات عليها في البداية قبل أن تتحول إلى نموذج ملهم لدول تواجه الفيروس.

ويكشف نائب رئيس القسم العربي في وكالة الأنباء الصينية "شينخوا"، محمد زمان جهود الحكومة الصينية في مواجهة وباء كورونا لقد وضعت الحكومة كل إمكانياتها من أجل الحرب ضد كورونا، وتعاملت في سبيل ذلك بحزم كبير حيث وفرت لهم كل سبل الحياة، حتى لا يضطروا للنزول للشارع. كما أصدرت الحكومة في الصين نشرة صحية لجميع المواطنين

الخطوط الأمامية، وتشجيع المشاركة المجتمعية للحفاظ على ثقة الجمهور العام، وتحسين خدمات العلاج المقدمة للمرضى الأشد فقرا وسيسدي البنك أيضا المشورة بشأن السياسات والجوانب التقنية لضمان وصول البلدان الى الخبرات العالمية.²²

II . النظام الدولي ما بعد أزمة كورونا، تضارب في الرؤى؟

مما لا شك فيه أن الأزمة الراهنة بين الصين والولايات المتحدة على خلفية التجاذبات المستمرة بشأن " كوفيد 19 " أزمة سياسية أكثر منها أزمة علمية حول طبيعة الفيروس وطريقة نشأته وظروف انتشاره . ويتصاعد الحديث في الأوساط السياسية عن مستقبل النظام الدولي في ظل التنافس المحموم بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية في عالم ما بعد كورونا . في وقت كانت جل دول الع المتبذل جهدها للحد من ويلات جائحة كورونا، اختارت الإدارة الأمريكية أن توجه طاقاتها وفي أكثر من مناسبة إلى إلقاء اللوم على الصين في انتشار الفيروس، فحتى في وقت كانت الصين فيه تمارس

الدولية للتنمية على أن يستكمل بإعادة ترتيب أولويات ما قيمته مليارين من الدولارات من محفظة البنك الحالية، و6 مليارات دولار من مؤسسة التمويل الدولية منها مليار دولار من تسهيلات التجارة الحالية، كما تشمل الحزمة تقديم المشورة بشأن السياسات والمساعدات التقنية استنادا الى الخبرات العالمية والمعارف الدولية، وستوفر هذه المساعدات المالية منحة وقروضا منخفضة الفائدة من المؤسسة الدولية للتنمية للبلدان منخفضة الدخل وقروضا من البنك الدولي للإنشاء والتعمير للبلدان متوسطة الدخل، مع استخدام كل أدوات العمليات التي في حوزة البنك وتعجيل إجراءات الصرف وستزود مؤسسة التمويل الدولية، وهي درع مجموعة البنك الدولي بتعامل مع القطاع الخاص المتعاملين معها بالدعم اللازم لمواصلة عملهم والاحتفاظ بالوظائف، وستعطي العروض التي يقدمها البنك الدولي طائفة متنوعة من التدخلات لتقوية الخدمات الصحية والرعاية الصحية الأولية، وتعزيز أنشطة رصد الأمراض، ورفع التقارير عنها وتدريب العاملين الصحيين في

الهوامش

18 - "أوروبا تغرق في كارثة كورونا اقتصادية"، مرجع سابق، ص. 8

19 - يوشكا فيشر، مرجع سابق، ص. 17

20 - الحكومات والمنظمات الدولية تجتمع لمواجهة تحديات الاقتصاد والاستدامة، مركز الأمم المتحدة للإعلام، 29 أيار/مايو 2020، <https://sanaa.sites.unicnetwork.org>، تمت زيارته بتاريخ

01 يونيو 2020 على الساعة 12.45

21 - "تقرير اجتماع قادة العالم رفيع المستوى بشأن تمويل التنمية أثناء وما بعد كوفيد-19"، جريدة بيان اليوم، العدد 9014، بتاريخ 2 يونيو 2020 ص. 9

22 - "12 مليار دولار لمساعدة البلدان على التصدي لتفشي فيروس كورونا"، البنك الدولي، بيان صحفي رقم: EXC/2020/126.



الدول الكبرى المنافسة على نفسها، وبات هاجسها الوحيد إنقاذ مواطنيها من خطر كورونا.

وفي مبادرة رمزية لها دلالات كبيرة، أرسلت الصين طائرة إلى روما التي أصبحت مركز أوروبا لانتشار فيروس كورونا في الثاني عشر من مارس 2020، وعلى متنها تسعة خبراء في مجال الصحة العامة و31 طناً من الإمدادات الطبية بما فيها وحدة العناية المركزة، ومعدات الحماية الطبية، والأدوية المضادة للفيروسات²⁴، في الوقت ذاته عرض رجل الأعمال الصيني جاك ما، مؤسس مجموعة علي بابا، التبرع بتقديم 500 ألف وحدة لاختبار الإصابة بفيروس كورونا ومليون كمادة طبية للولايات المتحدة²⁵.

ولم تقتصر المساعدات الصينية على الدول الغربية فحسب، فقد أهدت الحكومة الصينية مصر ألف جهاز متطور للكشف عن فيروس كورونا، إضافة إلى تقديم الصين عرضاً، لتدريب الأطباء والفرق الطبية المصرية على اكتشاف الفيروس وطرف التعامل مع المصابين والحجر الصحي وغيرها من الطرق الحديثة للوقاية من الفيروس ومحاصرته.

ووصلت إل باديسأبأبا دفعة أولى من معدات وقائية طبية كان تبرع بها المليادير الصيني والشريك المؤسس لشركة علي بابا جاك ما لتوزيعها على الدول الإفريقية، وأرسلت الصين إلى الجزائر بعثة تضم مجموعة من الأطباء المختصين في الأمراض التنفسية فضلا

على فرض وإنفاذ القوانين خدمة للمصلحة العامة، وهوما يعتبر صعباً في الدول الديمقراطية حيث يعتبر الاستقلال الذاتي مكتسباً لا يقبل المساس به، بالإضافة إلى بطء استجابة دول ديموقراطية في مجابهة واحتواء الأزمة. لكن نجد من جهة أخرى بعض الديمقراطيات التي تشترك مع الصين في الالتزام بالمعايير الكونفوشيوسية - مثل هونغ كونغ واليابان وسنغافورة وكوريا الجنوبية وتايوان - تمكنت من إدارة هذه الأزمة الصحية العالمية وبنجاحة تضاهي الفعالية الصينية. كما استطاعت العديد من الدول الديمقراطية الأخرى، كالنمسا ونيوزيلاندا وألمانيا وأستراليا والبرتغال وغيرها من الدول، معتمدة في تديبيرها على قواعد ديموقراطية بحتة، بيد أن الفرق بينها وبين غيرها تمثل في شكل القيادة المتبعة وإدراك حكامه الصعوبة التحدي.

الصين وكورونا: تحويل الأزمة إلى فرصة

تدين الصين الاتهامات الأميركية حول وباء " كوفيد 19 " وترفض استقبال أية لجان دولية للتحقيق بشأن ذلك، حيث تتمسك بالمفهوم التقليدي للسيادة ومبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول.

وقد حرصت الصين على تحويل الأزمة إلى فرصة لتحقيق اختراقات مهمة على صعيد العلاقات الدولية، وفتح آفاق جديدة لتعزيز موقعها على المستوى العالمي. في الوقت الذي تفوقعت فيه

الصحي، وطالبت المؤسسات والشركات الموظفين بالعمل من منازلهم لأن التزام المنزل عنصر حاسم في معركة مكافحة كورونا.²³

من جانب آخر كان للفرق الطبية دور هام في معركة كورونا حيث انتشرت في الخطوط الأمامية، وقفت على أبواب المجمعات السكنية تقيس درجة حرارة القاطنين، وأخرى شعبية من المتطوعين تفحص هوية الغرباء وتقدم التوصيات، إضافة إلى فرق تطوف على الشقق وتقدم تعليمات وتعطي أرقام الطوارئ، وأخرى تؤكد على الالتزام بإجراءات الوقاية من المرض، وارتداء الكمامات، وغسل اليدين بعد العودة، وشرب الماء بانتظام، وغيرها من لزوم الوقاية.

يشار إلى أن الصين استخدمت طائرات بدون طيار مزودة بكاميرا لمسح الشوارع، وتبنيه الناس الذين نسوا ارتداء الكمامات أو مطالبة كبار السن بالتوقف عن لعب الدومينو أو ورق اللعب في الشوارع، وتنقلها الطائرات الصور عن حالة الشوارع إلى غرف مراقبة، وبناء عليها يصدر رجال الشرطة من أماكنهم المغلقة التعليمات.

إن أزمة كورونا تضعنا أمام إشكالية النظام الأنسب لإدارة الأزمات، خاصة أن النظام الأنجح حالياً في تديبيرها هو النظام الصيني الذي يتلقى بشكل مستمر انتقادات على اعتباره نظاماً غير ديموقراطي، فيبدو للوهلة الأولى بأن الأنظمة الاستبدادية هي الأقدر على مواجهة الكوارث، لكونها الأقدر



ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

الأميركية، كما أن تعاطي الصين مع الوباء كان جيدا بالرغم من تعثرها في البداية، ووفقا لوالد فإن هذا الوباء لن يسهم في تغيير السياسة العالمية السائدة التي يطبعها الصراع، ودلل على ذلك بأن الأوبئة التي مرت على البشرية من قبل لم تضع حدا للتنافس بين القوى العظمى، ولم تكن نقطة بداية لحقبة جديدة من التعاون الدولي وخلص إلى أن العالم سيصبح اقل انفتاحا وأقل ازدهارا وأقل حرية.

ومن جانبه يعتقد هنري كيسنجر في مقال له بصحيفة وول ستريت جورنال إن جائحة كورونا ستغير النظام الدولي للأبد، وأوضح أن الأضرار التي ألحقها تفشي فيروس كورونا المستجد بالصحة قد تكون مؤقتة. إلا أن الاضطرابات السياسية والاقتصادية التي أطلقها قد تستمر لأجيال مقبلة. كما حث الإدارة الأميركية على حماية مبادئ النظام العالمي الليبرالي بصفتها مجالا حيويا ينبغي التركيز عليه إلى جانب معالجة الأضرار التي ستلحق بالاقتصاد

وضعها الطبيعي، ترى مجلة فورين افيرز أن جائحة كورونا، شأنها شأن أحداث مفصلية في التاريخ كسقوط جدار برلين أو انهيار بنك ليمان برادرز، حدثا عالميا مدمرا يصعب تخيل عواقبه على المدى البعيد.

وللتفصيل في ذلك سنستأنس بآراء كبار الباحثين في مجال العلاقات الدولية، حيث يرى أستاذ العلاقات الدولية ستيفن والتفي جامعة هارفارد الأميركية أن جائحة كورونا ستسهم في تقوية الدولة الوطنية وتعزيز القومية، وأن الحكومات في مختلف أنحاء العالم ستتبني إجراءات طارئة لإدارة الأزمة المتمثلة في تفشي الوباء، لكن العديد من تلك الحكومات لن ترغب في التخلي عن السلطات الجديدة عندما تنتهي الأزمة. كما توقع أن يسرع انتشار الوباء وتيرة تحول السلطة والنفوذ من الغرب إلى الشرق²⁷، ويدلل على ذلك باستجابة دول من شرق آسيا لمواجهة الوباء مثل كوريا الجنوبية وسنغافورة بشكل أفضل من الدول الأوروبية والولايات المتحدة

عن مساعدات طبية من بينها أسرة إنعاش²⁶.

لكن رغم كل هذا تواجه الصين انتقادات لازدة من بعض الدول سيما الغربية منها كونها متورطة في إخفاء بعض الحقائق عن الفيروس الذي انطلق من "ووهان" مما جعل مجموعة هذه البلدان تعاني من احتواء الوباء، وفاقم من أزمته الاقتصادية ومنظومتها الصحية، وترى هذه الدول أنه كان يجب على الصين أن تتعاون بشكل أوسع في توضيح طبيعة الفيروس وكذا وتيرة انتشاره.

2. مستقبل النظام الدولي

في عالم ما بعد كورونا

بينما يتوقع البعض ألا يحدث تغيير عميق في بنية النظام أوتأثر هندسة العلاقات الدولية الموروثة عن الحرب الباردة (1947-1991)، حيث سيستعيد النظام الدولي عافيته تدريجيا عندما تبدأ الحياة الاقتصادية والاجتماعية تعود إلى

الهوامش

- 23 - مسؤول بارز يكشف في وكالة شينخوا يكشف ل " ايلاف " كيف واجهت الصين كورونا وانتصرت عليه ..على الرابط التالي <https://elaph.com/Web/News/2020/03/1285878.html> ، آخر زيارة 2 يونيو 2020
- 24 - تلاحظ اليزابيث براو (Elizabeth Brow) ، مديرة مشروع الردع الحديث في المعهد الملكي للخدمات المتحدة ان دول الاتحاد الأوروبي " بتنازلهما المخزي عن المسؤولية ، فشلت في تقديم المساعدة الطبية والإمدادات لايطاليا أثناء تفشي المرض ، والآن الصين تملأ الفراغ .
- 25 - محمد الشرفاوي، التحولات الجيوسياسية لفيروس كورونا وتأكل النيوليبرالية (الجزء 1) لسلسلة التقارير ، مركز الجزيرة للدراسات ، 23 مارس 2020 ، ص 2
- 26 - دبلوماسية الكمامات تعزز حضور الصين عالميا. موقع العرب ، على الرابط التالي <https://alarab.co.uk> تم الاطلاع بتاريخ 1 يونيو 2020 ..
- 27 - يشير مفهوم تحول القوة (Power Transition) إلى فقدان الدولة المهيمنة موقعها القيادي لمصلحة قادم جديد سريع التنامي، الامر الذي يجعل من الاخير كأنه ظل لهذه الدولة المهيمنة. ولكي يحدث تحول للقوة، يتعين على القادم الجديد أن يحصل على مصادر للقوة اكبر مما لدى الدولة المهيمنة، أو على الأقل يحدث تعادلا مع المقدرات القومية للدولة القائد، بالشكل الذي يجعل من المقدرات القومية لكل منهما تقترب من حد التساوي.. للاستزادة ينظر .. علاء عبد الحفيظ محمد، تأثيرات الصعود الروسي والصيني في هيكل النظام الدولي في اطار نظرية تحول القوة ، المجلة العربية للعلوم السياسية ، العدد 47 48- ، خريف 2015، ص 10 - 11 ..
- 28 - هنري كيسنجر : فيروس كورونا سيغير النظام العالمي للأبد ، على الموقع <https://www.aljazeera.net> آخر زيارة 3 يونيو 2020



ومرونتها الهائلة في استيعاب مختلف الثقافات، وجذب ألمع الأدمغة عبر العالم، مما سيعجل بتعافيها أسرع من غيرها من الدول³².

ورغم ما قد تحقق الصين من تعزيز لمكانتها الاقتصادية بعد انتهاء هذه الجائحة، فإن تأثيرها السياسي سيظل محدودا على الأقل على المدى القريب والمتوسط، حيث تبرز عوائق كثيرة تحول دون قيادة الصين للعالم، فهي تفتقد إلى حلفاء موثوق بهم في محيطها الإقليمي في هذه المرحلة، كما أن الثقافة الصينية المسالمة لا تنزع عادة إلى التصادم والسيطرة، بالإضافة إلى أن طبيعة نظامها السياسي لا يلهم الشعوب الأخرى ولا يسمح للصين بامتلاك قوة ناعمة مؤثرة في العالم، لذلك كل ماتستطيع أن تفعله الصين هو تعزيز حضورها الدولي اقتصاديا، وتقوية مركزها في بعض المؤسسات الدولية، لكن لن تحقق اختراقا للنظام الدولي القائم، وقد تحتاج إلى سنوات لتكون ندا للولايات المتحدة على مستوى السياسات الدولية، وبالتالي فهي حاليا بعيدة عن قيادة النظام الدولي³³.

لقد جعلت كورونا الدول تفكر جديا في احتمالية تعرضها لتهديدات بيولوجية مستقبلا، مما سيجعلها تسعى إلى تطوير آلياتها العسكرية لمواجهة أية تهديدات، وهو ما سيزيد من احتدام سباق التسلح، وبالتالي استمرار صراع القوى.

والواقع أن الصراعات بين الغرب والشرق تزداد يوما بعد يوم، خاصة في

والصحفي الفرنسي، فلا يختلف مع معظم الباحثين الذين يتوقعون أن فيروس كوفيد 19- يمكن أن يغير بالفعل ملامح النظام العالمي ويحول مجرى التاريخ خاصة في ظل قضائه على نسبة كبيرة من سكان العالم كما سبقه إلى ذلك الطاعون الأسود، في منتصف القرن الرابع عشر.

وحسب هاسكي فإن كوفيد-19 شكل عنصرا مفاجئا أثار اضطرابا في الديناميات الاقتصادية والجيوسياسية.³¹ أو كما وصفه وزير الاقتصاد والمالية الفرنسي برونولو ماير، مثل حدث "غير قواعد اللعبة" تماما كما غيرها الهاتف الذي والذكاء الاصطناعي وغيرها من التكنولوجيات الحديثة، فعلى الرغم من أن هذا المرض لم يصل بعد إلى "ذروته"، إلا أن تأثيره القوي على الصين وإيران وتهديده للنمو العالمي، وربما حتى تأثيره في الحملة الانتخابية الأمريكية، حيث غدت قضية الرعاية الطبية موضوعا مركزيا فيها.

ويجمع كثيرون على أنهر وغم ما تتعرض له الولايات المتحدة في هذه الآونة من ضغوط بسبب سوء تقدير إدارة الرئيس ترمب لخطورة انتشار الوباء، لكن الخسائر البشرية والاقتصادية التي ستعرض لها لن تزيحها عن قيادة العالم.

فأمريكا لا تستمد قوتها من اقتصادها فحسب، بل من عوامل كثيرة، مثل ديمقراطيتها وقيم الحلم الأمريكي، وحيوية شعبها المتفائل دوما بالمستقبل، وبالقدرة على التغلب على المصاعب

وفي حلقة نقاشية عن بعد عقدها مركز الإمارات للسياسات تحت عنوان " أزمة كورونا والتحويلات الجيوسياسية العالمية المحتملة " في الواحد والعشرين من أبريل 2020، تحدث البروفيسور جوزيف ناي عن تنافس القوى الكبرى وأشار إلى أنه من الطبيعي أن تتنافس فيما بينها إلا أن ما يتعين علينا تعلمه حسب قوله هو أن بإمكان هذه القوى التنافس والتعاون في آن واحد، كما يرى ناي أن هناك مبالغة كبيرة في تقدير قوة الصين، فهي حسب نظره ليست قوة عظمى، وعلى الرغم من أنها حققت تقدما كبيرا في المجال الاقتصادي، إلا أنها لم تتجاوز الولايات

المتحدة فيما يتعلق بالقوة الشاملة، والتي تشمل القوة الخشنة والناعمة وحتى في المجال الاقتصادي فإن معدلات النمو الاقتصادي المرتفع للصين قد ولت.

وحول تقييمه لوضع روسيا على خارطة القوة العالمية²⁹، أفاد ناي بأنها تحاول أيضا منافسة الولايات المتحدة في مجال القوة العالمية، لكن روسيا تعاني من اقتصاد غير متوازن على نحو غريب، فثلثا صادراتها يعتمد على النفط والغاز إذ يعتبر أن روسيا تفتقد خطة بعيدة الأمد للنمو الاقتصادي بالرغم من حضورها السياسي والعسكري في عدد من مناطق العالم³⁰. واستنادا على هذه الوقائع فالولايات المتحدة ستستمر في قيادة النظام الدولي.

أما بيريها سكيًا لمحللا لسياسي



ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

مليون فرد إلى المناطق الجنوبية للاتحاد الأوروبي، وقد عبر المندوب الإيطالي عن امتعاضه من غياب التضامن الأوروبي إذ قال أن " أزمة فيروس كورونا شبيهة بأزمة اللاجئين، فالبلدان التي لم تتأثر على الفور ليست في الغالب على استعداد لتقديم المساعدة . ومن الواضح أن لدى هذه الدول تصورات مختلفة بشأن التهديد القائم . نحن نشعر أن فيروس كورونا يمثل تهديدا عالميا وأوروبا يحتاج إلى استجابة أوروبية، لكن الدول الأخرى لا ترى ذلك بهذه الطريقة³⁵.

وقد دفع هذا الموقف السلبي من الاتحاد الأوروبي إلى طرح أسئلة جديدة حول الغاية من الاتحاد الذي كان ينظر إليه في وقت من الأوقات على أنه أكثر تحالف موحد وأكثر استراتيجية ما فوق بنية الدولة في العالم .

ويمكن رصد ثلاث سيناريوهات محتملة لمستقبل الاتحاد الأوروبي بعد

لقد كشفت الأزمة التي يمر بها العالم بتفشي فيروس كوفيد 19 هشاشة العلاقات بين دول الاتحاد الأوروبي، وأبانت وجهها آخر للدول التي طالما نادى بالوحدة الأوروبية والتكافل الأوروبي، ما قد ينذر بتخوفات على مستقبل الاتحاد ووحده بعدما فضح الفيروس تفاصيل تلك العلاقة، فقد اعتبر متابعون أن ما يجري في المعتزك الدولي في الوقت الراهن ما هو إلا " اختبار حقيقي " للاتحاد الأوروبي حيث يتراكم " الوباء التاجي " على رأس الأزمات القادمة بشأن الهجرة وسيادة القانون.

التعاطي الأوروبي مع أزمة إيطاليا

أثار التجاهل الأوروبي لكارثة هذا البلد وهي في قلب القارة، مشاعر الاستياء بينا لإيطاليين الذين شعروا بأنهم خذلوا من قبل الدول الأعضاء الأخرى في الاتحاد الأوروبي عدة مرات، وذلك في أوج هجمة فيروس كورونا وفي ذروة أزمة اللاجئين عام 2015 عندما وصل حوالي 1,7

ظل الادعاءات بأن كورونا تم تصنيعه في المعمل (بالصين)، مما يطرح تساؤلات حول ما إذا كانت الصين تسعى إلى تصنيع سلاح بيولوجي، ثم خرج الفيروس عن السيطرة.

3.الاتحاد الأوروبي وكورونا: الاختبار الصعب

تمثل جائحة فيروس كورونا المستجد اختبارا حقيقيا لمفهوم الاتحاد الأوروبي كتكتل دولي وأكبر اتحاد اقتصادي من نوعه في العالم، بالنظر إلى ارتباك المشهد الأوروبي والآثار الشديدة الناجمة عن الأزمة، والتي أدت إلى خسائر بشرية واقتصادية فادحة للغاية في دول الاتحاد، خاصة في إيطاليا كما هو الحال في جل بلدان القارة مما جعل منظمة الصحة العالمية تحذر أوروبا من التراخي في مواجهة هذا الفيروس مؤكدة أن القارة لا تزال في " عين الإعصار"، ومن جهتها جددت رئيسة المفوضية الأوروبية دعوتها إلى وضع " خطة مارشال جديدة " للتعامل مع الأزمة³⁴.

الهوامش

- 29 - إن ما تطلبه روسيا من أمريكا يتلخص في إبعاد الناتوغن حدودها، وأن تعترف أمريكا بها شريكاً ندا في إدارة السياسة العالمية. وهوما سيترتب عليه من نفوذ عالمي يشكل شرطاً لتطورها الاقتصادي، وتلبية لطموحها بعيد المدى. وهوتنازل أمريكي ترفضه أمريكا بإجماع وليس ترامب وحده، فضلاً عن معارضة أمريكية مبدئية لما تحدته روسيا من تطوير لصواريخها الباليستية وقدراتها العسكرية التكنولوجية.
- 30 - جوزيف ناي في حلقة نقاشية لمركز الامارات للسياسات : " الصين ليست قوة عظمى ، والعمولة الاقتصادية تتعرض لانكاسة " على الموقع <https://epc.ae/ar/story/joseph-nye-in-an-epc> symposium-china-is-not-a-super-power-economic-globalization-has-received-a-setback اخر زيارة 3 يونيو 2020
- 31 - Pierre Haski, « L'épidémie de coronavirus va-t-elle changer le cours de l'histoire ? » ; le nouvel observateur, le 05 mars 2020.
- 32 - درس كورونا : التحرر من التبعية الطبية للخارج . وكالة الأناضول الإخبارية ، على الرابط التالي <https://www.aa.com.tr/ar> ، تم الاطلاع بتاريخ 1 يونيو 2020
- 33 - انظر حوار مع الأستاذ سعيد الصديقي على موقع le Desk بالعربي <https://ledesk.ma> ، آخر زيارة بتاريخ 2 يونيو 2020
- 34 - اوروبا لا تزال في عين الاعصار ودعوات ل " خطة مارشال جديدة " على الموقع <https://www.dw.com> آخر زيارة 3 يونيو 2020
- 35 - محمد الشرفاوي، التحولات الجيوسياسية لفيروس كورونا وتأكل النيولبرالية، مرجع سابق ، ص 3

كورونا:

-قد تساهم الخسائر التي خلفتها أزمة وباء كورونا في الاستجابة التي كانت مأمولة منه في إذكاء دعوات الانفصال عنه، خاصة بعد أن تلقى الاتحاد ضربة عنيفة بانفصال بريطانيا عنه أو ما يعرف بالبريكسيت؛

-قد تسهم أزمة كورونا في إدراك دول الاتحاد الأوروبي بأهميته لمواجهة الأزمات العابرة للحدود، وأظهرت هذه الأزمة مدى حاجة أقوى الاقتصاديات العالمية والإقليمية إلى نوع من أنواع التعاون الدولي؛

-على الأرجح سيستمر اعتماد الاتحاد الأوروبي على تشريعاته وآلياته المؤسسية الحالية، واستغراق وقت أطول لابتكار حلول واليات مختلفة والارتكان أكثر إلى الحلول المجربة، مع إجراء إصلاحات تدريجية بحسب الدروس المستفادة من الأزمة لتصحيح الخطط والمسار³⁶.

خاتمة

في ظل استمرار تفشي فيروس كورونا وصعوبة التصدي له وإيجاد لقاح يقي العالم خسائر اجتماعية واقتصادية وسياسية فادحة، من الصعب التكهّن بمآل وتداعياته على الخريطة الجيوسياسية للعالم وعلى الأنظمة السياسية والحكومات، لكن الملاحظ

أن العالم يعيش لحظة استثنائية، فبعد أن كان من البديهي في الاقتصادات الصناعية المتقدمة أن العالم أصبح خاضعا للسيطرة المطلقة للإنسان، ظهر كائن مجهري، غير نظرة العالم إلى معارفه وقدراته، خاصة وأن الدول الأكثر تقدما وقوة كانت الأقل استعدادا للجائحة، فبعد أن أنفقت مليارات الدولارات على البحث والتطوير وأصبحت تمتلك أقوى التكنولوجيات وأعتى الجيوش في العالم، لم تأخذ على محمل الجد الخطر المتمثل في احتمال قدوم التهديد الكبير التالي من الطبيعة³⁷. واليوم باتت هذه الدول مطالبة بتقوية اقتصاداتها الوطنية، ومحاولة حمايتها أكثر لأن المبادلات العالمية ستعرف انكماشاً، ولوعلى المدى المتوسط وستنكب كل الدول على مراجعة تفكيرها في الطريقة الأنجع والمثلّي، لإعادة بناء هياكلها الاقتصادية.

إنبؤادر النظام العالمي الاقتصادي تشير إلى أن القوة ستغير مركزها بعد أن أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية، وبعد أن ظهرت بمظهر الدولة الأنانية في التعاطي مع فيروس كورونا، ولم تبد رغبة في التعاون مع حلفائها التقليديين الذين تدين لهم بمساهماتهم في استمرار إنجاح إدارتها ودعموا سياساتها المختلفة في العديد من الأزمات والنزاعات الدولية، كما وباتت تشكومن ثقل المديونية المتفاقمة عالمياً، وفقد شعبها ثقته في العوامة والتجارة العالمية التي يبني عليها الاقتصاد الأمريكي، وفي الوقت نفسه أظهرت الصين قوتها وكفاءتها

أساليبها³⁷ ■

وصمود اقتصادها، كما أبانت دول أخرى عن علوكعبها في مواجهة الأزمات، فقد بات شبه مؤكد أن أزمة جائحة كورونا لا بد أن يكون لها أبعادها على العلاقات بين دول العالم، وعلى تماسك المنتظم الدولي إذ من المتوقع أن تعصف بدول وتقوي أخربوهوما سيؤدي إلى تغيير ميزان القوى وتحول السلطة والنفوذ لينكشف من سيحكم العالم بأقطاب اقتصادية جديدة، أقطاب يمكن أن تتكون من تلك الدول التي تمتلك مخزوناً وفيراً من الموارد الأساسية، كما سيشكل كذلك تراجعاً ملحوظاً في العوامة، حيث أبانت هذه الأزمة أن اتفاقيات التعاون بين الدول، واتفاقيات التبادل الحر كانت شكلية فقط، ولا تخدم المصالح المشتركة، والدليل على ذلك دول الاتحاد الأوروبي، التي تخلت عن بعضها البعض. وتركت المجال مفتوحاً لقوى أخرى لسد الفراغ الذي تركه تراجعها. وهوما وضع القومية الأوروبية على محك الانهيار.

ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

الهوامش

36 - تداعيات وباء كورونا على الاتحاد الاوروبي ومستقبله ، مركز الامارات للسياسات على الرابط <https://epc.ae/ar> آخر زيارة 3 يونيو 2020

37 - يوشكا فيشر، مرجع سابق، ص. 17.

المراجع

كتب :

- باتريك هرمان وآخرون: النظام العالمي الجديد، القانون الدولي وسياسة المكياين، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى 1995

- عبد القادر رزيقالمخادمي، النظام الدولي الجديد، الثابت... والمتغير، طبعة رابعة منقحة ومزودة 2010، ديوان المطبوعات الجامعية

مجلات علمية :

علاء عبد الحفيظ محمد، تأثيرات الصعود الروسي والصيني في هيكل النظام الدولي في اطار نظرية تحول القوة ، المجلة العربية للعلوم السياسية ، العدد 47 -48 ، خريف 2015، ص 10 - 11 ..

تقارير :

- تقرير اجتماع قادة العالم رفيع المستوى بشأن تمويل التنمية أثناء وما بعد كوفيد19-، "، جريدة بيان اليوم، العدد 9014، بتاريخ 2 يونيو 2020

- محمد الشرفاوي، التحولات الجيوسياسية لفيروس كورونا وتأكل النيوليبرالية (الجزء 1) سلسلة التقارير ، مركز الجزيرة للدراسات ، 23 مارس 2020

بيانات صحفية :

- 12 مليار دولار لمساعدة البلدان على التصدي لتفشي فيروس كورونا"، البنك الدولي، بيان صحفي رقم:EXC/2020/126.

جرائد :

- الهام نجدية، "في زمن كورونا...الاتحاد الأوروبي إلى أين؟"، جريدة المساء عدد 4148 بتاريخ 27 مارس 2020

- "أوروبا تغرق في كارثة كورونا اقتصادية"، جريدة الغد ، عدد 5646 بتاريخ 1 ماي 2020

- عبد العزيز كوكاس، "سيناريوهات عالم ما بعد كورونا، قطبية جديدة واستبدال رقمي وعودة الدولة الوطنية"، جريدة المساء، العدد 4201 بتاريخ 30-31 ماي 2020

- فريد شوقي/ " كورونا كشفت هشاشة الاقتصاد العالمي والولايات المتحدة لن تبقى هي المركز، جريدة المساء، عدد 4158 بتاريخ 08 أبريل 2020

- محمد الطايح، " نهاية عالم... "كورونا" يضع البشرية أمام تاريخ جديد"، جريدة المساء، عدد 4151، بتاريخ 31 مارس 2020، ص 08

- يوشكا فيشر، "الفيروس الذي غير العالم"، جريدة الوطن، العدد 9012، بتاريخ 06 مايو 2020

مواقع إلكترونية :

- ابراهيم أبراش، النظام الدولي ليس بالتماسك الذي يعتقد البعض . ها هويتغير ..على الموقع <https://middle-east-online.com>

- أسامة أبوعمجة، "المواجهة بين كورونا والدولار... النتائج قد تكون كارثية"، جريدة الغد ، 31 مارس 2020

- الحكومات والمنظمات الدولية تجتمع لمواجهة تحديات الاقتصاد والاستدامة،مركز الأمم المتحدة للإعلام، 29 أيار/مايو 2020، <https://sanaa.sites.unicnetwork.org> ،

- اوربولا لا تزال في عين الاعصار ودعوات ل " خطة مارشال جديدة " على الموقع <https://www.dw.com> اخر زيارة 3 يونيو 2020

- تداعيات وباء كورونا على الاتحاد الاوروبي ومستقبله ، مركز الامارات للسياسات على الرابط <https://epc.ae/ar>

- عقيل عباس، " فيروس كورونا.. عولمة المشاكل والحلول"، 24 أبريل 2020، <https://www.skynewsarabia.com/blog/1339372-%D9%81%D9%8A%D8%B1%D9%88%D8%B3-%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7-%D8%B9%D9%88%D9%84%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B4%D8%A7%D9%83%D9%84-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%84%D9%88%D9%84>

- جوزيف ناي في حلقة نقاشية لمركز الامارات للسياسات : " الصين ليست قوة عظمى ، والعولمة الاقتصادية تعرض للانتكاسة " على الموقع <https://epc.ae/ar/story/joseph-nye-in-an-epc-symposium-china-is-not-a-super-power-economic-globalization-has-received-a-setback>

- حوار مع الأستاذ سعيد الصديقي على موقع ledesk.ma بالعربي .. <https://ledesk.ma>

- دبلوماسية الكمامات تعزز حضور الصين عالميا. موقع العرب ، على الرابط التالي <https://alarab.co.uk>

- درس كورونا : التحرر من التبعية الطبية للخارج . وكالة الأناضول الإخبارية ، على الرابط التالي <https://www.aa.com.tr/ar> ناصر فرحات، "الفيروس التالي يدق أبواب الغرب.. أزمة غذاء"، موقع الميادين، 07 أبريل 2020، <https://www.almayadeen.net/articles/blog/1390582/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%8A%D8%B1%D9%88%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A7%D9%84%D9%8A-%D9%8A%D8%AF%D9%82-%D8%A3%D8%A8%D9%88%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B1%D8%A8---%D8%A3%D8%B2%D9%85%D8%A9-%D8%BA%D8%B0%D8%A7%D8%A1>

- مسؤول بارز يكشف في وكالة شينخوا يكشف ل " ايلاف " كيف واجهت الصين كورونا وانتصرت عليه ..على الرابط التالي <https://elaph.com/Web/News/2020/03/1285878.html>

- مقالة خاصة: كيف سيدوالعالم بعد جائحة فيروس كورونا الجديد؟، موقع arabicnews

- هشاشة النظام.. هل تنهي جائحة كورونا العولمة التي نعرفها أم تدخل مرحلة أخرى؟، موقع الجزيرة، <https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2020/3/21/%D9%87%D9%84-%D8%AA%D9%86%D9%87%D9%8A-%D8%AC%D8%A7%D8%A6%D8%AD%D8%A9-%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A>

- هنري كيسنجر : فيروس كورونا سيغير النظام العالمي للأبد ، على الموقع <https://www.aljazeera.net>

مراجع أجنبية

Revue :

- François Guillaume Lorrain ; « Fukuyama : Nous allons revenir à un libéralisme des années 1950-1960 », le point ; numéro 2485, le 9 avril 2020, p.91-92

Journaux :

- Pierre Haski, « L'épidémie de coronavirus va-t-elle changer le cours de l'histoire ? » ; le nouvel observateur, le 05 mars 2020

Site électronique :

- CeylaPazarbasioglu, «Agir vite pour limiter le préjudice économique du coronavirus dans les pays en développement », banque Mondiale Blogs, 09 mars 2020, <https://blogs.worldbank.org/fr/voices/agir-vite-pour-limiter-le-prejudice-economique-du-coronavirus-dans-les-pays-en-developpement>

مدارات الهيمنة: بلاغة الليبرالية

عبد الله العثماني
باحث في علم الأديان المقارن

النموذج الأكثر وضوحا على ذلك كان هو حرب الخليج الثانية، فالأسباب بتصريح "كولن باول" * نفسه كانت واهية وهو المسؤول الأول الذي عرض الملف أمام هيئة الأمم المتحدة مدعيا أن العراق تمتلك أسلحة نووية تهدد السلم العالمي، بعد انء الحرب وتدمير العراق أكد "باول" مرة أخرى أن تقديمه للملف أمام الأمم المتحدة كان تأمرا وتضليلا للرأي العالمي، وتسويقا لمشروع الحرب، مر المشروع الحربي كله تحت شعار "عاصفة الصحراء" * وقد هدأت العاصفة فلننظر لى النتائج!!!؟

"لقد عززت تجارب استخدام القوة العسكرية واحتلال كل من أفغانستان والعراق بشكل مباشر صورة الولايات المتحدة كقوة جديدة أعادت إلى الذاكرة صورة غادرت المجتمع الدولي منذ زمن ليس بالقصير إلى جني استحقاقاتها ودور المنظمات الدولية القائمة عبر تحويلها إلى أدوات فاعلة في سياستها الخارجية وبشكل يتقاطع مع وظائفها الأساسية وتحريف مضمون القوانين والأعراف الدولية لتؤدي دورها في خدمة المصالح التي لا يمكن التخلي عنها وإعادة نظام

إراقة دم جندي واحد وهذا أصبح بديهيا وواقعا.

من خلال حكومات اللاشعية تمرر القوانين والقرارات الملزمة والمفروضة قهرا، تطلق هذه الحكومات يدها على شعوبها بطشا وتنكيلا حماية لمصالح الغرب ومصالحها "فالغرب يعلم أن الولايات الأمريكية مثل العديد من القوى الغربية تخاف من عمليات الديمقراطية في العالم العربي لأن ذلك سيحدث حتما تغييرا جذريا في السياسات الخارجية للأنظمة الحالية "2"، وهكذا يبدو العالم كله متآلفا بل ومتآمرا في خيانة الشعوب وتضليلها فأمریکا مترعمة العالم الجديد أكبر مصدر للأزمات والأكاذيب. ليست أمريكا وحيدة في ذلك فالغرب كله يسير سيرها وينهج منهجها، فالغرب الكولونيالي في دأب مستمر ينتهز كل فرصة للإبقاء على سلطته في مستعمراته القديمة.

نذكر هذه النماذج للتدليل على أن الغرب يمتطي صهوة السياسة للوصول إلى الاغتناء على حساب الشعوب الأكثر هشاشة والأكثر فقرا، بل في هذا سعي لنشر فوضى يعتبرها خلافة في أماكن أكثر حساسية وأقرب للاشتعال، ولعل

نشرت مجلة عالم المعرفة الكويتية عددا تناول موضوعا طريفا حول الطب وعلاقته بالإمبريالية، وهي طرافة مستفزة وصادمة والصورة لم تختلف منذ أن نشر (دافيد ارنولد) كتابه "الطب الامبريالي والمجتمعات المحلية" سنة 1988، فعلاقة الطب بالمرض وثيقة، لكن الإمبريالية كأيدولوجيا مركبة، لا تهتم بهما إلا بما يليب مطامحها في تحصيل المنفعة (1).

لعل النظرة الدونية للغرب تجاه الشعوب الأخرى أفرزت تصورا برغماتيا يقوم على المصلحة قبل المنفعة، وليس لكل الشعوب إلا الإذعان لما يقدمه لها من حلول، فالأزمات المتتالية و المتسارعة بسبب الاستبداد أو الاستعمار خلت مجتمعات ترتع فيها الفوضى وتنتشر الأمراض والأوبئة انتشارا مؤسسا، لم يعد الصراع تقليديا بين القوى العظمى حول المستعمرات، ولم يعد مجديا إرسال الجنود من أجل اغتصاب الأراضي، فهضم الحقوق وإرغام الشعوب على القبول بالحاكم المستبد، هو المنفذ لتحقيق المصالح دون



السوق مع الواقع الدولي الجديد، فالشعوب الفقيرة لا تستطيع مواجهة الاغتناء المتزايد لشعوب على حساب شعوب أخرى، وفي هذا دليل على عودة الامبريالية من جديد، وهي امبريالية تتضخم بفعل التكتل الاقتصادي، فلا تبقى إلا على قيمة الاستهلاك بموجبه يصبح الفرد محكوما بالقروض والمبادرات البنكية التي تقحمه في دائرة المداومة على الأخذ وتوهم التملك (7)، ففي الثمانينيات، عندما أخذت حدود التبادل (..) تتدهور (..)، وترتفع بالمقابل أسعار الفائدة عالميا، وتزايد في الوقت نفسه، البلدان الصناعية المتقدمة من القوى التي تفرضها على دخول منتجات البلدان النامية إلى أراضيها، وجدت البلدان الغنية نفسها أمام الأزمة الحادة المعروفة بأزمة المديونية (8).

2 - الجائحة سلاح

الغرب متأمر بفعل سيورة الاقتصاد هذه، فانتشار السيدا* وإيبولا* وغيرها من الأمراض القاتلة، لم يكن طبيعيا، فقد جاءت تقارير صادمة تتهم الغرب مباشرة، وبأدلة موثقة، (سبريلبرو ديك) بروفيسور في جامعة ولاية (ديلاور) نشر رسالة في (ديلي اوبسيرفر) الليبيرية في شتبر تتهم فيها الحكومة الأمريكية بصنع فيروس إيبولا. ويزعم (برودريك) أن إيبولا هو كائن معدل وراثيا ترغب أمريكا في استعماله كسلاح وقامت باختباره في أفريقيا تحت ستار توزيع اللقاحات، كما أدرج أسماء كل من كندا والمملكة المتحدة، وفرنسا لكونها تتعاون بشكل وثيق مع

هناك أي أحد يمكنه أن يتحكم فيها فهذا لم يحصل في تاريخ الإنسانية، وهذا يحدث الآن لأن عدة دول بما فيها الدول الغربية قبلت بالوضع كما هو عليه (5).

لكن للضرورة أحكام، فخلق الأزمات تخطيط محكم ومقصود، وأمر مدبر لغايات لهذا السبب فنظرية المؤامرة تكتسب قوتها من تجارب التاريخ و أحداثه، وبدا واضحا مدى قوة انتشار المؤمنين بها، والداعين إلى محاربتها أو على الأقل معارضتها (6). فهل فعلا يتآمر الغرب المسيحي على بقية سكان العالم أم هو مجرد تجن لا مبرر له؟ إن نظرية المؤامرة ليست وليدة اليوم، بل هي قديمة فقد اتهم الإسلام واليهودية بالتآمر على المسيحيين. لكنه اتهام يغيب الدليل، بخلاف الغرب المسيحي فمنذ أن غزا العالم والأحداث تتوالى لتؤكد صدق الاتهام والمستعمرات إلى الآن لا تزال تجتر تبعاته، فهي بين استلاب وفقر وأمراض وأوجاع اجتماعية، ولعل هجرة الكثير من الأفارقة إلى المغرب، واعتباره قنطرة عبور إلى الضفة الأخرى دليلا على حجم الكارثة التي تعيشها شعوب المستعمرات، إذا قيل إن الغرب يتآمر فبسبب سياساته التي تحمل الطغيان وتوطنه في بلدان تلك الشعوب، فدعم الاستبداد وتخريب الاقتصاد تتبعه سياسة اقتصادية تسويقية غير نافعة، تقوم على إغراق البلدان بمديونة لافكك منها.

ذهب (فيرد نار بروديل) إلى ضرورة تجاوز الأزمة الخائقة هذه بضرورة حل الاتحاد الأوروبي كي يتكيف اقتصاد

التحالفات العسكرية ضد الآخرين كما هو الحال في الفترة التي أعقبت تشكيل النظام العالمي الدولي بموجب معاهدة وستفاليا/عام 1648م وحتى اندلاع الحرب العالمية الثانية" (3) إذا كان بين السياسة والاقتصاد تفاعلا، فلا يمكن لهما تحقيق الأهداف المسطرة والمقررة إلا إذا تلحفت بلحاف حضاري يشرعن لعمولة تجرد الشعوب من خصوصياتها، وإدماجها كسوق استهلاكية.

1 - الغاية تبرر الوسيلة حجة المتسلط

وإذا كانت الغاية تبرر الوسيلة بتعبير ميكيا فيل (4)، فإن مطامع الغرب لا تقف عند حد، ولا يضيرها أن تحدث كوارث، كانتشار الأمراض أو الموت البطيء، فهو السيد وهم العبيد ولا يحق للعبد أن يسائل سيده، فهو من يطعمه بعد تفقيره، ويشفيه بعد أن يزرع فيه كل الأمراض.

الإمبريالية والعمولة وجهان لعملة واحدة، تضع السيناريوهات و تخطط باستمرار لقلب الأنظمة التي تراها مارقة، خارجة عن النسق الاستهلاكي العام، وبعد أن كان التآمر مكولسا أصبح الآن مكشوبا، تأمر على القوات وعلى الصحة "نحن لم نبق في الامبريالية والهيمنة، بل دخلنا الميكا-امبريالية وهو شيء جديد في العلاقات الدولية وفي التطور الإنساني، لأن دولة لها إمكانيات من الناحية العسكرية قوة الهدم والتحطيم، تقتل 50 أو 60 مرة مجموعة السكان فوق كرة الأرضية، وليس



ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

صنعت الالتباس بالإعلام والتجارة ، غلبت الريح على العلاج بعد أن كانت هذه العلاقة بديهية وواضحة بين مريض يطلب الشفاء وطبيب يسعى إلى علاجه قد يقع أن يكون الطبيب موجهًا بسلطة توضح له الوقائع والمعطيات. المريض يحتاج إلى دواء، وهذا الأخير مقترن بمؤسسة علمية وليس تجارية . فهذا علي بن عيسى وزير المقتدر بالله يأمر الطبيب ثابت بن قرّة بما يلي: "فكرت (...) في أمر مَنْ في الحبوس، وأنه لا يخلو من كثرة عددهم ، وجفاء أماكنهم، أن تنالهم الأمراض، وهم معوقون عن التصرف في منافعهم، ولقاء من يشاورونه من الأطباء فيما يعرض لهم ، فينبغي أن تفرد لهم أطباء يدخلون عليهم في كل يوم، وتحمل إليهم الأدوية والأشربة، ويطوفون في سائر الحبوس ويعالجون فيها المرضى، ويزيحون عنهم فيما يحتاجون إليه من الأدوية والأشربة، ويتقدم بأن تقام لهم المزورات لمن يحتاج إليها منه (13).

3- المنظومة العالمية

الجديدة

يستمر الصراع بين قوى عظمى حول مكاسب جديدة، وهو صراع ينبيء باحتمال نشوب حروب غير تقليدية تتوسل بكل متاح حتى لو أدى ذلك لخلخلة كيانات، بل تدمير كل مكوناتها الوجودية: "لقد تم تشجيع العوامة بشكل كبير بفعل التأثيرات المشتركة لكل من: ما بعد الاستعمار ورعاية القوة العظمى ووصاية المؤسسات المالية التي تعمل تحت إمرة هذه الأخيرة، إضافة

فتسربت أفكار شعبية إلى داخل جسم مجتمع يتأثر بالشائعة، وتسكن نفسه مع وصفة عطار، ويقود الناس إلى مثل هذا الاعتقاد، الإعلام بكل مكوناته، فتضارب الأقوال، وادعاء كل طرف صدقيته، واتهام الآخر بالتزوير والتلفيق والتآمر فتح المجال لعدم الثقة ، وأصبح مصير الإنسان معلقا بين التصديق والتكذيب، ولم يعد الأمر مستساغا تقبل النصائح أو الأوامر يطرح الناس أسئلة وجيهة حول العدد الحقيقي للذين أصيبوا بهذا الفيروس ، وكذا عدد الموتى، وهي أسئلة طرحت في سياق رواج الشائعات حول تزوير سبب الوفاة.

الانتقال من المؤامرة إلى التزوير، خلق مجتمعا مرتبكا مضطربا لا يعول على أية مرجعية ، فالكل سواء عنده في طمس الحقيقة والسير في نفس الركب، وفي سياق الحديث عن المؤامرة أعلن رئيس أساقفة (ليما) الكاردينال (خوان ويس تشييرياني) "أن فيروس (زيكا) مؤامرة كاذبة لقتل الأجنة وتشريع الإجهاض، واصفا الأمم المتحدة ب (هيروودوس العصر). وقال العالم الهندي (م.دوغابراساد) من منظمة تطوير الأبحاث الدفاعية، إن فيروس "أيبولا " قد يكون جزءا من الحرب البيولوجية في العالم، فيما رأى آخرون أنه قد يكون من صنع الإنسان ، أو ساهمت شركات الأدوية في انتشاره بهدف بيع العلاجات(11).

الجانب القيمي والأخلاقي (12) مغيب بين الطبيب والمريض، السلطة

أمريكا في هذا الأمر، وأن منظمة الصحة العالمية والأمم المتحدة متورطة بشكل ما في الموضوع(9). في الفصل الثامن من كتاب "الطب الإمبريالي والمجتمعات المحلية" كتب (تيرنس رينجر) مقالا عن جائحة الأنفلونزا في روديسيا الجنوبية* تطرق فيه إلى التفسيرات الشعبية والدينية للجائحة .

الأفارقة -رغم افتتانهم بالطب الغربي- أصبحوا لا يثقون به، فكانت الأعشاب هي الطريق إلى العلاج، بل اتهموا السحرة بجلب المرض، ولم يكن لهم سبيل إلى التعرف عليهم إلا باللجوء إلى العرافين. وقد تسببت ممرضة سابقة في انتفاضة عنيفة في مستشفى سيراليون ،عندما سمعها حشد من الناس، وهي تقول إن فيروس إيولا غير موجود على الإطلاق، زاعمة أنه في الحقيقة مجرد ذريعة للأطباء تشبه طقوس أكل لحوم البشر في المستشفى، وللأسف لم تحتج للكثير من الوقت لإقناع الناس الذين لا يثقون أصلا في المستشفيات، ونتيجة لهذا التصريح الخطير قام أسر المرضى باختيار المعالجين التقليديين بدلا من الأطباء والممرضين الأجانب(10).

لعل ربط علاج المرض بالطب الشعبي منتشر حتى لدى الشعوب التي تنتمي إلى الدول الأكثر تحضرا، بل بات مقررًا عند الكثير من المغاربة أن كوفيد19 لا يحتاج إلى طب وأطباء فيكفي للقضاء عليه تناول خلطة عشبية ولعل السبب في ذلك راجع إلى عدم معرفة بخطورة الجائحة،



لم يعد هو البحث عن الشفاء بل أصبح هو الوقوع في شرك من يسعون إلى شفائك. ■

وجوده، فجاءت العناية ببعض الخاديات الأفريقيات لما لذلك من مصالح، فالعمل لم يكن إنسانياً إلا بالقدر الذي يحمي كيانهم و يرسخ أقدامهم في وطن غيرهم. "ففي حقبة الاستعمار الجديد، لستم في حاجة إلى قوات الجيش للسيطرة على البلدان- يؤكد المهدي المنجرة الباحث المتخصص في المستقبلات- إذ بإمكانكم فقط استخدام البنيات التحتية الموجودة بعين المكان، وخصوصاً المتعاونين الراضين من بين المجموعات الحاكمة وبعض المرتزقة من المثقفين، فهؤلاء الأشخاص يعلمون علم اليقين، بأنهم لن يظلوا في السلطة بدون المستعمر الجديد(15).

انتهت الليبرالية وعوّضها ليبرالية جديدة لتقل عنها متوحشة بمعنى ما، تُعلي من قيمة السوق وتلغي قيمة الفرد، معه أصبحت السلامة الصحية مهددة ولو بوجود خبير مختص أو طبيب، الإشكال

إلى السلوك المرتشي (...). لأولئك الذين يتحكمون في مصائر الجنوب {الفقيرة} (14). فمن غير المسلم به أن يكون الغرب الإمبريالي، صادقاً في توجهاته نحو بلدان الجنوب، ففي المرحلة الكولونيالية عندما رأت الدول المستعمرة أن جنودها ليسوا في مأمن من أمراض الأماكن الحارة، سارعت إلى بعث أطباء متخصصين لمعرفة أسباب الأمراض، وإيجاد العلاج المناسب لها، ولم يكن ذلك صحوة ضمير بل فقط حماية لجنودها.

رغم أن هذه الجهود التي بذلت سجلت كأعمال لخدمة الإنسانية، إلا أن نظرة خاطفة تفتح عينيك على مدى استخدام إنسان العالم الثالث كحقل تجارب، ولعل خوف الرجل الأبيض في جنوب إفريقيا من انتشار (الأنفلونزا) و(البلهارسيا) خير دليل على صحة النظرة الدونية والتخطيط لحماية كيانه، واستمرار

الهوامش

1. الطب الامبريالي والمجتمعات المحلية: تحرير دافيد أرلوند، ترجمة د. مصطفى إبراهيم. عالم المعرفة. العدد 236 ص 9.
2. الإهانة في عهد الميكا-امبريالية. المهدي المنجرة. ص 100.
3. دراسات دولية العدد 35 ص 131 الدكتور سرمد عبد الستار أمين
4. ميكافيلي والمكافيلية- د كمال مظهر أحمد (الموسوعة الصغيرة)، عدد 142، منشورات دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد 1984.
5. أهمها: الأمير والمطارحات و فن الحرب.
6. الإهانة في عهد الميكا-امبريالية المهدي المنجرة ص 119.
7. حنة أرنت في العنف ص 8، وما بعدها ترجمة إبراهيم العريس.
8. F. Brodel Magazine Litteraire N 212 Novembre 1984 (pp. 18-24)
9. مجلة المنطلق، ص 12-13.
10. مؤسسة مجلة نقطة العلمية، تقديم: عبد الكريم عوير، عدد شتنبر 2014.
11. المرجع نفسه.
12. مجلة العربي الجديد: ربأبوعمو 23 أغسطس 2016.
13. مجلة المنطلق ص 193، عدد 119، شتاء 198-1997.
14. أوقاف الرعاية الصحية في المجتمع الإسلامي ص 71، د. أحمد عوف عبد الرحمن، كتاب الأمة، عدد 119.
15. قيمة القيم، المهدي المنجرة، ص 93، ط الأولى 2007.
16. قيمة القيم، المهدي المنجرة، ص 93، ط الأولى 2007.



ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

*-كولن باول:وزير الخارجية الأمريكي الخامس والستون تولى هَذَا المنصب في عهد الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش من 2001 إلى عام 2005.
*عاصفة الصحراء:انطلقت فجر السابع من يناير 1991 لتحرير الكويت من قبضة النظام العراقي وقد أطلق عليها أم المعارك وكان قائدها الجنرال الأمريكي نورمان شوارزكوف.
*إيبولا:تم التعرف على فيروس الإيبولا لأول مرة في عام 1976 قرب نهر إيبولا في جمهورية الكونغو الديمقراطية، وأصل الفيروس غير معروف، وإن كانت بينات تشير إلى أن خفافيش الفاكهة قد تكون من الكائنات المضيئة له.
*زيكا:فيروس تنقله البعوضة الزاعجة التي تلدغ الإنسان أثناء النهار، ويمكن أن تسبب عدوى فيروس زيكا لدى الحامل في ولادة الرضيع مصاباً بصغر الرأس ، وتشوهات خلقية معروفة باسم متلازمة زيكا الخلقية ،كشفت عنه لأول مرة لدى القروء بأوغندا في عام 1947،ومن ثم لدى الإنسان في عام 1952.
*السيدا:مرض مزمن،ناجم عن فيروس يسبب قصورا في الجهاز المناعي لدى البشر ،يجعل الجسم عرضة للإصابة بأمراض مختلفة ، ويعرف اختصاراً ب(الأيدز).
*روديسيا الجنوبية هي زمبابوي حالياً.
*-دارت حروب دامية بين الكاثوليك والبروتستانت لسنوات،ولوقفها اجتمع قادة القارة لإقرار مجموعة من المبادئ:وكان أبرزها -1مبدأ الولاء القومي -2مبدأ السيادة -3مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول.

المراجع:

- 1-المهدي المنجرة: قيمة القيم
- 2-المهدي المنجرة:الإهانة الميكا-امبريالية.
- 3 - دافيد أرنولد: الطب الامبريالي والمجتمعات المحلية.
- 4 - حنة أرنت في العنف.
- 5 -أحمد عوف عبد الرحمن كتاب الأمة عدد119
- 6 -رودولفو ساراتشي :علم الأوبئة الطبعة الأولى 2015م مؤسسة هندواي للتعليم والتربية.
- 7 -الموسوعة الصغيرة عدد 142عام 1984

المجلات:

1-F .Brodel Magazine littéraire N 212-Novembre 1984 PP.18-24

2-مجلة المنطق.

3-مجلة نقطة العلمية، عدد شتنبر 2014.

4-مجلة العربي الجديد، 23 غشت 2016.

5-دراسات دولية، العدد 35 .

ملف المدد

تأثير الجوائح الطبيعية على إصلاحات العهد السعدي خلال القرن 16 م

سعد الخالقي
باحث في التاريخ القديم

العديد من الأزمات التي ضربت أركان الدولة.

تُعد بعض الجوائح الطبيعية محطات تاريخية مرة منها المغرب في لحظات معينة ذلك أن بعض الجوائح من قبيل المجاعات والأوبئة كانت تنزل بدولة مُراكش بشكل دوري مما كان يترك آثارا سلبية على المجال لا على المستوى الطبيعي ولا على المستوى البشري. ولقد تناولت الكتابات التاريخية عبر مختلف الفترات التاريخية التي عرفتها الدولة المغربية ظاهرة الكوارث الطبيعية، ومن ذلك ما قاله فيها صاحب روض القرطاس "في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة (381هـ) كان قحط شديد ببلاد المغرب والأندلس وإفريقية، جفت من أجله المياه جفوا كثيرا"¹، وكذلك صاحب مؤلف الإصليت التي تناول قضية ضالة الماء والتأثير الذي مارسه على التسميات التي منحت لعدد المناطق، وفي هذا الإطار فقد اعتبر أن أصل تسمية تافلايت مأخوذ من كلمة "الفل" والتي تعني المنطقة التي لا يقطر فيها مطر². من أبرز عهود الحكم السعدي التي نزلت فيها هذه الكوارث،

ومن أبرز المعالم المادية لهذا المعطى ما وقع زمن الحكم السعدي للدار المغربية، والتي عرفت فيه معهم سلسلة من الإصلاحات همت معظم المجالات؛ بُغية بناء مغرب حديث قادر على مُسايرة كل التحولات الحاصلة في الغرب الأوروبي. إلا أن هذا المُبتغى جُوبه بعدد العوائق التي أجهضته ومن أهمها هذه الجوائح الطبيعية التي ضربت البلاد في هذه الفترة التاريخية.

تكمن إشكالية البحث في الإجابة عن هذا التساؤل: ما أوجه تأثير الجوائح الطبيعية على الإصلاحات التي باشرتها الدولة السعدية خلال القرن 16 م؟ للمناخ خصائص وسمات مميزة تنعكس على المجال الجغرافي والبيئي يتوزع بين نطاق رطب ومعتدل في القسم الشمالي يسوده المناخ المتوسطي، وآخر حار وجاف في الجنوب يسوده المناخ الصحراوي. وقد تميزت النظم المناخية بالبلاد المغربية بضالة الموارد المائية، مما أدى إلى شيوع ظاهرة الجفاف التي صبغت تاريخها على مر العصور، وساهمت بطريقة غير مباشرة في نشوب

من المؤكد أن طبيعة الجائحة التي نعيشها اليوم وأثرها على سياسة الدولة ليست وليدة الراهن. لنقل أن السمة التي غطت مختلف تاريخ المغرب كانت ممثلة في اللانظام (السيبة)، وهي جزء من ماهية الدولة، فالخضوع للسلطة المركزية كان يتم في الغالب الأعم وفق شروط الجهاد (الدولة الإدريسية والمرابطية المثل الأوضح على ذلك). لكن في حالات أخرى كانت الجائحة تؤثر على المشهد السياسي أيضا: المثل ما وقع مع الدولة السعدية، موضوع المسألة التاريخية.

التاريخ لا يخص الأحداث السياسية المؤثرة القائمة على المواجهة واستبدال سلطة بأخرى، بقدر ما قد يسير في اتجاه التحولات البيئية (الجفاف/الأوبئة)، والتي كانت تنزل بها بشكل دَوري مخلقة ورائها سبلا من الانعكاسات السلبية طالت مُجمل الميادين أكانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية وحتى ذهنية.

ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة



الأوبئة

في عام 1557 م ضرب وباء شديد منطقة الريف، ومنها بدأ بالانتشار في مناطق القسم الشمالي للسلطنة إذ طال مدينة تطوان التي أوقع فيها عددا كبيرا من الموتى منهم الشيخ أبو الحسن علي المكنى بالفحل³. ثم بعدها انتقل الوباء إلى مدينة فاس و عند نزل بها أبو الحسن هرب هو وجل سكانها إلا أن هذا لم يحل دون هلاك خلق عظيم

كارثيتها كون هذه الكوارث الطبيعية كانت تصاحبها في الغالب الأعم عدد من موجات المجاعات المعطى الذي كان يُصيب الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية وكذا الديمغرافية للبلاد بالهشاشة والضعف لعدم التوفر على إمكانيات المُجابهة. مما كان يؤدي إلى تعطيل عجلة الإنتاج بفعل اعتناق الأهالي للنشاط الرعوي على حساب النشاط الزراعي، وبالتالي عرقلة مخططات الإصلاح التي كانت تعرفها السلطنة الشريفة .

نذكر عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي، والذي إبتدأ بنزول جفاف تلاه وباء تم انتشار لجائحة السعال المفضي للموت، وبين سنوات 1597 م و 1598 م ضرب البيت المغربي وباء شديد كانت له انعكاسات ديمغرافية سلبية، وبعده مهدة نزل وباء الطاعون وقد كان ذلك عام 1601 م، والتي أرجعت عدة مصادر سبب انقضاء أجل المنصور إليه.

من الأمور التي كانت تزيد من عظم

الهوامش

- 1 - ابن أبي زرع؛ الأئيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص . 114.
- 2 - أنظر ابن أبي محلي؛ الإصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت، مخطوط، خ. ح. رقم: 100، ص. 46-93-95.
- 3 - ابن عسکر؛ دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، الرباط، 1976، ص. 44.



وجعلت المخزن السعدي يعيش في حالة من العجز: "إن قوة السلطان الذي كان يسوس البلاد قد نالها ضعف شديد حتى اضطر إلى الاستعانة بالأسرى (الأوروبيين) لتعزيز حرسه الشخصي. ووقع التمرد في أماكن شتى، وهدد بتخريب مصانع السكر ونهبها، ما اضطر العمال إلى الهرب خوفاً من المتمردين ومن الوباء الذي ظهر في بعض تلك المصانع وتركوا كل شيء عرضة للنهب"¹³.

دَرءاً لأي احتجاج أو مؤامرات خارجية قد تُحاك على السلطنة الشريفة مستغلة هذا الظرف الذي تعيشه خاصة من لدن الإسبان ، بادر المنصور أحمد إلى اتخاذ عدة إجراءات احترازية من أهمها النَّكْبُ بعدد من الأطر المُشغلة بالبلاط السلطاني ذات الأصول الإسبانية من علوج ومورسكيين الذين بدأ الشك ينتابه من ولأهم له. وبعد أن خفت وطأة الوباء وتراجعت بدأت الدولة تعمل على إعادة ترميم الأوضاع من جديد لكي تعيد الأمور إلى سابق عهد ما قبل نزول الوباء. لكن هذه الجهود التي قادها السلطان ستسبب جميعها بعدما عاد الوباء من جديد ليضرب الدار المغربية بعد فترة سكون لم تَطُلْ، وهو المعطى الذي زاد من تكريس الأزمة والمواجهات التي ستنشأ في ثناياها، والتي انضافت إليها موجة من المجاعة أصابت البلاد أربع سنوات متتالية ما بين 1604 و 1608 م وساهمت في إغراق البلد في بحر من الصراعات لا تنطفئ الواحدة منها حتى تبرز الأخرى. وقد اضطر هذا

1610 م إلى مجموعة من الطوائع التي نابتة والتي أدخلته في حالة من الجمود¹⁰، وأدت إلى نسف عدة إصلاحات أطلقها المخزن السعدي خاصة في عهدة المنصور وقد كان أولها هو الذي امتد من عام 1597 إلى 1598 م وحسب ما جاء في المصادر فقد كان يودي بألف ضحية كل يوم بفاس وحوالي الألفين منهم بعاصمة الملك السعدي مراكش يومياً؛¹¹ مما دفع عدداً من الجهات بإسبانيا وفي مقدمتها المجلس البلدي لمدينة قادس درءاً منه لانتقال العدوى إليها إلى قطع كل الروابط لاسيما التجارية منها التي كانت تجمعها مع الدولة الزيديانية، والتي كانت همزة الوصل فيها الثغور المحتلة، وقد أشار مجلسها البلدي هذا في برقية له إلى أن هذا الوباء الذي حل بالمغرب قد خلف وراءه ما يزيد عن أربعمئة وخمسين ألفاً من الموتى¹².

أمام هذا كله آثر السلطان المنصور الخروج من مراكش والعيش في الضواحي تحت الخيام مخافة الإصابة بعدواه، مما أثر على فعالية السلطة المركزية، ولم تتوقف المسألة عند هذا الحد بل شملت أيضاً المخزن الجهوي والمحلي الذي فقد جزءاً هاماً من نفوذه بفعل حالات الهلع والخشية التي انتابت أطره والمحيط الاجتماعي الذي كان يسوسه، وقد استفحل الأمر بعدما وصل إلى القوة العسكرية النظامية التي أصابها من الارتباك والوهن الكثير من علاماته انتشار التمردات وأعمال النهب والتخريب التي عمت البلاد،

من أهاليها فقد كان يميت كل يوم ما بين ألف وألف وخمسمائة نفس. كما مس ساكنة اليهود أيضاً وصل إلى ما يقرب إلى ألف وست مائة وأربعين (1640) فرداً منهم⁴. ولم ينحصر هذا الوباء فقط في القسم الشمالي بل غزا معظم أجزاء البلاد الأخرى، وفي مقدمتها مراكش (المدينة) وأحوازها والتي أوقع فيها من الضحايا الكثير كان من بينهم مفتي الحاضرة المراكشية أبو عبد الله الحساني الدرعي⁵. وبالتالي فقد عم هذا الوباء معظم مناطق الدار المغربية. وحول الخسائر البشرية التي خلفها فقد أشار حاكم أصيلة البرتغالي الكونت ريدونديو في برقية مرسله إلى دولته أن هذا الوباء قد أفنى ما يفوق ثلاثمئة ألف (300 ألف) من المغاربة⁶. وإذا اعتمدنا هذا الرقم المدلى به واستحضرنا في الآن نفسه التعداد السكاني للدولة الشريفة الذي كان لا يزيد عن ثلاثة ملايين نسمة فإن المغرب بذلك قد فقد حوالي عشرة بالمائة من سكانه.

وفي سنة 1580 م نزل بالدار المغربية وباء جديد عُرف بوباء "كحيكحة" إذ أصاب المغاربة سعالاً شديداً كان يوصل صاحبه إلى الموت بعد ثلاثة أيام أو أربعة من إصابته به⁷، وزاد من استفحاله أنه سبقتة سنوات من القحط أنهكت البلاد وأدت إلى شيوخ ظاهرة الغلاء⁸، وبالتالي كانت بداية حكم السلطان أحمد المنصور غير يسيرة لكون هذا الوباء قد "وقع الناس في فناء عظيم"⁹.

ولقد تعرض المغرب ما بين 1597 و



ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

بين صفوف الأهالي، ومن ذلك ما وقع سنة 1579 م من "غلاء عظيم بالمغرب حتى عرف ذلك العام بعام البقول"¹⁶، وقد كان يساوي ظهور عام جاف إنتاج ضعيف يتولد عليه في الغالب غلاء شديد. الأمر الذي كان يؤثر على باقي النشاطات الأخرى.

قد كان السكان إذا لم يستطيعوا الحصول على تركيبة الأكل المعتادين عليها من حبوب وفاكهة وقطاني يلجؤون إلى تركيبة أخرى موجودة في الطبيعة مثل الكرنينة والبلوط والبقول المذكورة سابقا. كما عملوا على ذبح عدد من رؤوس مواشيهم للاستفادة من لحومها بفعل عجزهم عن توفير الكلال لها وانعدام أماكن الرعي .

ينضاف إلى هذا الجفاف الذي امتد لسنين عديدة زمن الحكم الزيداني، والذي لم تسلم من آثاره حتى زراعة قصب السكر، مما أدى إلى هلاك الحرث

ليلة الاثنين الموالي لتاريخه، فتوفي رحمه الله، ودفن يوم الاثنين عند صلاة العصر وكانت وفاته بالوباء"¹⁴. وموته انهار آخر جدار صد أمام الاضطرابات السياسية التي ستعم الأرض المغربية بعده بقيادة ذريته. كما أدى وباء الطاعون هذا المذكور إلى وفاة قَدْرٍ مهول من أعيان المدن ورموزها الذين كان يعتمد المخزن على جزء ليس باليسير منهم، إذ أنه قد هلك من "الشرفاء والفقهاء وأعيان فاس ما ينيف على الستة آلاف"¹⁵.

المجاعات

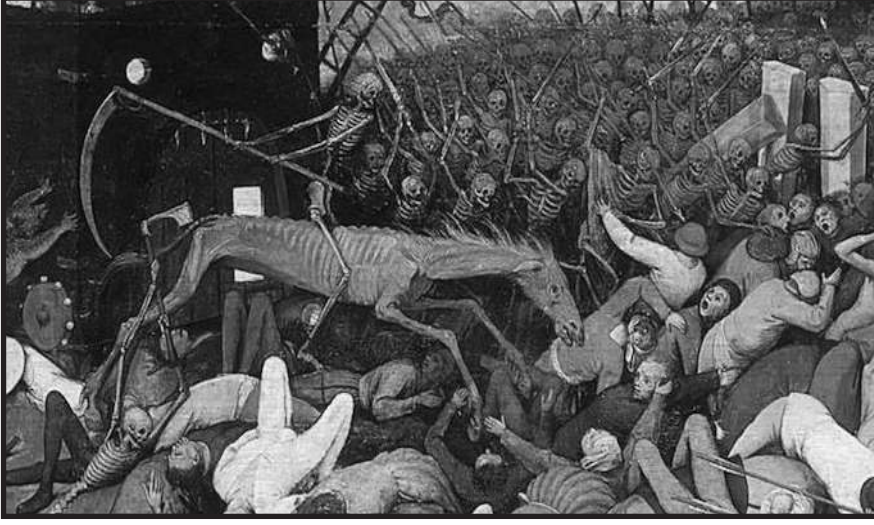
لقد لعبت الظروف المناخية المتسمة بعدم انتظام التساقطات المطرية والتي تعد خاصة ملازمة للمغرب بل وبانقطاعها مدد طويلة إلى ظهور سنوات من القحوط التي كانت تنزل عليه من فترة لأخرى الأمر الذي كان يؤدي إلى شيوخ الغلاء وانتشار المجاعة

المُستجد ، السلطان المنصور إلى القعود بفاس التي سار إليها من أجل إنهاء تمرد ولده البكر محمد الشيخ المأمون الذي خرج على أبيه بعدما نزع منه ولاية العهد كما أشرنا آنفا.

أمام انتشار الوباء في ربوع واسعة من البلاد أمر السلطان المنصور ولده أبي فارس بالخروج من مراكش الذي كان نائبه عليها اتقاء شر الإصابة به، وهذا ما تم، وفي هذه الموجة الثانية من هذا الوباء انقضى أجل السلطان أحمد المنصور الذهبي، وقد أرجع صاحب نزهة الحادي سبب وفاته إلى الوباء الذي اخترق جسد السلطان "كان ابتداء مرض المنصور رحمه الله بمحلته في ظهر الزاوية موضع بظاهر فاس الجديد قريب منه، يوم الأربعاء الحادي عشر من ربيع النبوي الأنور المبارك من عام إثني عشر وألف فدخل من محلته راجعا إلى فاس الجديد، ولزم الفراش إلى

الهوامش

- 4 - روزنبرجبرنارو التريكي حميد ؛ المجاعات والأوبئة في مغرب القرنين 16 و 17 م ، ترجمة عبد الرحيم حزل ، منشورات دار الأمان ، الطبعة الثانية ، الرباط ، 2010 / 1413 ، ص . 82 .
- 5 - ابن عسکر؛ دوحه الناشر، مصدر سابق ، ص . 86-87.
- 6 - روزنبرجي برنار و التريكي حميد ؛ المجاعات والأوبئة ، مرجع سابق ، ص . 84.
- 7 - مجهول ؛ تاريخالدولة السعدية التمكدارتية، تحقيق عبد الرحيم بنحادة ، دار تينمل للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، مراكش ، 1994 ، ص . 99.
- 8 - الإفرائي ؛ نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، طبعة هوداس ، باريس ، 1888 ، ص . 247.
- 9 - مجهول ؛الدولة السعدية ، مصدر سابق ، ص . 99.
- 10 - أنظر استيتو محمد ؛ الكوارث الطبيعية في تاريخ مغرب القرن 16 م ، مجلة كلية الآداب ، وجدة ، عدد 2 ، 1991 ، ص . 155 - 164 .
- 11 - مجهول ، نفس المصدر ، ص . 99.
- 12 - روزنبرجي برنار و التريكي حميد ؛ المجاعات والأوبئة ، ص . 93.
- 13 - روزنبرجي برنار والتريكي حميد، نفس المرجع ، ص . 98.
- 14 - الإفرائي ؛ نزهة الحادي ، مصدر سابق ، ص . 279.
- 15 - القادري محمد بن الطيب ؛ نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني ، الجزء الأول ، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق ، مكتبة الطالب ، الرباط ، 1986 ، ص . 69.
- 16 - القادري محمد بن الطيب ؛ نفس المصدر، الجزء الثالث ، ص . 253.



القادرة على الشراء تراجعت وصار همُّها الأول هو تأمين المواد الغذائية.

ترتب عن هذا كله توقف عجلة الإنتاج وتراجع مستوى التبادلات التجارية²⁰ مما كان يؤدي إلى شيوع ظاهرة غلاء الأسعار، وبالتالي تدهور وضعية السكان؛ ومما زاد من إنهاكها وتقليص مقدراتها المالية والمادية معا منع الدولة الزيدانية لكل أشكال التنقلات مخافة انتقال الأوبئة إلى مجالات أخرى مما حال دون إنسيابية الحركة الاقتصادية في عموم الدولة. كما أضرت كذلك ببيت المال الزيداني وبالتالي على كل الهياكل التنظيمية والأدع الميدانية لمؤسسته المخزنية باعتبار أنها أدت إلى تقليص العوائد الضريبية التي كانت أهم مصدر مالي تتكئ عليه خزانتهم المالية بفعل عدم قدرة الأهالي سواء الحضريين أو الريفيين على دفعها لاسيما في مواطن الجوائح، بالإضافة إلى عدم استطاعة الإدارة الجبائية مباشرة أعمالها. كما كان معتادا مخافة انتقال

الإنتاج لاسيما الفلاحي بفعل عدة أسباب من أهمها تقلص أعداد الساكنة النشيطة القادرة على العمل، وتراجع كذلك القدرة الشرائية للأهالي لكون أن معظم مُدخراتهم المادية صرفت في توفير حاجياتهم الأساسية من الغذاء الذي غلا سعره سيما في سنوات الجفاف، وكذلك بفعل أعمال الاقتتال الجارية أطوارها بين أبناء المنصور حول الحكم والتي دفعتهم إلى الانتقال من الواجبات الضريبية المفروضة على السكان، يضاف إلى هذا كله تدمير البنية الصناعية للدولة السعدية وفي مقدمتها معامل السكر التي إتخذها سلعة أساسية في تعاملاته التجارية الخارجية مع أوروبا الأمر الذي أدى بهذه التجارة الخارجية إلى أن تهوي وتراجع مستوياتها بشكل كبير وخلال زمن قصير كما أنها لم تكن، ومن ذلك أيضا في الشق التجاري تأثر التجارة الكبرى التي كانت تتمحور حول السلع التكميلية التي كانت تنكفئ على نفسها إن حلت إحدى الكوارث الطبيعية بالدار المغربية لكون الإمكانيات المادية للفئات

والنسل. وهو المعطى الذي أثر مباشرة على الموارد الضريبية للمخزن السعدي. بل وحتى في علاقته مع القبائل التي كان جباته يطالبونها بتأدية كل ما بذمتهم من ضرائب لم تدفع في أعوام الجفاف، الشيء الذي كانوا يعملون على تفاديه بحرق قطع صغيرة من الأرض حتى يقلصون من قدر التكاليف المالية أو المادية المفروضة عليهم¹⁷ مما كان يفضي في الغالب إلى توتر هذه العلاقة الجامعة بين الطرفين. ومن الأشياء المؤثرة التي كان يقدم عليها جزء من المغاربة من أجل مواجهة شدة أنواع القحوط، وما يتمخض عنها من نقص مهول في الغلاء قتلهم للأطفال "فغلت الأسعار بسبب ذلك فبلغ الصاع النبوي من القمح نحو درهمين ونصف شرعية أو أزيد، وأكل الموتى والجيف وذبح الأطفال"¹⁸.

وقع الجوائح الطبيعية على الدولة

أدت الجوائح الطبيعية في أواخر القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر إلى حدوث ركود ديمغرافي كبير داخل المغرب¹⁹، وقد اعتبرت المجالات الصحراوية بدرجة أولى ومن بعدها البقاع الجبلية بدرجة ثانية خزانا ديمغرافيا لأنها ظلت بعيدة عن الجوائح وفي مقدمتها الطاعون، وهو المعطى الذي دفع عددا من القبائل إلى النزول بها في فترات الكوارث الطبيعية هاته.

انعكس هذا الوضع العام المأزوم سلبا على المجال الاقتصادي إذ تراجع



ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

مع الكوارث الطبيعية خاصة الطاعون والمجاعات؛ مما رفع من منسوب الشك في مشروعيتهم السياسية ، الأمر الذي ساعد على التسريع من وتيرة إنهيار مؤسسة المخزن السعودي التي فقدت رصيذا يكاد يكون تاما من المشروعية السياسية التي كانت تتمتع بها من قبل.

ساهمت أيضا في هذه النتيجة عدد من الإجراءات السلطانية التي أدت إلى تعميقها أكثر فأكثر، ومن ذلك أنه كلما نزلت جائحة وبائية بدولة مراكش إلا واحتما الجبال وغادروا مقرات الحكم مثل ما قام به منصور الدولة السعودية أحمد المنصور الذهبي عند ذبوع طاعون عام 1597 م إذ غادر حاضرة ملكه مراكش ومقر سلطانه البديع ورابط هو وعدد من أفراد بطانته في إحدى المناطق الجبلية القريبة منها إلى أن انحصر هذا الوباء. وكان هذا الفعل يستغل من قبل الأهالي ويوظفونه من أجل التخلص ولو لحين من نير المخزن والتزاماته.

من المعطيات التي تناولناها بالدرس والتحليل نستنتج أن الكوارث الطبيعية هاته قد شكلت أداة تقويض بنيوي أمام كل تطلع هادف إلى تطوير السلطنة

السياسي التي بدل في مأسسته وتوطيد أدوات عمله من خلال جهاز المخزن الشيء الكثير، ولمدة زمنية قاربت المائة سنة من طرف عدد من سلاطين بيت الحكم الزيدي الذي تباينت مقارباتهم في الاشتغال السياسي، ومن أهمهم في هذا الجانب محمد الشيخ وعبد الله الغالب وأحمد المنصور الذي هو أبرزهم على الإطلاق. إلا أن مصيرها كان هو الفشل، لكون أن المخزن السعودي لم يقدر على مجابهة فترات وقوع الكوارث الطبيعية التي أنهكته وعرقلته وفي أحيان عديدة نسفت جزءا مهما من الإصلاحات التي قام بها الشيء الذي أدى إلى انحباس الموارد الضريبية عماد المالية السعودية مما أفقد المخزن قسما هاما من السيولة المالية التي كان يتكئ عليها لضمان ديمومة نفوذه السياسي، وقد تمظهر هذا بشكل كلي في السنوات الأخيرة التي عاشها المنصور الذهبي، والتي بعد وفاته سيزيد منسوب تكريسها بفعل كثرة التمردات التي قادتها القوى المحلية أو التي تزعمتها القوى الأميرية الراغبة في التسلطن والتي عبأت لحربها موارد مادية كبيرة ستصرف كلها في العمليات العسكرية، والتي سوف يعبئونها من أموال الأهالي الذين يُقاسون الأمرين

العدوى لأطر المخزن وما قد يحدث من جراء انتشارها فيهم من ارتدادات سلبية على الدولة. الشيء الذي كان يرخي بظلال من السلبية على الناحية الأمنية بالبلاد التي تصير بفعله رَحْوَة الأمر الذي يزيد من أعمال النهب والسراقات بفعل الفراغ الأمني الذي كانت تُوقِّعه.

لم يكن تراجع القوة الإنتاجية للاقتصاد السعودي ظرفيا ينتهي بانصراف الجائحة بل أصبح بنويوا بفعل دوريتها، وقد تزامن هذا مع تطورات كبيرة صار يعرفها الاقتصاد الدولي انطلاقا من القرن السابع عشر إذ بدأ الثقل الاقتصادي العالمي يتحول من البحر الأبيض المتوسط إلى المحيط الأطلنطي. كما أن الأوروبيين بدأوا يجلبون مختلف احتياجاتهم من مادة السكر من أراضي الهند الغربية وخاصة البرازيل، وبأثمان منخفضة عما كانوا يشترون بها هذه المادة من المغرب مما ضرب عمادا أساسيا بنت عليه الدولة الزيديانية اقتصاد دولتها، وهو الأمر الذي أدى إلى حرمانها من موارد مادية ومالية كانت تغطي جزءا مهما من احتياجاتها.

لقد أرخت هذه الكوارث الطبيعية بظلالها السلبية كذلك على الميدان

الهوامش

- 17 - مجهول، تاريخ الدولة السعودية ، ص . 74 .
- 18 - القادري محمد بن الطيب ؛ نشر المثنائي ، الجزء الثاني ، ص . 129 .
- 19 - المنصوري عثمان ؛ بعض قضايا البحث الديمغرافي في الفترة الحديثة (القرن 16 م نموذجاً) ، كنانيش : منشورات كلية الآداب ، وجدة ، 1999 ، ص . 87 .
- 20 - المنصوري عثمان ؛ تأثير الحروب والكوارث على النشاط التجاري بمغرب القرن السادس عشر ، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب ، الجزء الثاني ، جامعة الحسن الثاني - كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ، 1989 ، ص . 170 .



وأما أهل مراکش و تارودانت فتفرقوا له في البادية والجبال، فكان أكثر وقوعه بهم وانقرض جل أعيانهم حتى استولى الخراب على الحاضرتين، ثم لم يزل يعود إليهم سنة بعد سنة وهم يفرون منه مدة من اثني عشر عاما²¹. الجائحة في العموم آلة تعرقل إنجاز مشاريع الإصلاح تلك التي أطلقها سلاطين البيت الزيداني الأمر الذي أدى إلى كبح جماح الدولة المغربية المتطلعة إلى مواكبة التطورات المتسارعة في الغرب الأوروبي الذي كان يتمتع بمنظومة مناخية ملائمة في معظمها دافعة نحو الاستقرار بفعل التوازن الذي رسمته في دياره بين الإنسان والمجال . ■

نحو الخارج وبخاصة أوروبا والتي كانت تلقى ثناءً من فئة الفقهاء بطريقة غير مباشرة في مضاعفة حدة هذه الجوائح الطبيعية؛ إذ كانت تثني المزارعين على عدم زراعة كل الأراضي ما دام الفائض الزراعي المنتج في أوقات الخصب لن يسمح لهم بتصديره، وهو ما كان سيغدي مداخيلهم ويحسنها وسيطور أدوات الإنتاج كذلك. كما لعبت نوع الثقافة التي كان يحملها عدد من المحسوبين على النخبة العاملة والتي كانت تلقى رواجاً كبيراً في حينه دوراً كبيراً في تكريسها، وهنا نستشهد بما كان يقوله الفقيه التمارتي حول الطاعون الذي ضرب الدولة الشريفة سنة 1597 م، إذ عد من صبر ساكنة فاس، وواجه "الأمر بالتسليم، فارتفع عنهم من سنته ولم يعد إليهم،

والرفع من الانتاجية الاقتصادية لها من خلال الرفع من النشاط التجاري الداخلي والخارجي وكذا من فائض الإنتاج الزراعي. لكن المعطى الذي يثير كثيراً من علامات الاستفهام هو أن درجة وعي الدولة ورعاياها بهذه المعضلة الطبيعية المرادفة للدار المغربية لم يتعد مسألة تشييد مخازن تخزين للمؤن الغذائية؛ إذ لم يتم العكوف على ابتكار حلول وتقنيات بديلة قادرة على مجابقتها أو على الأقل الحد من انعكاساتها عبر مثلاً ربط المزروعات المسقية مثلاً بمياه الآبار أو منابع مياه الجبال، إلا أن طرائق المواجهة ظلت هي دون تطوير كبير.

ساهمت القرارات المخزنية القاضية بمنع تصدير عدد من المنتوجات الزراعية

ملف العدد : المغرب ومفازات الجامعة

الهوامش

21 - التمارني؛ الفوائد الجمّة في إسناد علوم الأمة، تحقيق اليزيد الرازي، منشورات مطبوعات السننسي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1999، ص. 110-111.

المصادر والمراجع

مصادر:

- ابن أبي زرع؛ الأنيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973.
- ابن أبي محلي؛ الإصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت، مخطوط، خ. ح، رقم: 100.
- ابن عسكر؛ دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، الرباط، 1976.
- الإفرائي؛ نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، طبعة هوداس، باريس، 1888.
- التمارني؛ الفوائد الجمّة في إسناد علوم الأمة، تحقيق اليزيد الرازي، منشورات مطبوعات السننسي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1999.
- القادري محمد الطيب؛ نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، الأجزاء: الأول والثاني والثالث، مكتبة الطالب، الرباط، 1986.
- مجهول؛ تاريخ الدولة السعدية التمكدارية، تحقيق عبد الرحيم بنحادة، دار تينمل للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، مراكش، 1994.

المراجع:

- روزنبرجي برنار والتريكي حميد؛ المجاعات والأوبئة في مغرب القرنين 16 و 17 م، ترجمة عبد الرحيم حزل، منشورات دار الأمان، الطبعة الثانية، الرباط، 1413 / 2010.
- استيتو محمد؛ الكوارث الطبيعية في تاريخ مغرب القرن 16 م، مجلة كلية الآداب، وجدة، عدد 2، 1991، ص.ص. 155 - 164.
- المنصوري عثمان؛
- بعض قضايا البحث الديمغرافي في الفترة الحديثة (القرن 16 م نموذجاً)، كنانيش: منشورات كلية الآداب، وجدة، 1999.
- تأثير الحروب والكوارث على النشاط التجاري بمغرب القرن السادس عشر، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، الجزء الثاني، جامعة الحسن الثاني - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 1989، ص. ص. 167 - 175.

ملف المدد

الأنثروبولوجيا : وقع الجائحة و مآلات الخطاب السياسي

عبدالإله الكلخة
باحث في أنثروبولوجيا الدين
والسياسة

"في بداية نشأة الإنسان و وجوده على الأرض
كانت الرغبة في الحياة عند هذا الموحش Inceptit-Homo
تقوم على مقاومة الطبيعة،اليوم الأمر مختلف تماما،فالرغبة
في الحياة عند هذا البدائي رهينة بمقاومة السلطة"
جيل دولوز
"نشعر بارتياح كبير حين نرى الآخرين يتألمون،ونشعر
بارتياح أكبر حين نؤلمهم،إنها حقيقة قاسية ولكنها قديمة
وقوية وأساسية"
ف. نيتشه
النيران الصديقة!!! يا إلهي !!أين العدو!!!؟

بات من الضروري ربط الصلة بين
الماضي البعيد والوقائع المستحدثة الآن،
ما يعني أن أنثروبولوجي اليوم معنيٌ
بالتاريخ أولا، وهو أرّخ مدعوم بالوثيقة
شفهية كانت أو مكتوبة، لكن ذلك لا
يعني عنده الوقوف عند -الماسبق- بل
ما يعنيه هو الحاضر المشروط بالهنا
والآن، باختصار أنثروبولوجي اليوم
موجه بالحدث (L'Événement)
وعليه أن يحدده باعتباره توسطا بين من
يحتكر السلطة، ومن يسعى إلى إزاحتها
وتقويضها².
الحدث هو ما يتمظهر فعلا(Acte)

التوجيه العَوَلَمِي. ومعنى هذا أيضا هو
أن الكل بدأ يخضع لمنطق الزعامة القائم
على الرأي الواحد الموجه، والمحدد بمحور
الخير ومحور الشر، وأيضا الزعيم الواحد
الذي تتوحد فيه جميع الآراء والزعامات.
لكن السؤال المحير فعلا هو هذا الولاء
نفسه - وقد أصبح تعددا- هو لمن؟ و
لصالح من؟
في ظل هذه التحولات الكبرى
والمفصلية التي يعيشها الإنسان في
العصر الحديث القائمة في الراهن على
حروب وصراعات مذهبية وطائفية،
مجاجات، وحركات سياسية، وأوبئة...

مهام الأنثروبولوجيا

تهتم الأنثروبولوجيا في جزء منها
بتأويل خصائص الواقع، وتحولاته
الفكرية والثقافية في تعالق مع مُمبُولَات
الأفراد ونزعاتهم البدائية المقترنة
بالتوحش بحسب ك.ل.ستراوش(1)،
الدافع في المجمع عند هذه
الأنثروبولوجيا كان رهينا بوجود جماعة
بشرية تتحصن داخل القبيلة، وهي
"جماعة" أو "مجموعة سياسية" بتعبير
"بول باسكون" تحكمها الجغرافيا
وتتوجه بالتاريخ¹.اليوم توسعت الدائرة
فاستحال العالم كله إلى قبيلة كبرى بفعل

ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة



ومعاشا (Vécu)، فلنتحدث عن صراع الحضارات عوض صراع الأفراد والجماعات. "قد يُحْمَلُ الحدث عند اللزوم بسلسلة من الدلالات -بتعبير فرنان بروديل- وهو يشهد أحيانا على توترات عميقة جدًّا، ويضم عبر اللعبة الزائفة أو غير الزائفة "الأسباب" و"النتائج" التي كانت متوفرة لدى مؤرخي الأمس، لكنه مسنود بلحظة زمنية تتجاوز نفسها باستمرار يشهد أحيانا على توترات عميقة جدًّا، ويضم عبر اللعبة الزائفة أو غير الزائفة "الأسباب" و"النتائج" التي كانت متوفرة لدى مؤرخي الأمس، لكنه مسنود بلحظة زمنية تتجاوز نفسها باستمرار".³ تخفي التوترات عند بروديل صراعات داخل الجماعة في الفهم والتأويل بحثا عن

السيطرة، أما اللحظات التي تتجاوز نفسها باستمرار، فهي عنده بقايا هذا التأويل في الراهن وأثره في الوعي الجمعي.

1 - في البدء كان التوحش / الإنسان آلة ثم رقم

الخضوع لها حد الإيمان بها وتقديسها. إعطاء صفة القداسة للنار، والحيوان والشمس، القمر، والنجوم... الخ، هو تحويل الطبيعي والمرئي إلى معنى وأثر (Trace)، وقد أصبح آلهة؛ المقدس لغة الإنسان البدائي في إثبات هويته، بعد أن استحالت هذه الهوية إلى ثقافة واعتقاد.

أسست الليبرالية الجديدة للإنسان الجديد الآلي ثم الرقمي، وأعادته إلى أصوله الأولى، وهي أصول بدائية ملخصة في الخوف القائم والمرتبب؛ الخوف من البعيد الغريب والمجهول القريب. في السابق كان هذا الخوف ملتصقا بقوى الطبيعة؛ السيطرة عليها رغبةً مسنودة وموجهة بالإرادة والقوة، أما الخوف منها فرهبة تدفع هذا الإنسان نحو

الهوامش

1 - P.Pascon: trente ans de sociologie du Maroc .n°(155-156)Janvier 1986.PP(186-187)

2 - -Brodel Fernen.Histoire et sciences sociales la langue durée.(Ecrit sur l'histoire).Ja marein. Série Champ.S.paris1967(P.P 41-83)

3 - -Ibid.P:49

4 -روسوج.جاك.خطاب في أصل التفاوت،وفي أسسه بين البشر.م.د.ز.ع.تر:بولس غانم ط. 2009



والانتهاج، شعار هذه الليبرالية الجديدة كان هو "دعه يعمل دعه يمر"، لكن الكل آل إلى الانفلات والخروج عن كل ما هو قيمي، فكان الانزلاق نحو اقتصاد السوق؛ السوق الموجه باحتكار السلع ومعها تسليح البشر (تجارة الرقيق البيض) بكلمة واحدة البشر أصبح بضاعة.

لنسجل أولاً -بحسب قناعات بورديو- أن قيم الليبرالية هذه تأسست من قبل أفراد مثقفين لهم امتداد متجذر وعميق في الفلسفة الماركسية⁸ كـشغور، وبالير وجوسبان وهذا له دلالتة، فالحرية هي المركز، ومن المؤسف حقا أن كلا من الاشتراكية والرأسمالية كانتا وليدة الفلسفة الأنوارية، فالدفاع عن الحريات والاقتسام العادل للثروات كما الدفاع عن حقوق العاطلين عن العمل، كل هذا كان يضع الفرد أمام التزامات حقوقية، في حين أن الانتماء الفكري والأيدولوجي المسنود بقيم المواطنة ذات المنحى الليبرالي أو الاشتراكي هي قناعات ذاتية وحرية شخصية، غير أن الكل آل إلى ديكتاتوريات.

2 - سلطة الجسد/ بلاغة

السوق

قامت النيوليبرالية على الإلغاء المباشر لدور الإنسان في ممارسة فعل التفكير نفسه فالذي يحتل مكانه فيه هو الخبر والمدرّب (Coach)، تم تسطيح الوعي لتحتمل العين الصدارة والقوة مكان التفكير والنظر، ومعها أصبحت النخبة

المواطن في الانتماء إلى المدينة، وجوده رهين بإبداء الرأي والدفاع عنه أمام الجمهور (L'Assemblée)، والحر هو من يستقل برأيه بعد أن يخضعه لمبدأ المحاججة أولاً والجدل (دياليكتيك) ثانياً، ولا يمتلك الرأي قيمته إلا حين يوضع في تقابل مع آراء أخرى ممكنة، لذا ألغى أفلاطون النساء والعبيد من الحق في التصويت، بل ومن حضور التجمهر أساساً، لأن هذه الفئة لا تتمتع بالاستقلال في الرأي، فالسياسة مشروط بالحرية، وهذا أمر لم يكن متاحاً في زمنه لهذه الفئة من المجتمع.

تطورت العقلانية -نظم التفكير و النظر- ومعها توسعت دائرة العدالة الاجتماعية، وتحققت مع ظهور المدينة الجديدة التي تُعلي من قيمة فرد يتمتع بحريته في إبداء الرأي عندما يتعلق الأمر بالسياسة، والاحتفاظ به عندما يتعلق الأمر بالمقدس، كما ويحتفظ هذا الفرد بملكته بقوة القانون فما تملكه يخصك، أما آراؤك فتخص الآخرين، تدحض كما تتقوى بالجدل والمناظرة، ويتم التعيد لها بالقوانين والداستير لتصبح هي ماهية الدولة، الديمقراطية والعدالة الاجتماعية يخضع فيها الرأي لمنطق الأغلبية⁷.

تم تعويض هذه القيم بمنطق السوق، الربح والخسارة الموجهة بفعالية الاستهلاك، هي ما يؤسس لماهية الليبرالية الجديدة، كانت الرأسمالية نفسها محكومة بقيم السوق المحكوم بمبدأ الحرية والمنافسة في العمل

الاجتماعية قائمة على التعاقد، فهل هذه القيم التي جاءت بها فلسفة الأنوار لازالت قائمة وصالحة لتفسير الواقع الذي نعيش فيه أم أن نهايتها كانت مع نهاية العصر الذي ظهرت فيه؟

في حوار له مع الأديب والروائي كراس (Crass) م⁵، لاحظ بورديو أن الحياة بعد عصر الأنوار ثم إقصاؤها وبالتدرج، فالمبادرة الجماعية التي تعطي للفرد هويته وتؤسس لكيونته وأناه تم التخلي عنها شيئاً فشيئاً، توجه الفرد نحو استقلاله وعزله، بعد ذلك أصبح الغموض يلف حياته لا يفارقها مطلقاً، لقد كان لليبرالية الجديدة دور في بناء عالم خالٍ من الأثر والرغبة في المشاركة الاجتماعية القائمة على روح المبادرة، كما المشاركة السياسة باتت مقلّصة ومحدودة، لم يعد بالإمكان فهم تجليات الكون القيمي الذي يصنعه الإنسان، فاستحالت رغبته في السيطرة على العالم بالبحث الدائم عن المعنى وقد أصبح "طريقاً مسدوداً" أو "متاهة" بلغة مارتن هايدغر.

لم يعد بالإمكان تحليل الوقائع والأحداث باعتماد مرجعيات الفلسفة الأنوارية، بعد أن هيمنت هذه الليبرالية الجديدة على الوعي والثقافة استحال معها الإنسان إلى آلة نشيطة موجهة بالقوة والتضليل نحو الاستهلاك. الليبرالية في العمق ثورة محافظة تعتمد على الماضي البعيد مرجعها في المجتمع اللاتيني، لقد طرح أفلاطون في "الجمهورية"⁶ ما يفيد حق الإنسان



ملف العدد : المغرب ومفاهيم الجالعة

المنتوجات، أو هي في الظاهر علامات مستقلة عن الذات، عبارة عن "دول عائمة ومعزولة"⁹. وإذا كانت التميمة عند البدائي علامة تجلب الحظ وتدفع الشر والأذى (العين)، فهي عند الليبرالي الجديد ناقلة للتمييز والاختلاف داخل فئات المجتمع، التميمة عند البدائي تجلب الحظ، وعند الليبرالي الجديد تجيش العواطف والانفعالات العدائية، الانتماء إلى ماركة معينة هو ما يحدد الهوية الجديدة أو التميز، باختصارتم تحويل الاستهلاك إلى قيمة، هي بالذات المقدس الجديد؛ فالمقدس هو ما يشعرك بالانتماء أولاً والاختلاف ثانياً والتملك

(الظهور المميز). هذه الماركات هي دليل وحجة على وجود آخر موسوم بعلامات الهشاشة والفقير البالغ حدّ تمظهره كجسد جمعي (Corpus)، مسجّل (Marqué) في المجاعات والحروب والأوبئة.

عند الإنسان الرقمي الجديد، هذه العلامة الشهارية المسجلة في اللباس، والأكل وأنواع السيارات... الخ قد تحددت من قبل خبراء مميزين في تحديد خصائص الجودة والتمييز، العلامة هي رمز وقد تحولت إلى سلطة تستدل على ذاتها بالقهر والغلبة. غالباً ما تقدم الماركات في التداول المعاصر للماركة على أنها أشياء ذات قيمة ذاتية مفصولة عن

المثقف، الانتلجينا الممثلة في المثقف والعالم عاجزة عن التأثير في الرأي العام فضلاً عن توجيهه، وقد حدث هذا عبر خطاب مهيمن يمر عبر كل وسائل الإعلام، الصورة أداته، أصبح العالم كله افتراضياً، بعد ما عوض الإنسان الكتابة بالمشاهدة والمشاهدة، تسطيح الوعي يمر عبر مبدئي التشابه والتناظر، أصبح الإنسان متشابهها، الاستهلاك هو القاعدة، والتملك هو من يحدد هويته. بعد ذلك ارتقى معنى الاستهلاك إلى ما يوهم أن هذا الإنسان دخل عالم الماركات المسجلة (Marketing)، وهي علامة مميزة عند الثري الموجه بالإيتيكيته



الهوامش

5 - حوار تلفزيوني بين الروائي كراس وبيير بورديو 1976. TV5

6 - أفلاطون، الجمهورية. تر. فؤاد زكريا. الناشر دار الوفاء الاسكندرية 2004

7 - Rousseau J.J. Du contrat Social ou Principe du droit politique. Dart Alihorf 2007 (Introduction d'Emil Durkheim).

8 - حوار تلفزيوني بين بورديو وكراس. 1976: TV5

9 - Paul Mouing. The Semiotics Annual. Review. OF anthropology. 2010. (39-49)



الإقصاء كان محكوما بالضرورة، اليوم يتم الإقصاء باسم المنفعة والربح، لا يظهر الأسود مشاركا في الحياة اليومية إلا في الوقت الذي يريده منطق السوق أن يصبح مادة إعلامية وتجارية (لاعب كرة السلة مثلا).

يحافظ المجتمع المتوحش على الخصوصية والفرادة، فمن لا يشبهني ليس من قبيلتي، الوشم كما الألوان والأصباغ التي يضعها الهنود الحمر على وجوههم مستمدة من التأكيد على الخصوصية والخصيصة القبلية، الوشم (Tatouage) شكل خاص وخالص في إثبات تفرد القبيلة وتميزها عن الأخرى¹². في المجمع الليبرالي الجديد الإقصاء يتم باللون فقط، ولكم الآن أن تتذكروا واقعة "جون فلويد" (25 ماي 2020)، فمجتمع السوق في هذا الحدث بالذات حافظ على سلوكه الفطري والبدائي فالمقدس لابد وأن يكون أبيضاً، الطهرانية تحيط به

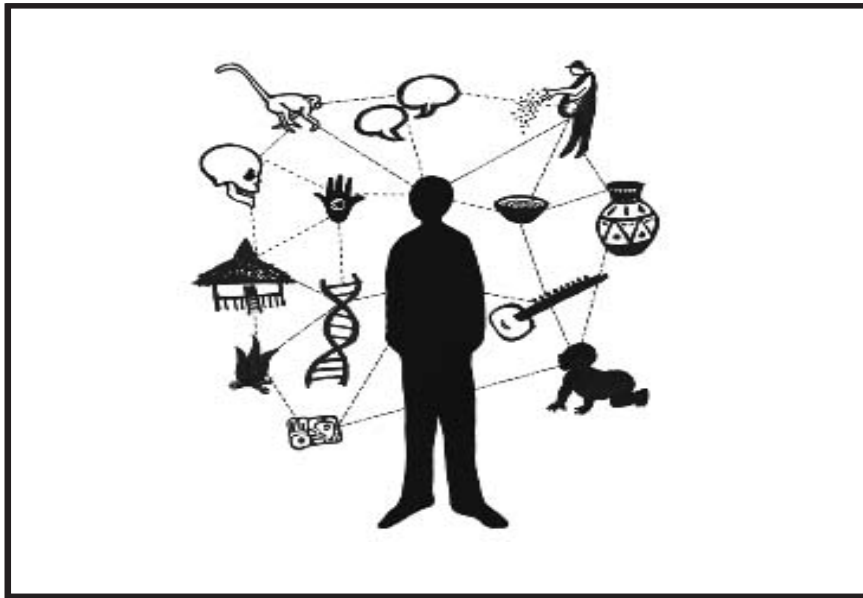
الخبير، صورته وجبهة ومقدسة . ف"في كل الصور التي تتصدر أغلفة. الموضة -الأمريكية والأوروبية- تقبل الخبرة المرأة بمعايير محددة سلفاً، هي امرأة في ربيع العمر- لكي لا نقول عشرين سنة- تظهر بجمال أسطوري أخذ وأبدي وخالد، يساهم في هذا الظهور القد الممشوق، نظرات العين، لون الشعر، اللباس... الخ تتدخل يد الخبير لتظهر الصورة مفعمة بالحياة، جسد بجمال خرافي ، أما الرجل فيتعمد الخبير إظهاره بتجاعيده، فصفة الذكورة لابد وأن تميز ملامحه"¹¹.

تتوجه الفلسفة عند أفلاطون نحو الإعلاء من قيمة الروح التي تنتظم بالشرائع والقوانين وتتأسس عليها بالعدل، فهي في بحث متنامٍ عن عدالة ممكنة ومتحققة في المدينة (La cité)، ولنتذكر أن أفلاطون أقصى النساء والعبيد من هذه الجمهورية، لأنهما يفتقران عنده إلى سلطة (حرية) على آرائهم، هذا

أخيراً.

لا تصنع النيوليبرالية من الدولة إلا ما تريده هي على مستوى الخطة الاقتصادية التي تهيبُّ بها المجموع نحو الاستهلاك، وهي بذلك تصب في معنى إنسان افتقد حس المعرفة، إنسان لا يعرف حتى حاجاته، باختصار لا يعرف حتى معنى التسوق نفسه، ولكم أن تفكروا في مجتمع صنع خبراء يعلمون الناس كيفية التسوق واقتناء المشتريات، "ففي المجتمع الأمريكي مثلاً يمكن للفرد أن يذهب إلى السوق دون أن يعرف لا الهدف ولا حتى الشيء الذي يرغب في اقتنائه، وغالبا ما يتم التخلي عن أكثر المشتريات في القمامات"¹⁰.

الكل يشتري، وقد تجاوز الاقتناء الحاجة والضرورة وتحويل ما كان يعد من الكماليات إلى أولويات في إثبات الهوية المُنَمَّطة والكينونة الجديدة، فاستبدال الأثاث المنزلي، واللباس، والسيارات.. الخ يتم بسرعة لا تحتمل طاقة الإنسان في الفعل و التفكير. صنع إذن النظام العولمي الجديد من يفكر مكانك، فهناك الموجه والمدرّب، والخبير، الذي يحتل الصدارة في مجال التدبير في شؤون الحياة. في الشعوب -المعتبرة متوحشة - الولاء فيها يكون للكاهن والساحر ورجل الدين، الزعيم هو من يتوحد فيه كل هذه الخصائص عندما يظهر تفوقه الرمزي، فهو يداوي، يشفي، كما أنه في تواصل دائم مع قوى الغيب، وسيط بين الدنيا والمقدس، الولاء اليوم للصورة النمطية التي يصنعها



ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

محور الشر ومحور الخير، منطلق القبيلة يبنى على هذا المبدأ بالذات، من ليس معي فهو ضدي.

الانصهار في السابق بين القبائل كان يتم بالمصاهرة، علاقة النسب، أما الانصهار اليوم فيتحقق بالمصلحة الاقتصادية. يستعيد الأنثروبولوجي الحدث -بحسب بروديل- فالحفريات لا بد أن تشمل الرمزي الذي أصبح متخيلا يستدعي الذاكرة، كما يفعل الإثنوغرافي تماما، فهو أولا يبحث عنها في بقايا المواد التي كانت تستعملها القبيلة في الطقوس والعبادات والاحتفالات، ومراسم الزواج، واللغة المتداولة أيضا؛ في الحروب والصراعات القبلية.

كان الدخول إلى بغداد في حرب الخليج (19 مارس 2003) بدبابات وقد زينت بالورود، يبدو التضاد والتنافر حاضرا في هذه الصورة: "الحرية محمولة على ظهر دبابة"، لكن المتحقق فعلا هو أن القتل والتهديد يسبق الحياة هنا (الورود). الجمع بين الشيء ونقيضه استعارة مجتمع السوق الذي يدفع بمعنى الحرية في الاتجاه المغلوط والمأزوم. فالحرب استعداد، وانتباه، وتوجس ومراقبة فما هو متجذر في الوعي الجمعي كمعنى نهائي لا يمكن تحويله ليعطي معنى مخالفا، إذ لا يكمن

سياسية مع "بريسترويكا" غورباتشوف، سقطت القطبية التي كانت بين الاشتراكية والرأسمالية، انتصرت الليبرالية واقتصاد السوق فأصبحت الشركات المتعددة الجنسيات حاضرة في الدولة. المؤسسات التجارية أكبر من الدولة نفسها واستحالت بحكم رأسمالها إلى شركات عابرة للقارات، وأصبحت قرارات الدولة السياسية رهينة بالنتائج الاقتصادية العام، لنقل وبالتدقيق أن نتائج المختبرات العلمية والطبية باتت هي الأخرى موجهة نحو التسويق.

حوّل التداخل في الإنتاج هذه الشركات إلى آلة حرب، هي في استعداد دائم للهجوم، الدخول في السوق التجارية والتحكم فيه يمكن أن يمر عبر خطاب المساعدات الإنسانية، كما العدالة الاجتماعية. أصبحت هذه الآلة النافذة في المجتمعات تسلب الهويات خصوصياتها كما تصنع هويات جديدة عرقية ودينية، اختفت من الوجود، الديمقراطية القائمة على رأي الأغلبية تهددت بالحرب الجديدة الخفية والمعلنة، وأصبحت الدعوة إليها وتبنيها كمنظومة قيم فكرية وثقافية وسياسية جزءا من متاهات العصر. فدخل ج.د. بوش الحرب باسم قداسة الإله الذي سينصره، وأخذت حرب الخليج هنا صفة القداسة، ظهر فعلا أن هناك محوران فقط. هما

من كل الجوانب (الأبيض رمز للطهر في كل الديانات المعتمدة سماوية).

الأنثروبولوجيا إذن يمكن أن تساعدك بحسب "مارك أوجي" و"بول كولين" على "شرح تعقيدات العصر الحالي، وأن تفهم الراهن، وتنظر إلى الواقع الذي وقع فريسة حراك يوهم بالتنوع، ويلغي الحدود بين الأشياء"¹³. فما بعد الحداثة تناغم خلاق بين الأضداد، إذ في التلاقي بين الأضداد يتعضد الصراع و اللانظام والاختلاف، فتحدث عن "فوضى خلاقة" هي استعارة اللانظام العالمي الجديد الذي يصنع القيمة، ويدفع الجمهور إلى التأقلم معها، هي بالذات منطق السوق فما تراه متناقضا ومتنوعا يغري ولا يثير الاشمئزاز، بل يمكنه أن يكون إبداعا وخلقًا. اللابيين يستحيل إلى بدهة ونقبله باعتباره كذلك. في المجتمع الليبرالي الجديد "تتكاثر العشائر الصغيرة والقبائل وتتناسل حتى تشتد حمى التناسل وأنواع من السباق القائم على التنافس يؤدي إلى التنافر واللاتجانس"¹⁴ فيه نزوع نحو الغلبة والاستعلاء.

3 - الغزاة الجدد/ قداسة

الزعيم

شهد العالم في لحظات من تاريخه السقوط المدوي للاشتراكية كمؤسسة

الهوامش

10 - Ibid .P :41

11 -Ibid .P :43

12 -Khatibi, abdelkebir. Le Maghreb Pluriel Denoël. Paris 1983

13 - Mark Angé Paul Colin. L'Entropologie « Que-Sais-je » P.U.F.2004. P : 5

14 - Maffesoli. M. Aux creux des Apparences.pour une éthique de l'esthétique. Table ronde.1991.P :240



ذات طابع عالمي ودولي، حجم استثماراتها وحجم رأسمالها ضخمة، تنوع في الإنتاج، ارتفاع في أرقام المبيعات والإيرادات، اتساع المساحة الجغرافية التي تغطيها، حيث توفر لها هذه الميزة إمكانية هائلة في السوق التجارية، ما يجعل الإحتكار يتغلب على المنافسة، هذا بديهي، والأكثر بدهة استخداماتها للتكنولوجيات ووسائل الإتصال الحديثة من العوامل المساعدة في انتشارها، يساعدها هذا في إقامة تحالفات إستراتيجية مختلفة بهدف تحقيق مصالح إقتصادية مشتركة الإحتكار في المال والتسوق أصبح بديهيها، فالتبضع هوياتي في المقام الأول (منتوج ياباني، صيني، أمريكي، ألماني..).

في صورة إخبارية، تتحدث يابانية عن "كريم وجه مستحدث الصنع، وجه مشرق وأخاذ مرفوق بهذه العبارة: إذا وضعت هذا القناع على وجهك فأنت يابانية"¹⁶، يتحدث مبدأ الانتماء إلى القبيلة عبر منطق المقايضة، الاقتصاد محكوم بمبدأي المعاش والكفاف، أما الانتماء إلى القبيلة الكبرى، فالهامشي يستحيل مركزا هو بمثابة هوية، الهوية الجديدة، فالمنتوج وحده (الكريم) يدخل المرأة في القبيلة اليابانية. في المحصلة لا حرب إلا في سوق استهلاك الماركات ومواد التجميل.

تعتمد الشركات التي تنتج المواد الصيدلانية على إنتاج مرفقاتها (Parapharmaceutique)، وتبدأ هذه الشركات بمواد التطبيب (الأدوية)، وتنتهي بمواد كيميائية

والملموسة "الدبابة المزينة بالورود"، استعارات أخرى هذه المرة انتقلت إلى اللغة والتعبير فقط لم تتعداه، فأثناء الحرب تم استعمال العبارتين "الأسلحة الذكية" و"النيران الصديقة". السؤال الذي يطرحه الأنثروبولوجي هنا يخص الالتباس في قيمة الفرد داخل القبيلة، البحث في هويته تقابلاته مع القبيلة المجاورة، يختصر في هذا السؤال من هو هذا الآخر الذي يختلف عني، ومن هو هذا الآخر الذي يشابهني، الطوبولوجيا الجديدة لا تفرق بين إنسان وإنسان، فالسلاح لا يمكن أن يكون ذكيا، يقتل فقط كما أن النيران التي تقتل لا يمكن أن تكون صديقة، الأنا في مجتمع السوق، لا تتعرف على أنها إلا داخل دائرة الاستهلاك والتأزر الذي يوحد عصب القبيلة محدد في العلامات التجارية عالم الماركات خارجها يصبح السلاح الذي يقتلك من صنع صديق !!؟

4 - البديهي والأكثر بدهة

مهنة السوسولوجي مواجهة البدايات (Habitus) بتعبير بورديو، وهذا أمر حتمي عند ناقد المجتمع، السوسولوجيا هذه المرة، نقد للبدايات ما ترسخ في العادة وأصبح طابعا وختما على الجسد البشري وتتحول إلى قيمة. لنتنبه ! تخضع الشركات العابرة للقارات في ملكيتها لجنسيات متعددة متأصلة في العالم كله، ويتولى إدارتها أشخاص من جنسيات مختلفة، الوعاء إذن هو ما تقدمه على مستوى سوق متعدد الدول، القارات

تعويض الدال الصوتي للعدالة بصورة دبابة مثلا، فالمقابل الموضوعي لكلمة عدالة في العالم الخارجي الذي ترسخ عبر التجربة الإنسانية والتاريخ هو (الميزان)، وعليه فالورود رمز الحرية لا يمكن أن تحمل على ظهر دبابة. إن استعارات الليبرالية الجديدة استحالته إلى وسائل مفهومية للإدراك أو خلق الواقع المتعارض والمتضاد، البالغ حد المنافرة، والاستعارات بذلك تخرج من دائرة الوصف والتقنين، وتلغي مجال التخيل والمحاججة، (الدفاع عما نعتبره حقا وعدلا وفضيلة). هذه الليبرالية الموجهة بمنطق السوق القائم على ربح المعركة بكل الطرق الممكنة والمتاحة يأخذ فعلا معنى "الفوضى الخلاقة".

بعد إنتاج الأسلحة النووية ثم الباليستية لم تعد الحرب تعني المواجهة، فالانتصار هو أن نمضي قدما إلى الأمام، تم استبدال الحروب العسكرية بالحروب البيولوجية، هذه هي الحرب الجديدة مكانها المختبرات الطبية والعسكرية. تهيأت الليبرالية الجديدة لصناعة انتصارات أخرى خارج المجال العسكري ليتم الحديث عبر وسائل الإعلام -أداة المحارب وسلاحه- على الانتصار على الفقر والمجاعة والأوبئة. المدنس يطال الآخر الخارج عن منظومة الاستهلاك أو المؤثر فيها فعلا. يرى " دريدا " أن التقابل بين المدنس والمتسخ، القدر والمتعفن ضروري لفهم معنى الطهرانية، وقد استحالته إلى أيديولوجيا"¹⁵.

تناسلت عبر هذه الاستعارة المرئية



ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

البرامج في وسائل الإعلام "الحقيقة أولا"، "ما وراء الحدث" "فوق السلطة" كيف يبدو الخبر مثيرا وأخذا، مستقلا ومحايذا، يدفع بالجمهور إلى الاعتقاد أنه أصبح شريكا واعيا. نتذكر أن الشريك في السياسة عند أفلاطون، لابد وأن يكون حرا وفيلسوبا، لا يتأثر بآراء العامة والغوغاء.

وظيفة الإعلام - عند شومسكي - "ليست إعلاما بل تضليلا، حيث تحويل انتباه الرأي العام إلى القضايا والامتغيات التي تقرها النخب السياسية والاقتصادية عن طريق التدفق المستمر للمشتريات والمعلومات غير المهمة¹⁸، ونحن نقول أكثر من ذلك فالتضليل يطال المعلومة نفسها حين يتقاسمها المختص وغيره، فيتجاذبها الرأي والرأي الآخر الموجه بمنطق السوق، كما الأيديولوجيا(تزييف الحقائق).

6 - انتشار الخبر/السرعة النهائية

في المجتمع الليبرالي الجديد الولوج إلى منظومة الاستهلاك يتم بالسرعة النهائية مفاده من يدخل السوق أولا. لتأمل حدث الجائحة (كوفيد 19) وكيف تشخصن في السوق الاعلامية.

1. جريدة الأحداث المغربية شتنبر

النخاسة، المجال الرقمي سوق لاستقطاب متنوع ومتعدد، فالجسد في المجال الرقمي لابد أن يتمتع بالتناغم والتناغم والجمال (كمال الأجسام/ملكات الجمال)، وراء هذا الاستقطاب القائم على الإثارة الموجه بقيمتي القوة والخلود، هناك في المقابل استقطاب للتطرف والإدمان على الألعاب، الإلكترونية، وعلاقتها بانتحار الأطفال، والتسول الافتراضي بكل تنوعاته، ومعه تقديم التقلبات الجديدة، هذا بديهي والأكثر بدها الاشتراك مع النجوم كما الأفراد العاديين في روتينهم اليومي، السوق يوجه الجمهور نحو عري مقصود، باختصار الجسد سلعة.

ينعكس هذا فعلا على نفسية المثقف، فيظهر هذا الأخير معزولا ومجاورا، يشعره هذا الإحساس بالاشمئزاز. فالسوق نوعت الذهنيات ثم وحدتها في اتجاه واحد يقوم على تحويل الخاص والحميمي إلى سلعة خاضعة لمنطق العرض والطلب، السوق الجديد للتقلبات والموضة منتج بمحتوى فارغ، وبلغة السيميائيين علامة فارغة.

5 - سردية القوي/الإعلام صناعة الإنسان العاري

لننتبه إلى حجية العبارات التي توظفها

(الموييدات)، كما تستمر في الرياضة وقد أصبحت سوقا تجارية مربحة (شركة بايرن الألمانية). ارتفعت أصوات في أوروبا تتحدث عن ضخامة التعويضات التي يتلقاها لاعب كرة القدم مقابل تلك التي يتلقاها العلماء والأطباء بعد ظهور وباء كورونا (Covid19)، لا يتعرف الآخر على ذاته إلا من خلال **وسم /ماركة**، ليحقق هذا الموسوم انتماءه وولاءه، مكتته القبيلة الكبرى من فروض تسمى صغرى ومتوسطة، وهذا له دلالتة، فالتملك يبدأ من بيت وسيارة، وينتهي بعطلة في نهاية السنة (الرفاهية والسعادة)، وحاجات أخرى لا تتعدى استبدال أثاث البيت.

القوة والخلود شرطان في بناء القبيلة، يضمن ذلك الزعيم الذي يحافظ على نسقها السياسي والعقائدي هو الذي يمتلك سر الحياة. النيوليبرالية كشفت عن هذا السر، وحولت القوة والخلود إلى قيمة تجارية. تعلي المراقبة من دور العقاب، كما يذهب إلى ذلك السيد فوكو¹⁷، فالجسد مقدس عندما يغيب عن الأنظار لأنه غير مرئي، مدنس حين يتسم بالعري، يعلي الجسد الأنثوي الرقمي من قيمة التحرش فعلا، ويضع ذلك في الواجهة العلاقة هي علاقة بيع وشراء، السوق الآن هي سوق

الهوامش

15 - دريدا جاك. فاتيما جياتي. الدين في عالمنا ترجمة:محمد الغالي، حسن العمراني، دار توبقال للنشر، ط.2004.

16 - Paul Mouing. The Semiotics Annual. Review. OF anthropology.op ;cit .p :48

17 - جيل دولوز "المعرفة والسلطة" ترجمة: سالم يفوت. المركز الثقافي العربي ط.1. 1987. ص:37

18 - تشومسكي نعوم. السيطرة على الإعلام. الانجازات الهائلة للبروبا غندا. تعريب أميمة عبداللطيف. مكتبة الشروق الدولية. ط.2. 2005. ص:351



أصلاً"، هي شعبية غايتها إثارة الانفعالات لأنها أسئلة ستظل معلقة بدون جواب فيها حكم مسبق (Préjugement).

الأسئلة البرنامج:

"لماذا بدأ بعض العلماء يغيرون آراءهم حول طبيعة فيروس Covid19؟ لماذا بات كثيرون مقتنعين أنه ليس فيروساً طبيعياً من عائلة كورونا الأصلية، بل هو فيروس ملعوب فيه وموجّه ومحمل بأسلحة خاصة لمواجهة الإنسان؟ أليست الجهات التي تلاعبت بتكيبية الفيروس هي التي تتلاعب الآن باقتصاديات وشعوب العالم لغايات في نفس يعقوب؟ ثم لماذا باتت دول العالم تعود إلى حياتها الطبيعية شيئاً فشيئاً، رغم أنها لم تحصل على اللقاح بعد؟ ثم لماذا بدأت وسائل الإعلام الدولية تروج لانتهاج جائحة كورونا؟ أليست هي نفسها التي كانت تتسابق قبل أيام على إذاعة الأخبار العاجلة حول عدد ضحاياه ومدى انتشاره الرهيب في أنحاء المعمورة؟ هل أدت زوبعة كورونا الغرض المطلوب؟

لكن بالمقابل، ألا يمكن أن يكون فيروس كورونا فيروساً طبيعياً مثل باقي مئات الفيروسات؟ لماذا لا نقول بأن الفيروسات باتت تسليح نفسها بأسلحة جديدة لمقاومة الأدوية التي يستخدمها الإنسان ضدها؟ أليس من المبالغة القول أن الفيروس منتج مخبري؟ أليس العقل البشري أكثر بكثير من أن يضع فيروساً من طراز (Covid19)؟ ألا يمكن أن تكون المعارك الدائرة الآن بين العلماء الأمريكيين

إذا ظهرت حالة ثالثة من الاضطراب العصبي في اللقاح فيمكن إنهاء هذا اللقاح".

يتحدث منطق السوق عن النتائج، فالشركات تتنافس فيما بينها لإيقاف العدو، الانتصار على الفيروس في معركة يكون الحسم فيها للشركات الكبرى في صناعة الأدوية، وهذا مشروط بالسرعة النهائية، من يدخل السوق أولاً. نتحدث هنا عن حرب الكل ضد الكل وهي فرضية ج.لوك مؤداها التنازل عن الحرب لصالح زعيم تتلخص فيه معنى الدولة (السلم والحرب معا). اليوم يلزم أن يكون للفرد حق في دولة تتنازل فيها الزعامة عن الاستراتيجيات الموجهة بالسرعة النهائية.

7- الرأي والرأي الآخر، الإيهام بالتناظر والتناظر

يوجد برنامج "الاتجاه المعاكس" برأيين متعارضين، وقبل ذلك تطرح أسئلة عامة محددة من قبل معد البرنامج.

عنوان الحلقة (الجدل المستمر بين أطباء العالم حول طبيعة كورونا، هل هو طبيعي أم معدل؟)، نسبة عدد المشاهدين والمتابعين للبرنامج تفسر الطابع الشعبي الموجه، الفكرة هي بسط الآراء، الوصول إلى الحقيقة الحكم هو المشاهد.

الأسئلة الأولى-المطروحة من قبل معد البرنامج-تصب في قناعات الجمهور وتمس الجانب المتعلق بالعواطف (Pathos)، مؤدى هذه القناعات "لاوجود للفيروس

2020: "انتهت المرحلة الأولى من اللقاح الصيني دون تسجيل أية مضاعفات على 600 متطوع في انتظار المرحلة الثانية من التجارب ابتداء من الأسبوع الجاري".

2. Le Parisien في شتنبر 2020 من نفس الأسبوع: "وفقاً لمؤسسة إسترازينكا Estrazinka فإن التجارب السريرية التي توقفت للمرة الأولى في السادس من شتنبر تم تعليقها بالفعل مرة أخرى بعد أن ظهرت الأعراض المرضية على المرأة الثانية".

3. Le Parisien: "هناك حوالي 40 لقاحاً مختلفاً لفيروس كورونا في مرحلة التجارب السريرية، وحسب التقارير الإخبارية والعلمية تتقدم الأبحاث بسرعة فائقة، حيث هناك 240 لقاحاً في مرحلة التطور المتأخر، و40 لقاحاً في التجارب السريرية، و9 في المراحل النهائية من التجارب على الأشخاص".

4. Le Parisien: "في كل يوم تقدم المختبرات تطورات الأبحاث لديها، حيث تظهر التجارب أن لقاح أكسفورد يمكن أن يؤدي إلى استجابة مناعية فيما تم توقيع اتفاقية واسعة مع مؤسسة إسترازينكا لتقديم 100 مليون جرعة إلى المملكة المتحدة وحدها".

- رأي الخبير مارك سيلفا. خبير في اللقاحات من جامعة أويغون للعلوم والصحة (Le Parisien):

- "إذا كانت هناك حالتان فهذا يعني أن الأعراض بدأت بالظهور كنمط خطي...



ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

الحقائق عوض أن يثبتها، لم يعد الطب مسنودا بالمؤسسات العلمية والكليات ومعاهد البحث والمختبرات الطبية، بل أصبح موجها برؤوس الأموال (التجارة في الأعضاء البشرية).

8 - أساطير الأولين/ يوطويا

العودة

تعني العودة في الديني رجوع السلم والعدل إلى العالم، فالمسيح سيملاً الأرض عدلاً ونوراً و معه "لا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتلقون فنون الحرب بعد ذلك أبداً" (مياخا 3:4). وفي سفر أشعيا "ويحدث في آخر الأيام أن هيكل الرب أسمى من كل الجبال، فيقضي المسيح بين الأمم ويحكم الشعوب الكثيرة، فيطبعون سيفوهم محارث ورماعهم مناجل ولا ترفع أمة سيفاً ولا يتدربون على الحرب فيما بعد (أشعيا 4:2-2). وفي الإسلام يعود المهدي المنتظر بعد الغيبة الكبرى، كما تعود الخلافة الراشدة لثُمَّلاً الأرض سلماً وعدلاً.

مما نعرفه في اليوطوبيات المرتهنة بالواقع هو أن السُّلم مشروط بإفراغ الوعي من توحشه، انتقال عميق من العدالة إلى الإنصاف، يكون للفرد الحق في الانتماء إلى الدولة بعد أن تحررت من سلطة السوق، وتجردت من تسليح القيم. أن تجاور الأنثروبولوجيا الفلسفة

واحدة هي الحقيقة العلمية، الحسم ليس في وسائل الإعلام بل في المختبرات وعيادة الطبيب.

لغة الطب محددة بالبحث والتجربة التي تقود إلى التحقق واليقين، والخطاب حوله كان مدار سجال ونقاش دائمين. بين "جيل دويوز" الملابس والظروف التي ظهر فيها الطب العيادي في القرن 18. فالطب "تشكيلية خطابية"¹⁹ وهو خطاب له علاقة برأي الجمهور، كما وله ارتباط بالمؤسسات والأحداث السياسية والاعتقادات والممارسات الدينية والمعاملات الاقتصادية²⁰، ما يؤكد السيد "دولوز" فعلاً هو أن الطب العيادي كان موجها بإرادة معرفية وعلمية (التشريح)، وإذا كان للجمهور رأي معارض -ضد التشريح- فلأنه كان محرماً، واختياره ولو برؤية علمية معناه عند الجمهور التدخل في المقدس الإلهي. التشكيلتين - لنقل الخطابين- متعارضين يؤكد دولوز، الخطاب الأول يقوم على رؤية الطبيب العالم والمختص، والثانية موجهة بالمقدس الإلهي، والعلاقة بينهما ليست علاقة "تقابل أو تناظر أو تبعية مباشرة أو علاقة رمزية"²¹.

التطورات الآن لا تمس الطب ولا علم التشريح، بعد أن أصبح متقدماً كقيمة معرفية وعلمية (زرع الأعضاء)، لكنه تطور يدمج العلمي في الشعبي، يلغي

مسألة تصفية حسابات؟"

لننتبه أولاً إلى أن السؤال الأخير موجّه ولا يشبه الأسئلة السابقة في المقصد، ويدخل في زمرة الأسئلة الخاصة بالخانة الأولى، أي أسئلة ذات المنحى الشعبي، في هذا السؤال حكم وإدانة، في حين أن كل الأسئلة الأخرى تتمتع بالحيادية، وتدفع في اتجاه الإقرار أن الفيروس طبيعي.

لننتبه إلى أن الجمهور الذي يتلقى الأسئلة جمهور عام، فيه المثقف وغير المثقف، المتخصص وغيره، هذا الجمهور لابد من أن يدين قبل أن يتابع. كانت الدعوة في هذا البرنامج موجهة للأستاذين (PROFESSEURS) كل في تخصصه، الأول أستاذ في المناعة والطب التجديدي (أديب الزغبى)، والثاني استشاري في أمراض التنفس والعناية المشددة (حسن طواف).

بقيت الأسئلة في البرنامج معلقة وموزعة بين رأي يتحدث عن فيروس طبيعي، وآخر يؤكد أنه معدّل. في الحوارات السياسية، التباين في وجهة النظر ممكن، والاحتفاظ بالرأي والتشبث به قد تحكمه خلفية أيديولوجية وفكرية وثقافية وحتى ذاتية، فالمحاور قد لا يقتنع برأي المخالف، لا يراه ملائماً ولا منسجماً. في المجال الطبي والعلمي المخبري، يجب أن يتم تدليل الأسئلة لتصب في حقيقة

الهوامش

19 - جيل دولوز "المعرفة والسلطة". مرجع سابق. ص: 87

20 - نفسه. ص: 87

21 - نفسه



حرية الفرد في الاختلاف والتنوع. مهمة أتثروبولوجي اليوم داخل القبيلة الكبرى الجديدة هي تحصين الفكر من الوقوع في الضار، تعميق النافع في الحياة اليومية للأفراد، الكشف عن البدايات ووضعها في سياق النقد والتحليل.

القبيلة الكبرى الولاء لمن ولصالح من؟ سؤال وجهناه في هذا المقال منذ البداية. الزعيم اليوم يغزو، يتسلط، ويتظلم، يستعيد في لأوغيه نسقا بدائيا قديما، جسد وقد تحول إلى منظومة من القوة القاهرة سماها ابن خلدون بالغبلة (23)، وهي منظومة مفرغة من الحس بالجمال، هذا ما قاله عراف القبيلة العربي الناطق باسمها (ومن لا يظلم الناس يظلم) * و(الظلم من شيم النفوس) * . الوعي الجمعي - كما العالمي - لا يلغي هذا الفعل Acte البدائي من وجدانه. هي حرب معلنة "الكل ضد الكل" ما يحتاجه الفرد في المجتمعات الجديدة هو الحق في دولة عادلة تؤمن له الروح قبل البدن، وقد عادت إلى قلقها الأولاني، رجوع إلى الحجر (الكهف) وقد أصبح ضرورة. ■

المستقل يساهم في تأسيس دولة عادلة تلغي الحرب والمواجهة لصالح التساكن والتعايش والتسامح، الحرية اليوم تكتسي معنى آخر هي عدم تسلط قوانين السوق على الكفاءة في الاختيار.

الجائحة تعبير عن فشل اقتصاد السوق، فشل المنظومة الليبرالية التي تعتمد تنظيم الأرباح، وتوسيع مجالات الاستثمار في الحروب العسكرية والتكنولوجية والبيولوجية، وهي بعد هذا كله في تسويق دائم لتمثلات الجمهور حول الجسد (المصنع والبضاعة الرقمية) (ملكات الجمال/كمال الأجسام). كان من الممكن حسب شومسكي، الاستثمار في البحث العلمي بعد أن تم التعرف على فيروس (SARS)، معه تم التعرف على الفيروس القادم (الاستثمار في البحث العلمي بدل الاستثمار في كريمات الوجه). توقفت المعرفة على التوسع في اتجاه إنقاذ الإنسان من الشر، وقد أصبح تافها بتعبير "حنة أرندت" بعد أن اخترقت البدايات ثقافة الإنسان معها انهارت معاني العقلانية التي تصب في معنى

فهذا حتمي، هي عند أفلاطون "نقد لفكر الجمهور والعوام" رصد لليومي الذي يترسخ في السلوك البشري ليستحيل إلى بدايات. (Habitus)، الانتماء إلى المدينة بحسب فلاسفة الأنوار كان مشروطا بالحرية والعدالة²²، في المجتمع الآلي والرقمي الحق في تملك المعلومة هو حق في حياة مفرغة من القلق، حق في كينونة الكائن ليتسنى له بعد ذلك تفسير وجوده والاستدلال عليه بالاستقرار والاطمئنان، بحث متنامي عن عدالة الأخلاق، متجسدة في دولة الحق والقانون.

جائحة كورونا جزء من كابوس رهيب مرتقب، هذا كلام "شومسكي" من داخل بيته في الحجر (الكهف)، الإنسان عنده في إصرار دائم على صنع عالم يلغي فيه العدالة والديمقراطية ليستبدلها بدكتاتورية الرأي (Doxocratie).

ما هو العالم الذي نريد أن نحيا فيه؟ سؤال طرحه فلاسفة الأنوار، والجواب عند سبينوزا كان في إيقاف تسلط المقدس على الوعي الجمعي. الحرية في التدين استقلال للفرد داخل المجتمع، الفرد

الهوامش

23 - ابن خلدون. المقدمة. دار العودة بيروت. ط9

لائحة المراجع والمصادر:

العربية :

- 1 - ابن خلدون. المقدمة. دار العودة بيروت. ط9
- 2 - أفلاطون. الجمهورية. تر. فؤاد زكريا. الناشر دار الوفاء الاسكندرية 2004
- 3 - تشومسكي نعوم السيطرة على الإعلام. الانجازات الهائلة للبروباغندا. تعريب أميمة عبداللطيف. مكتبة الشروق الدولية. ط2. 2005.



ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

- 4- دريدا جاك. فاتيما جيانى. الدين في عالمنا ترجمة:محمد الغالي، حسن العمراني.دار توبقال للنشر.ط.2004.
- 5 -روسو.ج.جاك.خطاب في أصل التفاوت،وفي أسسه بين البشر.م.د.و.ع.تر:بولس غانم ط1. 2009.
- 6 - جيل دولوز"المعرفة والسلطة":سالم يفوت ط1. 1987.
- 7 -الكلخة عبدالإله. المقدس والسلطة.الفكرانية الدينية والحدثة.افريقيا الشرق .ط1. 2019.

باللغة الاجنبية :

- 1-Brodel Fernen.Histoire et sciences sociales la langue durée.(Ecrit sur l'histoire).la marein. Série Champ.S.paris1967.
- 2-.C.Levi Strauss.*L'vie Familial et Sociale Indiens Nambikwara ,Paris :Société des Américanistes ,Gonthiers,1948/Le regard éloigné.Paris :Plan.1983
- 3-Khatibi, abdelkebir. Le Maghreb Pluriel Denoël. Paris 1983
- 4- Maffesoli. M. Aux creux des Apparences.pour une éthique de l'esthétique. Table ronde.1991.
- 5- Mark Angé Paul Colin. L'Entropologie « Que-Sais-je » P.U.F.2004.
- 6- Rousseau J.J.Du contrat Social ou Principe du droit politique. Dart Alihorf 2007(Introduction d'Emil Durkheim).
- 7- Paul Mouing. The Semiotics Annual. Review. OF anthropology. 2010.
- 8- P.Pascon: trente ans de sociologie du Maroc .n°(155-156)Janvier 1986.

الحوارات :

1. حوار تلفزيوني بين بورديو وكراص. 1976: TV5

* شعر زهير بن أبي سلمى ،شاعر جاهلي . البيت الشعري بتمامه هو:
وَمَنْ لَمْ يَدُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ *** يَهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ
والظُّلْمُ من شيمِ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجَدَّ * ذَا عِفَّةٍ فَلَعَلَّةٌ لَا يَظْلَمُ.
من شعر أبي الطيب المتنبي.

خطاب القيم في زمن الوباء واستراتيجيات التنمية الإنسانية

إبراهيم الخليلي
كلية الآداب، جامعة

محمد الخامس الرباط

ألا يجمع في وجوديته بين الأضداد؛ ولو أنها تتأرجح في تصرفاته من حين لآخر، فعادة تكون عمليات التغيير العمراني بالتبدل والإبادة، أو إنشاء نموذج جديد محل الأول؛ باعتبار أن العالم فضاء لتدافع المنظومات القيمية على استمرار.

إن مسألة الخطاب القيمي في وضع الوباء تتصل بشبكة من المفاهيم الرائجة والمتشابهة في كيان الإنسان، بما هي اتساق ابستمولوجي داخل الجماعة؛ قد أعادت تسويغا لمفهوم الفكر والعمل؛ كما تحتويه منظومة الاستخلاف على اختلاف الأنظار في مفهومها؛ في عالم الكون والمجتمع، وبذلك فإنها نظام المجتمع وتصورات الإنسان التي تحتاج للمراجعة كل حين إلى تحيين، (تحين رؤيته للعالم وتنظيم التفاعل مع التغيرات السائرة)؛ فتكون الخطابة القيمية الجديدة المنتظرة كما هي " في الحد الأدنى من القاسم المشترك على صعيد القيم والمعايير الأساسية الإنسانية... إنها تنشأ من الاجماع المتوافق بشأنه على سلسلة من القيم الإلزامية، ومن جملة من المعايير التي يتعذر إبطالها" ² باعتبار

وممكن البعث الإنساني الجديد متراوح بين مشكل نكوص في القيم ومشكل طقوس التنميط، واستباحة الخصوصيات الثقافية، وإنتاج أسلحة الفتك والدمار وتأسيس العنف. كيف تكون القيم موردا لتحسين الفعل في هذا الفضاء العالمي الجديد؛ وتوفير المناعة الأخلاقية ومحاربة النهم المتفاقم في شؤون السوق والاستهلاك والثقافة.

هذا التجاسر الجديد المتسارع بين الإنسان والوجود بقدر ما تمكن البشر من مكاسب في طواعية التسخير وتدبير الحياة فإنه صنع في الوقت ذاته إشكالات جديدة مستأنفة لما قبلها؛ تستدعي حوارا في شأن ضرورة تركيب أخلاق لها؛ مكافئة لصور الخلل الناشئ في حارتها، قادرة على بناء التوازنات القيمية المحاصرة؛ ما يحفز التفكير بالتجاوز والاعتبار والاختبار.

يشير طه عبد الرحمن في كتابه سؤال الأخلاق إلى كون " هوية الإنسان ذات صبغة أخلاقية، كما أن لا إنسان بغير أخلاق" ¹، فإذا انتفت الأخلاقية عنه انتفت إنسانيته ونكست، وعلى الأفضل؛

مقدمة: سؤال واستشكال

يفيق العالم على وقع الجوائح مرة تلو مرة في مسارته التاريخية وتحولاته المجتمعية؛ ويبقى السؤال الغائب حول وجودية الإنسان في كونه هذا الفضاء المتغير بطبيعته، بماذا يكون؟ وكيف؟ ولماذا؟، فلم تبرح التفسيرات العلمية والتاريخية لجائحة الوباء المستمر مع احتويها من شك في الأنظار العلمية، وقلق التفسير لهذا التحول في سياق تداولات المجتمع والعمرانية، كنتيجة لهذا التغير المفاجئ لشكليات القيم الأخلاقية داخل الفضاء العالمي.

لا ريب أن الإنسانية اليوم أمام معضلة معسرة؛ ناشئة عن أنشطة الإنسان ذاته وتحوم في دائرتها ومن صنعها هي أزمة البيولوجيا أزمة القيم أزمة الأحياء بل أزمة المعرفة والوجود بألوان مفهومية لا تنحصر؛ كلها تنم عن سؤال متعثر مؤداه: بماذا يكون الممكن الإنساني الحضاري؟ ممكن الخلاص

ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

انفعالاته مع الخبرات وتفاعلاته الواقعية بإرادة حرة.

بينما خطاب القيم يطلق على بنية فكر قيمية؛ ذات اعتبار في الوجدان ومكانة في العمران، وما يقدمه نسيج الكلام من معاني معيارية لسلوك إنساني في زمان معين ومكان مخصص، وبذلك فهو يشمل منقول المتكلم وسمع السامع وقراءة قارئ وشاهد لمشهد، لذلك كان خطاب القيم جماع من قضايا ومفاهيم بنيوية تعتمد فيها ضمانات مرجعية وفلسفية ذات موضوع غائي قصدي.

-القيم والسياق الكوني

الراهن

إن البلية الجديدة عن الوباء في شهود الوضع الراهن، الذي فاجعه بجائحة فيروسية، لم يكن عبثاً أو صدمة. ففي البدء وفي مساقات التاريخ المعاصر؛ انطلقت جائحة فيروس الإيدز AIDS، وأردفتها جائحة أنفلونزا الطيور، إلى فيروس إيبولا Ebola، ثم فيروس السارس ISARS - ثم ظهور العديد من أنواع الأنفلونزا، وأنواع من مرض السل tuberculosis التي برهنت عن خلل في تركيب الأنظمة

جدل العلاقة والأبعاد

- القيم ومدركات الوعي الجماعي

- الوباء واستراتيجيات التنمية، ضرورة الرجعي

(1) خطاب القيم وسياق

الواقع الموبوء

-القيم من حيث المفهوم

تتركز القيمة على الأشياء والمواقف محدد تقف القيمة كمعيار للسلوك، فتكون القيم " عبارة عن الإطارات المرجعية العامة السائدة التي تربط اتجاهات الفرد فيما بينها، وتعمل كدلائل تستخدم في تقويم الخبرة والسلوك من حيث اتفاقها أو خروجها عن الأهداف الأساسية للحياة"³.

فالقيم هي مستوى أو معيار للانتقاء من بين بدائل أو إمكانات اجتماعية متاحة؛ أمام الشخص الاجتماعي في الموقف الاجتماعي (...). وعلى هذا الأساس فإن للقيم اعتباراً منهجياً؛ في الحكم على كل فعل أو تعريف، مفهوم أو ممارسة لمعنى، بما هي معايير عقلية ووجدانية تظهر في الأفراد والمجتمع؛ سلوكاً بحكم

أن خطاب القيم هنا ذو محاذير عدة، محذور التأسيس الجديد، الذي يخضع القيم لمعيار المرجعية والأيدولوجية والمفاهيم... ومحذور في طبيعة الخطاب في كونه مسلك للسطو والهيمنة وتبرير الفعل الذي يربط (الإنسان بالوجود والطبيعة).

وفي نطاق تقليص بؤس الوباء أو إحياء المجتمع الموبوء؛ برفع حدة هذا الوباء الجائحي (كورونا المستجد) من العمل الوظيفي لخطاب القيم في دوائر المجتمع وسلوكه، إلى أن يقوم بتخفيف وطأة البؤس لتلك الظروف التي تعبر في أنها حرب بيولوجية أو حرب حضارية يعزى سببها إلى حرب الإنسان على الإنسان أخيه. جاء هذا التأسيس المنهجي لهذا التحرير المقالي وفق الأسئلة التالية: لماذا خطاب القيم؟ وأي قيم؟ أو أية هوية لأية قيم في زمن الوباء؟

بناء على هذا التصور ارتأينا تحرير هذا الإشكال وفق المحورة المنهجية التالية:

- خطاب القيم وسياق الواقع الموبوء

- الإنسان وفضاء الوجود العمران،

الهوامش

1 - ابن أبي زرع؛ الأئيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص. 114.

2 - أنظر ابن أبي محلي؛ الإصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت، مخطوط، خ. ح. رقم: 100، ص. 46-93-95.

3 - ابن عسكرو؛ دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، الرباط، 1976، ص. 44.



أكثر تجاوزا للأخلاق والنظم القيمية، " أما الآن ومع ظهور المجتمع المتنوع الأجناس والأعراق، وما صاحب ذلك من مشكلات نفسية، ومع شيوع الآلة في العلاقات الإنسانية وفقدان الدفء والحرارة في هذه العلاقات"⁶.

لا ريب أننا في حارة من عالم افتقد الإنسان فيها مقومات التكوين الوجودي في الأرض، قداسة ومقومات الهوية والدين والقيم والغاية ذوات اعتبار، بل فوضى المعنى والإنسان ماهية وأخلاقا، فلا يهيمه إلا انتزاع الملكيات وسلب الهويات، حيث كما هو المشهد أنه "إذا كانت حصيلة النظر الأخلاقي المتمثلة في المواثيق والعهود المتعلقة بحقوق الإنسان بلورت من الشرائع والمبادئ والقواعد ما ينبئ عن جهد في الفكر السياسي لا يضاهاى؛ فإن الأفعال والمبادرات والمواقف وردت الفعل القائمة في الواقع، تكشف وجود تناقضات مرعبة بين النظر والممارسة، حيث تعكس الممارسات تراجعاً رهيباً عن منطوق المبادئ والشرائح المعلنة وروحها"⁷.

مشهد الوباء الجديد فليس بمعزل عن هذا الإخفاق العاثر، ينم عن أن هناك خلل في تمثيل الإنسان لثقافته او في حاجة إلى ترتيب وإعادة تنظيم. فصورة الإنسان في العمران تبدو مشكلة او غائبة في كثير من الصعد حروب / تعصب عرقي فحش أخلاقي؛ بل تحمل أفضح النعوت الوصفية...، وهو يريد أن يكون بذلك شيئاً آخر. إن القيم لم تعد في عمق وكثافة الخطاب الراهن بما

ومشكلة. " ومن صلب هذه الحضارة تناسلت أغلب الفكرولوجيات التي انتهجت نفس الطريق واستبعدت القيم والأخلاق والمثل العليا التي تنشدها الإنسانية... ومحاولة القضاء على الهوية الإسلامية لتلك الأمة أمام سلبية المنظمات والهيئات العالمية، وعدم تحري الضمير العالمي اتجاه تلك القضية إنما يدل في مجمله على انهيار القيم والأخلاقيات داخل تلك المجتمعات..."⁴.

ولما كانت القيم هي المعيار الأساس والمحرك للممارسة الأخلاقية داخل الفضاء الموبوء، فإن ثمة سلطة قانونية أو مجتمعية لضبط هذا الجانب في التدبير، باعتبار أن هذه المعيارية الأخلاقية كونها تستقر في المستوى الأعلى من هذا التنظيم والتسيير؛ "إن القيمة عي هي عملية إضاءة الأشياء بشعاع الرغبة الذي نسقطه عليها بل الشيء الذي تتوقف على إمكانية الرغبة فيه"⁵، لذلك فخطاب القيم كل القوى الإنتاجية الكامنة في المجتمع في التقويم والاستيعاب والإحاطة تليق التواصل في مظاهره الحركية من التصافح والعدالة والحرية والتراحم والتزاور التي تولده الرغبة.

كما أن تصاعد **السوء الأخلاقي** للإنسان في التعامل مع الطبيعة والوجود من جعلته يستثير نهجه في القتل والتدمير ونشر الأوبئة في الأرض وهو كالح، في ترسيخ التفاوت الطبقي داخل المجتمع، كما أن تحدي الأنشطة الصناعية الاستهلاكية والبيولوجية اذ أضحت أخلاقيات الإنتاج والمال والتجارة

الصحية العالمية، ومدى غفوتها عن مثل هذه الجوائح.

إن استنهاض العالم للمجابهة، ومن جهة أخرى وجود امتناع مبدئي؛ تمثل في خطوات احترازية مسبقة؛ تعاني في حد ذاتها إعياء في النظم الثقافية والأخلاقية الكفيلة عجز في رعاية جودة الحياة، كل ذلك ينتج حتما أوبئة خطيرة ومدمرة على جميع الصعد، هذا إلى جانب كون الوضع الحالي للوباء يؤثر تأثيراً كبيراً جداً في ما يسمى العالم الغربي المريح إلى حد ما - وهو وضع خالي في حد ذاته من أي معنى جديد، بدلا من ذلك هو مدعاة لحسرات مسكوت عنها، وحماقات بشرية متكاثرية؛ تروجها وسائل التواصل والإعلام؛ فبالنظر إلى التدابير الوقائية المجتمعية العجلى، وإلى الوقت الذي سيستغرقه الفيروس ليختفي في غياب إصابات جديدة، كان من الضروري التصرف إما بالركون والاختفاء أو بالمصادرة والاستعلاء.

وسؤال القيم في هذا السياق هذا أكثر من ذلك، مؤداه أن يفترض مساءلة لسوء الراهن بمعنى ما يثني، من وجهات أزمة الذات والغيرية والواقع، ذلك أن نزعة المادة والاستهلاك وجدل اقتصاد السوق لم تلبث أن تعمش انتظار شمس الخلاص أن تسطع على العالم الموبوء؛ كان ثمة احتواء بتصاعد خطاب النهايات والنسيات والنزعات الكمية، لا ريب أنها أدت إلى انتقاص عرى القيم ونسف معانيها النبيلة داخ النظم الإنسانية جعلت من الإنسان محور كل شر



ملف العدد : المغرب ومفاهيم الجالعة

النفس وخاصة التكوين والفطرة، فهي مسألة حراك داخل إرادة ووجدان وفعل مقصود. فهناك تغير في ها المسار والتفاعل يفرض على شاكلة القيم أن توطن في النفس؛ فلن ينفك عنه إلا باجتار قول الحق عز وجل (فطرة الله التي فطر الناس عليها)¹¹ في النفس، ولن يتم ذلك إلا بإحياء القيم في الحياة وتجديد الروابط بين الإنسان والوجود (قيم الفطرة، وقيم السير في الحياة، وقيم الغاية والوجهة)؛ ومقتضى ذلك هو استبيان القبلة باتجاه المصير المشترك الحسن؛ (الرجوع إلى الأصل الأول) التي هيئة القيم. وبرغم هذا التدافع الحاصل فإن سننية الاختلاف والتدافع باقية ببقاء الإنسان والخلق كله؛ (ولذلك خلقهم)¹².

◆ وفي هذا الاستمرار الوجودي للقيم في العمران فإن خيار الإنسان في البحث عن الخلود يقتضي مرافعة هادفة في السير إلى تحرير المجتمع

غيبي مستقبلي غير مدرك؛ هو (مصير الحياة وما بعدها)، ضمن هذا المدار " يعتزل الإنسان وحيدا ينتابه شعور بالفراغ الكوني لكن طريقته في ملء هذا الفراغ هي التي تحدد طراز ثقافته وحضارته؛ أي سائر الخصائص الداخلية والخارجية لوظيفته التاريخية. وهناك أساسا طريقتان ملء الفراغ، إما أن ينظر المرء حول قدميه؛ أي نحو الأرض، وإما أن يرفع بصر نحو السماء⁹؛ ما يقتضي تركيب نموذج بنيوي جديد ينمي التخلق في المجتمع؛ فإن ذلك لا يتم إلا بتحرير مستمر، لبناء المعرفة الصحيحة ذات قيم؛ (وعلم ادم الأسماء كلها)¹⁰ تجلب لنفسه الاعتراف وتستوجب له في الأرض مبدأ الاستخلاف وقانون التعمير.

هناك خيارات متعددة يمكن أن تبان في جدل العلاقة بين الإنسان والعمران ومنها:

◆ حضور القيم أمر اختياري في واقع العمران؛ كما هو اضطراري في

هي تمييز الإنسان عن غير الإنسان سوى التعبير عن نزوع نحو بحث عن نموذج حياة إنسان أفضل.

2) الإنسان وفضاء الوجود العمران، جدل العلاقة والأبعاد

بدأ هذا التعاقد مع قصة الإنسان الأول ادم عليه السلام في قول الله تعالى {اني جاعل في الأرض خليفة}⁸، وبمقتضى هذا الجعل كان لزاما على الإنسان الحامل للأمانة أن يتقوم بالقيم؛ في هذا التعاقد، حيث البدء الأول للتواصل بين الإنسان والطبيعة، والإنسان وأخيه الإنسان؛ المجتمع؛ ما يفي أن هناك ضرورة تقويم قائم به، يسير وفق مجريات هذا النداء الأول؛ نداء القيم باعتبارها عملية هادفة؛ الجامعة (للعلم والمعرفة والتخلق)، قصد الارتقاء الموصل لغاية، في عالم مدرك مشاهد؛ تناط به (قيم الحياة أو حياة القيم)، إلى عالم

الهوامش

- 4 - محمد عزيز لجبائي ازمة القيم بحث نشر بموقع مغرس بتاريخ 8 يونيو 2004
- 5 - بول سيزاري. القيمة. ترجمة عادل عوا. منشورات عويدات بيروت باريس ط 1983 م ص 6
- 6 - ماجد عرسان الكيلاني، اتجاهات معاصرة في التربية الاخلاقية عمان دار البشير ط 1992 ص 10.11
- 7 - العرب في زمن المراجعات الكبرى محاولات في تعقل تحولات الراهن العربي كمال عبد اللطيف ص 177 المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الطبعة الاولى بيروت غشت 2016
- 8 - سورة البقرة، الآية 30
- 9 - مالك بن نبي. مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي دمشق دار الفكر 1988 ص 17
- 10 - البقرة، الآية 31
- 11 - الروم 30
- 12 - هود 18

استطاعته ووسعه في الكون كله. فالفعل الأخلاقي خاص بالجنس البشري كله، ومادته ومسرحه هو كل ما في السماوات والأرض. والإنسان مسؤول عن كل ما يحدث في الكون، حتى في أبعاد أرجائه، لذا فالتكليف الذي تحمله الإنسان عام وكوني ولا ينهي إلا بيوم القيامة¹⁵؛ فهذا المفاد مدعاة للكشف عن اعتماد القيم في كثير من الظواهر الإنسانية؛ التي يستبطنها العقل، ويتمسك بها، قصد استيعاب العديد من الفوائت العلمية والقيمية؛ التي تنتظم في حركة الأفكار والمعرفة ونظم التربية والتعليم؛ على أنها مدركات للتوازنات الوجودية؛ تجعل من تحرير خطاب القيم معتمدا ومعيارا في التوجه الراشد.

هذا الفضاء العالمي لابد أن يعكس مرآة أساسية لنمط الثقافة الإنسانية المحتوية له؛ لأنها تتأطر بحركته وخلقيته بنوع من الوعي، أو الخبرة والتفاعل؛ ما يجديه تخليق الحوادث والنوازل والبحث عن منفذ، فهي تعالق ليس على وتيرة واحدة أو ثابتة؛ لكون التفاعل أو الفضاء الوجودي تحت حتمية السير والحركة؛ فكرا وسلوكا؛ كما هو القرار في حال الإنسان المتخلق.

يتضح أن العجيج الوباي؛ وبصورة الاختبار والتجريب؛ يكون الإنسان ضمنه قابلا للتغيير وتجديد نظمه؛ بعد مراحل عنفية سابقة؛ أكثر من ذي قبل، وليست شبا لها أو في درجتها؛ ما يؤهله للنهضة والانبعاث استئنافا، في البحث واستنهاض الوعي فيه، فكل حادث في هذا النمط

وهذا يعني أن أخلاقيات الفعل لا تكتمل إلا في المجتمع، والفرد ليس له أي معنى إلا في مرتبة هذا الرشد القيمي التعارفي التعاوني، لهذا كان الارتباط يتنامى أكثر في زمن الوباء والبلاء؛ ذلك التنامي الذي دفع به وعي القيم من جهة؛ دفعا ذاتيا واقتضاء للضرورة المجتمعية الحضارية من جهة. فيكون المجتمع إطارا لقيم التضامن والتعارف والتراحم والفعل الخيري، يقتضي هناك تلازما بين أخلاق الإنسان والسير التاريخي الإنساني العام؛ دون قيود أو حدود، العام فيكون منعطف الوباء هو تجديد المعنى الأخلاقي المقصود في المجتمع وإحيائه، " إن القيمة ليست مجرد ما يرغب به في الواقع، ولكنها ما هو جدير بأن يرغب به على مستوى ما ينبغي أن يكون"¹⁴.

ومن ثم يكون إدراك التداخل بين القيم والمجتمع هو تلازم المعنى والصورة، أي (تحقيق التخلق الجماعي)، فيصبح وقتئذ أمرا تبادليا؛ بين جموع المفاهيم الثقافية والفرد في نسق المجتمع، بحيث أن عملية التحريك هذه بنمط معين ينتج طريقة في النظر إلى عالم التغيير، ويحدد رؤية معينة إلى الحياة ما قد يبرز نموذجا منسجما من هذا التوافق بين قوى المجتمع، يستدعي ذلك نفي الثنائيات في البنيات الثقافية التي يتمحل فيها المجتمع المعاصر؛ بمقتضى أن " لا حدود للتكليف الذي وضع على كاهل الإنسان فيما يتعلق بمجال ومسرح الفعل الداخلي في حدود

(حرية الإدراك وحرية الاستقبال وحرية التوجه) من المكبلات الفكرية والأخلاقية المعيقة، وتأسيس مجتمع الأخلاق والكرامة والعدالة؛ ما يجعله مؤهلا لتلقي خطاب الله عز وجل؛ حيث " تلقي الخطاب مقتضاه أن المتخلق يعلم أن الحق يخاطبه في كل شيء في كل شيء، وأن هذه المخاطبة مستمرة باستمرار حياته، وأن نص هذا الخطاب، إن حفظ على شكل رسوم في الصحف المطهرة، فمعانيه مودعة في نفس المتخلق وفي الأكوان من حوله، وأن هذه الأكوان ما قامت ولا استقامت إلا بهذه المعاني الإلهية التي على المتخلق واجب طلبها والتعرف عليه والتقرب بها إلى حضرة الله"¹³.

- لا يمكن إنتاج فقه قيم إلا بتوزيع ثقافة الواجب الحقوق على السواء؛ في ذهنية الإنسان؛ بدءا بمواجهة ثقافة الفقر الموجه (فقر المعرفة والقيم والعمل والتضامن والتراحم...)، ثم الاندفاع إلى الصلاح ونشر القيم. وعليه فإن هذا التساند المجتمعي الجامع للحق والواجب؛ ما يمكن أن يقيم الأمن الآتي والمستقبلي، لذلك كانت القيم في هذا السياق معيارا حاكما؛ تعمل على تهجير العادات السيئة وتشجيعها، كما توطد • الإيجاب في النفس على الإحياء الأخلاقي باطراد؛ اضرازا كشأنها في الاختيار، فيكون حينئذ التخاطب بالقيم أمرا حتميا، وتثويرا جديدا للنفس، وتمرينها على إثراء التخلق في حياة الفرد ونظام الجماعة كلها.

ملف العدد : المغرب ومفاهيم الجالعة

(السمع والبصر والفؤاد)، ثم مرتبة العرض والتفاعل؛ (التكليف وحمل الأمانة)؛ في مقابل استقبال المؤثرات التربوية والأخلاقية، التي تبني لدى الإنسان الاقتناع وتوجه السلوك، وخط التخلق في فضائه الوجودي، القيمي، باعتباره " الشق السامي من الإرادة الإلهية الذي هو محل السعي الأخلاقي الإنساني"¹⁷.

3 - هي محاولة اكتشاف العوامل المختلفة والحقائق الغائبة، كما أنها كشف للظواهر المجتمعية المتنوعة، حيث أن القيم هي التي تفسر هذا التنوع والتمايز التي بمعيارها يكون منطق التسخير في الوجود فيها بديلا عن منطق التقهير، أو الفساد والسيطرة؛ باعتبار أن القيم خطابا ومنهاجا هي الأقدر على ضبط نزعات الإنسان، وتحسين خلقه في العمران، بل خطاب القيم الأجدر في تدبير الاختلاف بين التمايزات؛ في كوكبية العمران الكوني، ثمة تقوم مشكلات (الإنسان والبيئة، والثقافة الغيرية والمجتمع)، وذلك باستصحاب الإشكال الثقافي؛ كما يبدو ثاويا في قول السؤال: أي هوية لأي قيم؟

العمران يتأثر بمعتقد الإنسان وطبيعة أنشطته نموذج معرفة وفلسفة، وذوق وفن، وهندسة المجتمع ونوع العلاقات، إذ من هناك تبني حساسية الإنسان؛ الذي يحتوي قيم معينة، ويعتق مفاهيم لها؛ فكل لمس بهذه المفاهيم إيجابا وسلبا؛ لا شك أنها تتيح له تقدما أو تراجعاً، حسب (نوع اللغة / وخط التربية والتعليم والإعلام والسياسة...)، على أن تحظى في ذلك بمنطق التيسير وقانون التسخير؛ وعلى قدر من التماثل أو التمايز بين الهويات والثقافات في النظم والأنساق والاتجاهات لديه.

2 - وبمنطق التسخير يكون فعل الإدماج في فضاء العمران مؤهل للإنسان، وأن الإنسان فاعل ومؤثر فيه، ما يمكن اعتمادا للقيم كنوع من الإدماج لصناعة الحياة وتهذيب النفس، وحفظ الجسد والروح والفكر والثقافة؛ يكون حينها الإنسان متفاعلا مع المنظومة الكونية بمظهرها الجمالية، ومتقيدا بتصوره إلى العوامل (الغيبية والطبيعية والنفسية)، فيبدأ تأثير القيم في مصاعد تربوية مترتبة، بابتداء تكوين الفطرة السليمة؛ (تقديس المقدس)، والتأهيل التكويني

العلائقي مؤداه تقويم الحياة، وتقويم الإنسان والفضاء المجتمعي الحضاري كذلك.

ومن هنا يمكن القول إن خطاب القيم هي عنصر التغيير في الإنسان، " ثمة القليل من الخطوات الفعلية التي يتم اتخاذها لمواجهة هذا التهديد لمستقبلنا جميعا، يعوق الشكل السياسي للامة تقدمنا إلى للأمام في المسار الذي نعلم جميعا أن علينا أن نسلكه"¹⁶، كما أن الفضاء عنصر لتغير القيم؛ أو أن التغيير في خطابات القيم له أثر في تغيير وتبديل فضاء الناس، ما يجعل القيم في ذهنية الإنسان وسلوكياته شأنا تداوليا؛ يتراوحه في حياته ونشاطه بما يتناسب ونوعية الخطاب وطبيعته وأهدافه وأبعاده؛ فمن الواضح أن تكون الواصلة بين الإنسان والوجود علاقة ترابط تكليفي مسؤول، بل جدلية تحدهو الكثير من المشكلات المعرفية التي يمكن لخطاب القيم استيعابها، وهو ما يمكن التعبير عنه من خلال تحديد الأبعاد التالية:

1 - إن القيم هي من أكثر العوامل تأثيرا على الوجود؛ بحكم أن كل شيء في

الهوامش

13 - طه عبد الرحمن سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحدادة الغريبة، ص 73

14 - يوسف كوميذ القيمة والحرية، ترجمة عادل عوا دار الفكر ط 1975 ص 35

15 - اسماعيل الفاروقي التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة، ترجمة السيد عمر، دار البحوث العلمية 2010 ص 122

16 - ما بعد العولمة، إريك كازدين وإمري زيمان، ترجمة أميرة أحمد إمبابي، مراجعة مصطفى محمد فؤاد الطبعة الاولى 2016، مؤسسة هندواي للعلوم والثقافة القاهرة ص 87

17 - اسماعيل الفاروقي. اسماعيل الفاروقي. أسلمة المعرفة المبادئ العامة وخطة العمل. ترجمة عبد الوارث سعيد دار البحوث 1993 ص 60

3) خطاب القيم ومدركات الوعي الجماعي

في ظل احتدام التدافع الحضاري الجديد أصبح سؤال القيم بين مرجعية الخطاب وطبيعته ونوعه؛ بما هو موضع تجاذب، وأن محاولات القفز الاجتماعي يمر بالضرورة عبر إعادة ترتيب الاختيارات في هذا الشأن؛ في البحث عن التكيف بين الفلسفة القيمية الذاتية والمدركات التنموية الشائكة في كونيتها، ويمكن تحديد اختيارات الخطاب القيمي في تفعيل التخلق من خلال معالم الوعي التالية:

- وعي استراتيجي، فالقيم ليست وحيدة عصر، بل ممتدة في الزمان والمكان؛ ذات بعد مستقبلي متواصل بإدراج قيم العلم والمعرفة بالتحديد المنهجي والتجديد المنهجي، علما ان الطريق الموصل يؤدي الى الوصل بحكم أنها شرط من شروط التصويب. فخلل المعرفة والعلم مؤذن بخراب المنهج والغاية التنموية، ولا يتم ذلك إلا عبر منظومة نقد معرفي منهجي، وأسئلة تفكير علم ومراجعة؛ وفق إطارها الراهني.

- وعي ثقافي، من ذلك أن سمات الثقافة تقتضي اعتبارا إحيائيا في المجتمع الإنساني، وضبطها بالعلم والمعرفة، وتجديد نظم التربية فيه؛ عندئذ سيكون بعثا جديدا لقيم الثقافة الحرية والعدالة والمساواة، والتأخي وحسن الذوق. فإن تثقيف الوعي في ظل الخطاب المعاصر

أسر الكثير من الظواهر الثقافية، تمثلت في إحداثيات الارتهان والانكفاء والاحتجاج، مما أذكى صراعا للمرجعيات. وزاد من عطل في المبادرات.

- وعي حضاري، إذا كان للقيم كينونتها في زمن الوباء هو قانون الإنسان الأخلاقي؛ المتميز كونيا بين الموجودات، فإن الوضع الوبائي في المناخ الحضاري الآتي قد أعاد الاعتبار إلى تصنيف جموع من محددات الثقافة والفكر حيث نشاط المجتمع، باعتبار نظام (الخصوصية والكونية)؛ مما يقدر ميزته الأخلاقية؛ في عالم لجوائح شكلا أعلى، في نظم الحضارة وخطابها، التي تساهم بدورها الكبير في دراسة الحالات الاجتماعية والسياسية، البيولوجية الخ، ولهذا فقد نجد هذا الوعي محددًا للسير المنهجي الحضاري الجديد.

- وعي المخاطبة الإلهية الشاملة، من وجهة الأصل والتصريف، (أصل الخطاب، كيف يفهم؟ وكيف يصرف في الحياة؟)؛ فمن منطلق الوعي الإسلامي نستند للكشف عن المشكلات التي تزدوج في الانسان مشكل واقع معين في المعتقد والنفس والمعرفة، " إن انبثاق الأخلاق عن التصور الإيماني هو الذي جعلها أخلاقا قارة ثابتة راسخة غير متأثرة بحالات القوة أو الضعف، أو بأمزجة الناس عموما"¹⁸، ما إن يخضع لتأثير معظم مشكلات راهنها؛ انطلاقا من قصور الفهم والاستجابة لخطاب الله تعالى، وتعد من حينها خلل التفكير وخلل المنهج، هو ما تبوح به مقتضيات

الواقع الإنساني.

- وعي المراقبة النفسية الإنسانية، بمقتضى تنمية الوعي بالحقوق والمسؤوليات الفردية والجماعية، والعمل على تخليق ممارستها، إلا أن هذا الوعي يقتضي ميثاقا قيميا يعبر للاختلاف السنني مناطا، يصنف اتجاهات هي في الغالب من شأنها أن تؤكد قولاً شائعا مفاده أن فلسفة المواطنة العربية المعاصرة ليس إلا صدى لصوت الحقوق المهذورة، ينمي إذ ذاك مدرك الوعي بالمخالقة داخل الوطن، وتحريره واستدعائه من أي جهة. "إن من الطبيعي أن يتوقف التعاطي مع قضايا الإنسان على نوعية التصورات التي يمتلكها الفكر عن الإنسان نفسه"¹⁹.

إن انضواء حركة المجتمع اليوم في إعادة البناء، ودون التفات لتجديد مدركات هذا الوعي المؤسس لنهضة حضارية في مستوى الفرد والمجتمع، إنما هو مواصلة في طريق التحرير، وتمكين المجتمع على الفاعلية والإبداع والابتكار. " ظاهرة عودة الأخلاق أو ولادة الجيل الأخلاقي كحاجة ماسة أكثر مما احتيجت إليها البشرية المتحضرة في حقبة أخرى"²⁰؛ إنما هو تثوير لمدى توازي الفكر والعمل في وعي الإنسان بماهية الوجود، ومغزى الشهود كذلك.

ذلك أن الشكل الأخلاقي الجديد المحدد الذي يتم عبره امتصاص فائض المستجدات، ما يمكن لأن تقوم كل بنية الجماعة الناتجة عن التفاعل المتخلق

ملف العدد : المغرب ومفاهيم الجالعة

وبترسيخ الحرية، وإقامة العدل وتطوير منظومة التربية والتعليم، فالتعقيد المتصاعد؛ الذي ينتج عن ارتفاع عدد العوائق المعرفية والمنهجية، والذي يعبر كذلك عن فوارق بين الفهم والتصور لظواهر المجتمعية، "إن أكبر أزمة تواجهها البشرية تتمثل في الفهم، فهم المشاكل في المكان والزمان..."²²، وهو ما يجعل تحديد إرشادية النموذج في ربح هذا الرهان الجديد في عالم جديد غائبا عندنا من تصورنا وإمكاناتنا؛ بحسب أن التنمية إمكانات متعددة وليست إمكانا واحدا. فذلك ما يقيم الاستمرارية والثبات؛ بتأسيس النموذج من الضروري أن يراهن على التحقق من خلال الملامح التالية.

- نموذج يأخذ بصيغة علمية المعرفة وعلمية الثقافة، ومكاملة بنيتها من الفلسفة المنهجية المؤسسة؛ التي تجيب على أسئلة العصر وتواكب قضاياها، بل يزواج فلسفته بين نداء العقل ونداء الروح.

- مراعاة المبادئ القيمية وقوانين التنظيم المجتمعية، إذ التآلف بين المثل والواقع سر تطوير الحقيقة العلمية وإقرار حاكميتها الضابطة في فضاءها

يبقى ممزقا بين التأسيس للنموذج الذاتي، أو استقطابه من الغير، كما هي عادة المقلد. ذلك أن الرهان الجديد هو تجاوز الأزمة بأقل الخسائر؛ إلى البحث عن المنافسة في الحياة والعيش الكريم، ولأجل ذلك فثمة موقفان متضادان؛ يتجلى أولها في إمكانات الذات الحضارية وقدراتها، والثانية متمثلة في الكونيات والظواهر المتعددة في عالم الإنسان، بحيث أن التماسك بالفردانية والبحث والتقني والتخبير، واستيعاب علمي في تخليق التواصل والتفاعل؛ قد يرفع في الواقع الإنساني من إمكان واف؛ في الإيجاد والاعتماد للنهوض والإقلاع.

وإخلاصا لذات الهوية بمقوماتها، يتأكد اضطرارا على الجماعة أن يكون مشروع التنمية هو مشروع مجتمعي متكامل في تحرير موطن الأزمة وتخبير بورتها. ومن هذا المنظور ما يلي:

أ- البحث عن النموذج الإرشادي

إن كسب رهان تحقيق التنمية، يتطلب التعاطي مع الشأن بشكل شمولي؛ من خلال تحديد ملامح وطبيعة الإنسان الجديد، الذي يقتضي إدراك الاختيارات من نظم القيم والثقافة

المعد للإنتاج، ومن نظامه الميثاق المحدد لا يعدوا في أن يقوم بين خيارين اثنين: خيار بنائي لثقافة الذات وخاصتها، وخيار وظيفي لهذه الذات في السياق الكوني الجديد. باعتبار أن " القيمة ليست مجرد ما يرغب به في الواقع، ولكنها ما هو جدير بأن يرغب به على مستوى ما ينبغي أن يكون"²¹.

4) البواء واستراتيجيات التنمية، ضرورة الرجعي

في البدء يراوح نموذج التنمية بين الحد والحدية ويفترض ان يتم البحث عن مسار الدمج المجتمعي في الحضارة من الجديدة أو ما وراء كورونا إلا أن المسار ينم عن صعوبة، وتحديات ملئى بالمنعرجات ويبدأ ذلك من رد الاعتبار لنظم القيم وروابط الأخلاق، ومماذجها المعرفية وإفساح المجال؛ لتجسير الفجوات وإمداد المجتمع بتشوير معين؛ ستكون القيم هي المعيار الموجه للفلسفة والفعل في الآن نفسه.

تلكم المعضلة الكبرى لأنموذج التنمية؛ في غياب الرؤية، أو في تأرجحه بين تصورات عديدة. فكلما زاد البحث عن ملامحه الحضارية، فإن التصور الذهني

الهوامش

- 18 - مصطفى بن حمزة، مقاربات في المسألة الأخلاقية، دار الأمان الرباط ص 98
- 19 - مصطفى بن حمزة، مقاربات في المسألة الأخلاقية، نفسه، ص 17
- 20 - بتصرف أندريه كونت سبونفيل، هل الرأسمالية أخلاقية؟ ترجمة بسام حجاز لندن: دار الساقي 2005 ص 38
- 21 - يوسف كومبز القيمة والحرية، ترجمة عادل عوا، دار الفكر ط 1975 ص 35
- 22 - المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، نفسه ص 48



الإنساني الوجودي.

- ضرورة الانفتاح على المنجز الإنساني المعرفي، المتراكم في مستوياته؛ من رؤية ترى أن شرط التجديد هو ترتيب المنهج، وتنمية المهارات في بنية النموذج، من حيث المبادئ والمسالك وتحديد الغايات، حيث النجاح ليست في الإنجاز الفردي بقدر ما هي انجازات مؤسساتية مجتمعية والتوافق المشترك.

ذلك أن مستويات هذا التراتب يجعل أي مشروع جامعاً للرؤية والمقصد، وجودة العلم والمعرفة؛ بمقتضى خطاب القيم، على اختلافها وتنوعها، بتقويم نموذج البناء لسلوك أخلاقي وتدبير إنساني فاعل؛ مما يشكل فلسفة حضارة رئيسية، تقوم على تجديد التصور للحياة، ونظم المعرفة والتربية والقيم والفهم الثاقب للعصر والمستقبل.

- مدى قدرتنا على مأسسة البحث العلمي، وتحريك قوى المجتمع العقلية

والتربوية والأخلاقية.

- استثمار الموارد والطاقات بإيجابية وهي (كثيرة ومتوفرة)، باسترشاد النموذج في البناء، ومجابهة التحديات ومسايرة المتغيرات.

- ضرورة التخطيط المحكم، والتقويم المستمر لمنجزات الإنسان في تخصصه ومحيطه العمراني.

- تخليق الفكر والممارسة في المجال العمراني؛ مما يتيح الانخراط في العصر والإجابة عن أسئلته المحيرة.

إن هذا الاختيار في الخطاب القيمي يحتوي بطبيعته البنيوية على قوة كامنة في معناه، ومبتغاه، مما يجعله بالضرورة على درجة عالية من الفاعلية داخل المجتمع الا ان احتواءه على ايدولوجية الاثنية وتسبب المفاهيم وتكديس الافكار يجعله معتزياً لكثير من التوتر؛ في الوقت الذي تستطلع في دول العالم نمطاً جديداً من إحداث ثورة في المفاهيم

السائدة وأنظمة السوق والاستهلاك وثقافة الحداثة والعولمة، إننا في واقع راهني؛ خاويًا وفاضه الأخلاقي في الرؤى التنموية، و بافتقاره الوسائل وقيم والعمل وقيم الإنتاج الإبداع والابتكار...، فإن ما يقتضيه الخطاب من حركة إلزامية اضطرارية، فمن الضرورة الحضارية أن " يستند أي مذهب أخلاقي على قوة الإلزام، فهو القاعدة الأساسية والمدار، والعنصر النووي الذي يدور حوله كل النظام الأخلاقي، والذي يؤدي فقده إلى سحق جوهر الحكمة العملية وفناء ماهيته. ذلك أنه إذا لم يكن هناك إلتزام فلن تكون هناك مسؤولية"²³.

فهو شهود واقعي يعاود سؤال التغيير من جديد: بعث سؤال ماهية الإنسان، والحياة والتنمية والمستقبل...، لجدير بفك التشابك المعرفي ومعالجة الخلل المنهجي القائم؛ يتجاوز قوائم المجادلة الفلسفية، إلى إقامة أسس المحاور من جديد على إحياء قيم التنمية، " ولطالما

ملف العدد : المغرب ومفاهيم الجالعة

أن هذه الأزمة أدت إلى توطيد أزمة هوية الإنسان ذاته، مما يجعل من أزمته وملابسات هذا الرهان موضع تساؤل فلسفي جديد، ينتقل من سؤال (ما الإنسان؟ إلى سؤال ماهية الإنسان؟)، وهذا ما يستدعي فرز النموذج القائم؛ كواحدة من الإمكانيات المتاحة، لتصحيح التصور وتحريك معاملته؛ هذا إن وجد في مخيلتنا الاستشراافية.

في إطار هذا التحول فإن من الإمكانيات المتعددة من قبيل (المعرفة التراثية والحدائية والهوياتية، بما هي شؤون جدلية)؛ تفرض أن يكون فضاء الإنسان الجديد تخبيراً للتنوع والاختلاف، وأن يكون المنطلق هو تأسيس فلسفة ميثاقية مشتركة؛ كونها استراتيجية بناء الإنسان الجديد، في إطار الأخلاق والقيم، يمارس الثقافة في ضوء فطرية القيم الموحدة؛ في طبيعته المجتمعية، وإقرار المصلحة العليا؛ عبر تنمية الفكر وأجراً الفعل التنموي، ذي تخلق وإبداع؛ وأن تعيد للإنسان ماهيته التخلقية الأولى، وهذا يتأتى في ظل هذا التسويغ العالمي الجديد، الذي انقلبت فيه الإدراكات المفاهيمية بمقتضى مراجعة بنية النظم التربوية والبنيات الثقافية السائدة فيه.

من إجراءاته في واقع الممارسة. إن على إنسان المجتمع في سياق الجائحة أن يبرز قواه، كونها قوى الوجدان والعقل والروح وقوة القيم والفعل، من منطلق أنه " لا يخفى أن الأخلاق الحسنة مخصوصة، الأصل فيها أنها معاني شريفة أو قل قيم عليا، كما لا يخفى أنه ليس في كائنات هذا العالم مثل الإنسان؛ تطلع إلى التحقق بهذه المعاني والقيم، بحيث يكون له من وصف الإنسانية على قدر ما يتحقق به منها، فإذا زادت هذه المعاني والقيم زاد هذا الوصف، وإذا نقصت نقص"²⁵.

فإذا كان مفهوم الإنسان الجديد طغت في الخطابات بين جانبي التقديس والتبخيس والانبهار والعجز أحيانا، فلم يعدو في كونه حامل بضاعة، وآلة مستهلكة، غير داري بحمولته وظروف استخلافه، غير مبال بعملية التنمية المضنية؛ بل إن سقف الطموح لم يتجاوز تلبية الحاجة الفيزيولوجية في نفسه وكيانه.

إن ثقافة الغالب والمغلوب السائدة يترك فيها التعقل باستعارة النماذج الناجزة يحدوها إشكال نفسي بالأساس، واجتماعي وثقافي، وتربوي كذلك. لا شك

أن كل قرار أو عمل يؤثر في حياة الآخرين، فيجب أن يراعي سعادتهم ويؤثر نفعهم...، فكل قرار أو عمل أخلاقي لا يتصف بالاستقلالية والعقلانية والإيثار يظل عميقا واهنا حتى ينفذ ويمارس، ولذلك من الضروري أن يعمل على تنفيذه وممارسته"²⁴.

ب- الإنسان الجديد

يعتبر بناء الإنسان التحدي الأكبر في عالم اليوم ورهانا مركزيا في فلسفة التفكير المعاصر، باعتبار أن المهمة الأولى والأساس، في وضعنا الراهن الذي يعد هو " الاستقلال التاريخي التام"، حسب الجابري. متراوح بين أزمة الإمكان وأزمة الممكن، إن الإنسان اليوم في الوطن العربي تتجاذبه جموع من الجدليات والخطابات؛ تحتويه ثنائيات الأصالة والحدائث والتراثيات والمرجعيات وشائكات الإعلام والتواصل، من لحظة إدراك الفوارق السائدة إلى لحظة الوعي، وإنجاز المقاييس والمعايير المجتمعية؛ التي تفتح المجال أمام أفعال المثاقفة والتعقل والتأويل ووحدة الاتجاه، إلا أن الرهان ما دام هو بناء نموذج التنمية، فتحريه لا جدل في فكرنا وترصيصه يحتاج إلى تصور توافقي ملموس، يمكن

الهوامش

23 - محمد عبد الله دراز. دستور الأخلاق في الإسلام تعريب وتحقيق وتعليق عبد الصبور شاهين دار البحوث العلمية ط 1996. ص 134

24 - ماجد عرسان الكيلاني. اتجاهات معاصرة... ص 17

25 - سؤال الاخلاق ص 147



جودة معتبرة في التحضر، متضمنة نوعية الأسئلة الحرجة؛ حول التربية والتعليم المستمر والمستقبل والمدرسة...، " فالتربية الحديثة تبدو قاصرة في ميادين الاعتقاد والتصوير للوجود...، ولم تمد الإنسان بهويته الحقيقية، مما أفرز مضاعفات الاغتراب والقلق والتفكك"²⁸، ذلك التردد والتساؤل الرجعي، لأهمية تربية الإنسان وثقافته، بدل حشره في سكة نظم التفاهة، التي تعكس بالضرورة استعراض البدايات والتبريرات الباهتة ثقافيا وحضاريا، والترفيه الغير المجدي في خطابات التربية المعاصرة التي تحوط المشاهد من كل صوب.

وأمام أزمة الإعياء البحثي فإن منطق التربية والتعليم اليوم وما بعد، وباستصحاب الما قبل الراهن؛ هو سؤال المستقبل، وهو العودة إلى الإنسان والقيم، والبحث الجدي المثمر؛ في فواعل تحديد المصير المشترك المنسي، الذي أفاقه الوباء الجائح، وعلى حين غفلة من أهل المعمور في سباتنا، محرضا بذلك على الفضول والتحرك. فالمرور إلى الرقي الآن؛ أضحي لا يسمح بالتوقف والاستراح؛ أو التبطؤ في الإنجاز، بل إن استراتيجيات التنمية تأتي حينما تؤسس الرؤية لتصل توصيل الإنسان بكماله الفطري؛ أي (الحياة القيمية الإيجابية)، فتكون التربية والتعليم حينئذ ليست وسيلة للنجاح فحسب، بل وجود جودة التربية هو الحياة ذاتها، فمن المحتمل آنذاك؛ أن تزوج قوى الإدراك في الإنسان للسير في التطوير والتثوير.

استنهاض هذا الإدراك الإنساني حيثما ترتبط قوى الإنسان وتتكامل، تتجدد أسباب إنجاحه وتصعد؛ إذ أن الانسان الجديد يكتسب نواعم البدار بإيجابية، ويتفاعل مع منجزات الحضارة. وإلا فخطاب القيم يعمق الوعي بقضية القيم نفسها ما يجعل وعيا جماعيا؛ ينبني عللا رؤية موضوعية؛ تعتمد ثقافة العلم والأخلاق في الممارسة الفعلية. من حيث أن " الالتزام الخلقي لا ينبثق من الفكرة المحضة بحيث يمكن أن تصير القوانين الأخلاقية ترفا عقلا، وإنما ينبغي أن تكون قواعد للعمل، لأن الاتساق بين النظر والعمل أو بين الاعتقاد والسلوك في الدني واجب. ومن ثم كان لوم القرآن الكريم لمن (يقولون مالا يفعلون)²⁷.

ت- التربية والتعليم

في عملية تسويغ لفعل التنمية لابد من الوعي بالشرط التربوي التعليمي، أو لحظة المدرسة الجديدة والمعارف الإبداعية، والقيم والنظم والثقافة، المحيد بها فلربما التعقيد، أضحي متناميا في فقد نموذج التعليم حيث سيادة الأحادية وتفكك غالب النماذج المغلقة، وسيادة التجريد واستبيان القبلية حيث تبدو ان المدرسة ذي وجهين: (وجه القرب ووجه البعد)؛ في سياق الممانعة الثقافية الراهنة بين الواقع المتغير وعوائد الأزمة القائمة.

إن منطق التربية والتعليم الذي استنهض فينا قوى الوجدان والإحساس بعد أن تفككت اليوم؛ هو منطق ذات

فيلزم أن يكون خطاب القيم معبرا عن التوجيه المنهجي التالي:

• تحرير الفكر والعقل، وذلك بتوسيع مداركات العقل وتثوير الفكر، فهو بذلك يرفض الجمود والتقليد ويميل إلى التجديد والإبداع والابتكار، "عندما يصبح العلم ثقافة"، ممتلئ بالفكر، وإيقاظ ملهم التفكير فيه، متلهب الوجدان في تحري الحقيقة وعشق البحث، مفعم بالإيمان والقيم.

• تحرير وتثبيت الإرادة، إذ الحرية الأداة الأولى للتغيير، فالإنسان هو الخليفة في الأرض ومالك لأدوات الإصلاح، وبقواه المتثورة؛ (روحية ونفسية وأخلاقية)، بإمكانه الإبداع، وينجز ويستثمر الموارد الكونية، ويغتتم ماهية الظواهر التسخيرية في عامله وكونيته.

• تصحيح التصور لدى الإنسان وتخليصه من عقال التقليد والصخب الإيديولوجي، والاستدلال على الحقائق العلمية المدركة بالعقل وكذلك الإرشاد والتوجيه للعمل السلوكي الأخلاقي أثناء الفعل والممارسة.

• التبليغ الإعلامي العملي للقيم والأخلاق والمعاني الغير مرئية، تبليغ المعرفة والقيم، حيث الإعلام والمدرسة والأسرة الذات الشأن في حفظ كرامة الإنسان وكيانه، من حيث أن " مفهوم الكرامة الإنسانية يتعلق باستقلالية الأخلاقية للأفراد والجماعات، ويقوم على ضرورة احترام الخيارات الدينية والمبدئية للآخرين..."²⁶.



ملف العدد : المغرب ومفاهيم الجامعة

طرد علل المجتمع، حيث يتم التعاون بهذه القيم فيتحصل النفع للمجتمع كله، " تعامل بين الأشخاص المختلفين وبين الامم المختلفة، على مقتضى عمل الخير " التوحيد والايمان / العلم والعمل / الأمانة / التضامن والتعاون / الحرية العدالة)، " فحرية التعبير وحرية الإبداع وحرية الابتكار وحرية الاختلاف وحرية النشر لا سبيل لتوفيرها إلا من خلال احترام حقوق الإنسان وسيادة دولة القانون..."²⁹.

تكون هذه القيم ضمن تميز وظيفي؛ قائم بنوع من التواصل، فتبقى سارية في الفعل أكثر من أي اعتبار آخر، وعليه فإن (العمل التعاوني يساوي المجتمع والعمل التعارفي يساوي ومبادئ المجتمع الأمة)، وعليه وجب (تأسيس العمل التعاوني على العمل التعارفي) " الذي بمقدوره أن يحسم في اثبات الفائدة أو ينفى عنها"³⁰ غير أن هذا التحويل في الوعي ليس مطلقاً في بابه، يجعله دوماً محل تجاذب؛ أي لا تضبطه قواعد، مما أوجب أن يستند إلى فلسفة تقويمية موجهة؛ فالقيم على اعتبار تصنيفاتها تقف في صدارة الهوية الدينية؛ كي

فلا يمكن تحايي النزعة الفردانية إلا من زاوية تفعيل قضية الأمة؛ بوصفها ممثلة لوجودية الإنسان ومثله القيمية العليا.

إن التربية هي صناعة المستقبل؛ كونه (مستقبل الأمة الإنسان)، والوجود الكوني كله، ومن يتقصد ذلك فإن تكريم الإنسان بهذا الحق أولى الخيارات ومبدأ التوجه، ولبلوع ذلك فإن مسألة التربية والتعليم لا تنطلق إلا بإقامة أسس للإبداع والتجديد، بما في ذلك تكريس الاجتهاد في التخلق المعرفي الوجداني والعملي، فتربية المستقبل من أجل تنمية الحضارة، تقرر بقيم الحوار والعدالة والحرية، وتأسيس قوي للفكر والمعرفة والثقافة؛ دون تحديد زمان أو اعتبار لمكان، وهي لحظة مفارقة النظر في رهان مدرسة كي نتعلم لنكون.

ث- تأسيس ميثاق القيم

المجتمع الإنساني لا يمكن أن ينتظم إلا تحت حاكمية قيم قادرة على توطيد علاقة ايجابية مع العالم، تستوعبها الأمة، التي يحدها الركن الأخلاقي التعارفي الذي ينمي في الإنسان نزعة الخير، وقادرة

ومن دواعي هذه القوى أن تصاغ التربية وفق التكامل العلمي المعرفي ودرء أدلجة التربية. نداء تربويًا تعليميًا؛ يغيب فيه التكامل يغيب فيه التنامي بكثرة رهاناته، ذلك أن بديل التربية في يكمن في تجديد نسق المعرفة المؤسساتية، الذي يشكل في مجتمعنا العربي تحدياً عويصاً في مشروعنا المجتمعي، فينبغي تداركه واستثمار أفاقته المرحلية في هذا المنعطف.

فبأي رهانات يمكن أن تشتغل التربية والتعليم بعد الجائحة؟

ولما كان التعلم هو نشاط يمارس في فضاء المجتمع، فإن الغاية هو إحياء المعنى في واقع المجتمع نفسه، وبأي التزام قد يحقق المتغيا الحضاري فإنه من الضروري أن تعاد صياغة المدرسة تقوم على مقومات الهوية الذاتية، حتى لا تسير مقاربة التعليم على منوالها العاثر، ومن هذا المنظور يفترض أن تجدد نظم التربية ومنهاجها وبرامجها، بل فلسفتها أولاً؛ بأن تكون مشروعاً متكامل الأركان، يحظى فيها التأكيد على سيادة القيم فيها لتحويط السياق الكوني بتحولاته؛

الهوامش

- 26 - الرشد السياسي وأسس المعيارية من الحكم الراشد إلى الحوكمة الرشيدة، بحث في جدلية القيم والمؤسسات والسياسات، د لؤي صافي ص 110 الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت القاهرة الدار البيضاء الطبعة الأولى بيروت 2015
- 27 - أحمد صبحي الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي ص 51 دار المعارف 1959
- 28 - اتجاهات معاصرة في التربية الأخلاقية ص 81 ماجد عرسان الكيلاني دار البشير ط 1 سنة 1412.1992م
- 29 - الحرب الحضارية الأولى ص 185
- 30 - الاختلاف الفكري ص 23



التفكير العلمي، في حين أن التنمية هي التجلي لقانون هذه الهوية ذاتها، ذات التقدير في المجال العمراني، من قبيل الحرية والعدالة والتسامح، والتراحم والحوار، والإبداع)، إما بتعزيز قوتها في التوجه، حيث تضمينها في بناء الثقافة العلم التفاعل بين الإنسان الفاعل وصيرورة التنمية فإن المجتمع الوجه المعكوس لخطاب قيم معين، "فإننا نرى أن أحسن تحديد للتنمية هو الذي قدمه "ماهو" حينما كتب: **التنمية هي العلم** حين يصبح ثقافة، بمعنى أنه ليس هناك تنمية ممكنة، إذا لم يتطور العلم نفسه ليصبح ثقافة...³⁴

يسير الفعل التنموي في ميزان القيم لا بأوزان السؤال المشكل حولها؛ فتمثل نقطة ثقله، حيث جودة التربية والتعليم، بل وبقياس الواقع تحت وطأة متغيراته، والسير بتطوير في المجتمع، لا يتم إلا على مقياس القيم والهوية الموجهة لهذا الفعل أو ذاك.

تخليق العمل، " فقد أنزل الله سبحانه اخر كتبه على آخر رسله وجعل للعقل بمقتضى هذه الشريعة الأخيرة السلطان الأعلى في إدراك حكمة ما حدده القرآن من المبادئ لخدمة الحق والخير ومكارم الأخلاق"³⁵؛ إذ لا قيمة لتجرد القيمي في الذهن إن لم يكن عملاً. فلا عمل إلا بإيعاز فكر الإنسان إلى الهوية والدين والتخلق؛ على اعتبار أن الواقع الإنساني هو انعكاس واضح لمدى وصله بالهوية والدين والثقافة، وتجلي منسوب إدراكه ووعيه لهذا

في التواصل والتعليم/ الاهتمام بالبحث العلمي"³².

- استصحاب القيم، من حيث طبيعتها الاستقصائية؛ في تقويم السلوك؛ بمقتضى توجيه النموذج والتفكير والعلمي وطرقه ومناهجه، بما هي الحامل الأساس، لمجمل التصورات وتفسير المفاهيم وتأويلها، وتسويغها في الحراك المجتمعي أو بتحكيماها في الإجراء والتعديل، " ومن المهم أن ندرك وجود منظومة من القيم المتميزة بالتعدد والمرونة والخاضعة لما لا يسهل حصره من الضغوط الدافعة للتغير"³³.

- التربية والتعليم بما هي جسر التنمية الأول، فمن البدار المستعجل أن تناط مداخلها وفلسفتها بالتعليل الأخلاقي والأساس المنهجي بدءاً؛ (لماذا نربي؟ وكيف نتعلم؟) وتجديد القول الفلسفي فيها؛ على نحو صياغة معالم الإنسان الجديد، في أدوارها ومناهجها، من حيث قوائم: (فلسفة التربية)، (القيم الحاكمة) (علمية المعرفة)، (منهج التلقي)، (طرق التبليغ)، (وسائل التدبير)، ما يفي بإرساء تفاعل مؤسسي يوطد العلاقة بين المجتمع والمدرسة، وبين الإنسان ودستور العلم والمعرفة.

وفي هذا الصدد فإن ترافق الهوية الثقافية في التوجه الاستراتيجي ثابت بوجود القيم في ضمنها، كما هي تاريخ قائم في مكنونات المجتمع الإنساني؛ وبما هي كذلك نزعة تحريك، في محورية

بحث عن حلول مشكلات العصر، " لأن روح الجواب الإسلامي عن أسئلة هذا الزمان تتجلى في حقيقتين اثنتين، إحداهما (الإيمان) ويتوصل إليه بالنظر في مختلف الآيات، أي بالنظر المملوكوتي، بوصفه مؤسساً للنظر الملكي والثانية (التخلق)، ويتوصل إليه بالتعامل مع مختلف الأشخاص والأمم، أي (بالعمل التعارفي) بوصفه مؤسساً للعمل التعاوني"³¹.

وعموماً فإن علاقة خطاب القيم لتثبيت النموذج التنموي لا يخرج عن منطقية هذه الدعامات الحضارية الأربعة:

- تأسيس فلسفة التفكير العلمي من داخل المشترك الإنساني، ومن جنس محدثات العصر الجديد تطرح بديلاً في سؤال نظرية المعرفة وأسئلة المنهج، وإشكالات التفكير فلن تتبوا الإجابة إلا برصد خريطة التحول الحديث التي حملتها الجائحة الجديدة؛ على أساس أن التفكير العلمي ليفي منهجي أصيل، في ثقافة الإنسان والعقل العربي في أمس الحاجة إلى هذا النوع من التثوير والتحرير باعتبار أن الثقافة العلمية تقتضي احترام وحدة العلم في جوانبها المتعددة؛ فتشمل العالم الطبيعي والنفسي والغيبى، حتى يقام المنهج على أسس تلتئم بطبيعة الهوية وصيرورة الحداثات التنموية الجديدة، "ما يقتضي التركيز على الانطلاق من مبادئ التقدم الثلاثة التالية: محاربة الأمية ومحاربة الجهل/ اعتماد اللغة الأم



ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة



في ترشيد الاختيار والتوجهات والاستراتيجيات، لتنمية مجتمع إنسان الحضارة الجديدة.

لا شك أن هناك توجه عولمي في مخيلة الكثير، سيحتفظ بحقه في تكوين التاريخ والمسار، في ظل ثقافة السوق والمتعة والاستهلاكية؛ ما يتطلب إبراز الوعي الجماعي للعيش المشترك لإنسان كله، وأن الحاكمية في نهاية الأمر لله وحده.

حين تتربع مقولات الحضارات المتمثلة في (الدين، الثقافة، العلم، العقل، القيم، الإنسان...)، تكون حالة

وصعوباتها، لكننا لا نعرف قوة التأثير الدولي على الخيارات المحلية، وعودة الجدول الوجودي وتنظيمه، وما يوازي هذا العائد الكثير من الغائبات إلى حضن خطاباتنا وتهافتنا حول الثقافة والفكر. فالأزمة الوبائية كشفت مرة أخرى مدى الحاجة إلى فهم منعطف جديد في النظر إلى الحال والمستقبل على السواء، فقد كثرت التحذيرات من هذه المثباط لتنهض الوعي في ضرورة الرجعى إلى القيم وإلى مجتمع الأخلاق.

• ضرورة تمحيص الثقافة الهوياتية، ومدى إسهام الفكر والعقل والقيم

الشان، " فالفعل الأخلاقي خاص بالجنس البشري كله، ومادته ومسرحه هو كل ما في السماوات والأرض. والإنسان مسؤول عن كل ما يحدث في الكون، حتى في أبعاد أرجائه، لذا فالتكليف الذي تحمله الإنسان عام وكوني ولا ينهي إلا بيوم القيامة"³⁶.

ومن هنا يمكن ثلاث من التوجهات نعتقدها أساسية؛ ومعتبرة في ميزان التجديد للسير في تقويم الحياة الإيجابية:

• استشراف مستقبل العالم الذي سيعرف تقلبات لم تقدر مآلها

الهوامش

- 31 - طه عبد الرحمن، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري ص 24
- 32 - المهدي المنجرة، حوار التواصل ص 11
- 33 - المهدي المنجرة، قيمة القيم ص 40
- 34 - المهدي المنجرة، حوار التواصل ص 116
- 35 - نديم الجسر القرآن في التربية الإسلامية القاهرة. مجلة البحوث الإسلامية 1971. ص 102
- 36 - اسماعيل الفاروقي التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة، ترجمة السيد عمر، دار البحوث العلمية 2010 ص 122

ضغط في وقع التغيير وتحريك دوابه في النفس، ويكون تجاسر الثقافات والقيم والتنمية من الأكثر في تشكيل السمات الأبرز في البحث عن التغيير، التي لا يمكن أن يمنحها الإنسان إلا في نظام القيم؛ وقد تندثر الأزمة في مدارنا أمام البحث عن الهوية أولاً، كحق في الانبعاث ومواجهة البؤس الإنساني في الزمن المجتمعي الجديد.

إن دافعية التجديد التنموي تقتضي تحرير السير العقلي بيقظة في حركة القيم؛ من داخل التداول المعرفي الإسلامي ذاته، وتقوية الإبداع العقلي؛ المفوض للاستقلالية والابتكار من بابه، ثم تجديد القيم في الحياة؛ بمقتضى ثقل الأمانة العظمى؛ التي تعني (المسؤولية والتكليف وتحقيق الكرامة)، غنهما شرطان متوافقان بحكم تشكلهما في ممارسة النقد الذاتي بدءاً، (الذات في تمركزها ونوعية اختياراتها واستراتيجيات توجيهها).

ثم إن "الوعي القيمي" هذا سيحل العديد من الإشكالات التي كثيراً ما أساءت إليها العلاقات التي تقيمها التحولات العالمية بوسائلها المتعددة. باعتبار أن حضور القيم في سعدنا المتعددة؛ لابد وأن يكون فعلاً تأويلياً؛ يتداخل فيه المستوى المنهجي مع المستوى الفلسفي، ومحتوى ثقافياً منهاجياً يقتضي تحويلاً وتنزيلاً في المجال؛ منضبطاً بأسس منهجية وليس تصريفاً خطابياً لفظياً فحسب.

هذا الأمر من طبيعته أن يحدث انتفاضة فكر مغاير؛ بمصاحبة التحول الكوني القائم فاعلاً فيه متفاعلاً؛ "فالإنسان الأحق من لم يكن شأنه أن يثبت على ذاته أو يجمد على فرديتهن وإما من كان شأنه أن يتقلب في أحواله النفسية وصفاته الخلقية حتى ينال هو مراده، ولذلك لابد أن تكون ذاته بعد كل تقلب مختلفة عن ذاته قبل هذا التقلب. ومن ثمة فإن الإنسان الحق من لم تكن له ذات واحدة ووحيدة، وإما ذوات كثيرة متتالية"³⁷

إن مدى استناد خطاب القيم في الممارسة التي قوامها التنامي والتجدد إلى مبادئ علمية ومنهجية منتظمة الاختيار والتوجه، ذلك ان القيم من حيث هي معيار يحيل إلى تحقق الإيجابية في الحياة، إذ لا يكتمل مدلولها وتحقق وظيفتها إلا في نسق المجتمع وصعده. وبالتالي:

- فلا تنمية في سياقنا وموضوعنا الوبائي المتقلب إلا بالاستناد إلى فلسفة أخلاق تستعير في حركيته نسقية قيمية ميثاقية.

- إنه لا سبيل إلى التنمية إلا بإعادة الاعتبار لمسألة المعرفة والعلم؛ بصيغة التكامل والاتساق؛ بين التخصصات المجالية في المجتمع، وإحياء دور الأخلاق في تداولاتها التربوية التعليمية.

- لا تنمية إلا بتحديث الثقافة والعلوم وترشيد السلوك، وتخليق الممارسة المجتمعية بأبعادها الفعلية

العملية. - ضرورة ترتيب الأولويات في فقه الأخلاق والعمران، فإن شرح الواقع الوبائي أبان عن أزمة في ترابط كليات القيم بجزئيات الحالة المجتمعية لدى الإنسان، كما تنفصل المبادئ عن قضايا فروعها أو خلط ثابت بمتغير في الهويات.

إمّا تعتبر الخطابة القيمية في راهنا الجائحي تبعد في أن تكون مكتفية بذاتها مجردة عن الكون والإنسان، بل هي خطاب العمل قبل النظر تتجلى آثارها على الجماعة المتصفة بها وفي واقعها؛ إذ لا قيمة لتجرد القيمي في الذهن إذا لم يكن عملاً. فلا تحديث ولا تنمية إلا بإيعاز فكر الإنسان إلى الهوية القيمية الأخلاقية، على اعتبار أن الواقع الإنساني هو انعكاس واضح لمدى وصله بالهوية بثقافة العمران، مما قد تكثرت لديه منسوب إدراكه ووعيه، لذا غدت الأخلاق في حاجة إلى قيمة قيم كما أن الوجود في حاجة لقيم الإنسان. ■

ملف العدد : المغرب ومفاضات الجامعة

الهوامش

37 - المغاربة والحدثة، محمد الشيخ، سلسلة المعرفة للجميع العدد 34، 2007 ص 149

المراجع والمصادر:

- اسماعيل الفاروقي. اسماعيل الفاروقي. أسلمة المعرفة المبادئ العامة وخطة العمل. ترجمة عبد الوارث سعيد، دار البحوث 1993
- فرانك جي لتشنر وجون بولي، تحرير العولمة، الطوفان ام الانقاذ؟: الجوانب الثقافية والسياسية والاقتصادية، ترجمة فاضل جتمكر بيروت مركز دراسات الوحدة العربية 2004
- كامل محمد عويضة: دراسة علمية بين علم النفس الاجتماعي والعلوم الأخرى، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1996
- محمد عزيز لجباي ازمة القيم بحث نشر بموقع مغرس بتاريخ 8 يونيو 2004
- بول سيزاري. القيمة. ترجمة عادل عوا. منشورات عويدات بيروت باريس ط 1983 م
- ماجد عرسان الكيلاني، اتجاهات معاصرة في التربية الأخلاقية عمان دار البشير ط 1 1992
- العرب في زمن المراجعات الكبرى محاولات في تعقل تحولات الراهن العربي، كمال عبد اللطيف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الطبعة الاولى بيروت غشت 2016
- مالك بن نبي. مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دمشق دار الفكر 1988
- طه عبد الرحمن سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحدثة الغربية، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي 2000
- يوسف كومبز القيمة والحرية، ترجمة عادل عوا دار الفكر ط 1975
- اسماعيل الفاروقي التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة، ترجمة السيد عمر، دار البحوث العلمية 2010
- ما بعد العولمة، إريك كازدين وإمري زهان، ترجمة أميرة أحمد إمباي، مراجعة مصطفى محمد فؤاد الطبعة الاولى 2016، مؤسسة هنداوي للعلوم والثقافة القاهرة
- مصطفى بن حمزة، مقاربات في المسألة الأخلاقية، دار الأمان الرباط
- أندريه كونت سبونفيل، هل الرأسمالية أخلاقية؟ ترجمة بسام حجاز لندن: دار الساقى 2005
- يوسف كومبز القيمة والحرية، ترجمة عادل عوا، دار الفكر ط 1975
- محمد عبد الله دراز. دستور الأخلاق في الإسلام تعريب وتحقيق وتعليق عبد الصبور شاهين دار البحوث العلمية ط 1996.
- الرشد السياسي وأسس المعيارية من الحكم الراشد إلى الحوكمة الرشيدة، بحث في جدلية القيم والمؤسسات والسياسات، د لؤي صافي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت القاهرة الدار البيضاء الطبعة الأولى بيروت 2015
- أحمد صبحي الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي دار المعارف 1959
- اتجاهات معاصرة في التربية الأخلاقية، ماجد عرسان الكيلاني دار البشير ط1 سنة 1992.1412م
- الحرب الحضارية الأولى، المهدي المنجرة، مكتبة الشروق، الطبعة المصرية الأولى، أغسطس 1995
- طه عبد الرحمن، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، بيروت، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005
- المهدي المنجرة، قيمة القيم ط 1، 2007، ط 2، 2007، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء
- نديم الجسر القرآن في التربية الإسلامية القاهرة. مجلة البحوث الإسلامية 1971.
- اسماعيل الفاروقي التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة، ترجمة السيد عمر، دار البحوث العلمية 2010
- المغاربة والحدثة، محمد الشيخ، سلسلة المعرفة للجميع العدد 34، 2007 ص 149

حوار المدد



عالم الاجتماع إدريس بنسعيد في ضيافة مجلة رهانات

الدكتور إدريس بنسعيد باحث في علم الاجتماع، وأستاذ جامعي سابق بجامعة محمد الخامس، من مؤلفاته: "الثقافة والسلطة"، و"الثقافة والخصوبة"، و"الشباب والحجاب"، و"الطلبة الجامعيون: القيم والاستراتيجيات".

« الجائحة أدت إلى مزيد من إضعاف الأحزاب السياسية ونحن مقبلون على سنة انتخابية »

كثيرة في الوعي الصحي؛ لكن في نظري أن عدم الالتزام بهذه التعليمات (الحجر الصحي، التباعد الاجتماعي، ارتداء الكمامة أو غيره) يرجع بالأساس لأسباب تكشف اختلالات في تركيبة المجتمع والعلاقة بين مكوناته، فبالنسبة للنواة الصلبة لهذه الجائحة، يعني الحجر الصحي الصارم، والذي يتجلى في الشهور الثلاثة الأولى، طرحت مشكلة تدبير هذا الحجر مسألة المجال وكيفية تدبيره؛ انضح أنه من السهل على الفئات المتوسطة والفئات الميسورة، التي تسكن وتعيش في مجالات فيها حد أدنى من الرحابة وإمكانية الاستقلال الذاتي في هذا المجال، أنها لم تجد صعوبات كثيرة، فالصعوبات كانت لدى الفئات الهشة؛ الفئات الفقيرة وأحزمة البؤس التي تحيط بالمدن، والتي أصبحت جزءاً من النسيج العمراني لكل المدن المغربية. الأسر المتكونة في المتوسط من خمسة وستة أشخاص، يعيشون في

زكرياء أكضيض: في ضوء جائحة كوفيد19 لاحظنا أن الوعي الصحي لدى المغاربة، يتميز نوعاً ما بالتباين، لم يتعامل المغاربة مع الجائحة بنفس الطريقة، هنالك من انضبط للتعليمات، وهنالك من تمرد عليها، وهناك من كانت له أشكال أخرى للتعامل مع الجائحة؛ لذلك فالسؤال الذي ظل مطروحاً: ما هي الخلفيات التي وجهت سلوك المغاربة بهذا الشكل؟

د. إدريس بنسعيد: أعتقد أن الأمر لا يتعلق إلى حد كبير بالوعي الصحي، صحيح أن ارتفاع أو تدني الوعي الصحي يرتبط بالمستوى الثقافي للشخص، مستواه الاجتماعي، بتنشئته الاجتماعية، بخلفيته الثقافية، إذن هناك تباينات، أو تلوينات

حوار العدد : « الجامعة ادت إلى مزيد من إضعاف الامزاب السياسية ونعن مقبلون على سنة انتقافية »

ضخمة لا تتوفر على أبسط الشروط الاجتماعية للعيش، وتبين جزءا من طبيعة العلاقة بين المواطن وبين الدولة، التي يتخيلها أساسا كسلطة قاهرة وكسلطة قامعة.

**زكرياء أكضيض: فعلا، أشرت
الأستاذ بنسعيد إلى أن المحدد
اقتصادي والهشاشة الاقتصادية
كان لها أثر في تصرف المغاربة مع**

**هذه الجائحة، وفي نفس
الآن أوردتم نقطة أساسية،
وهي أن الثقافة الشفوية
تفرض هذا النوع من التعامل
المباشر بين الأفراد؛ لدي
سؤال يتعلق بعلاقة المغربي
بما يمكن أن نسميه بطقوس
المرور (الزواج والمآتم)،**

**تعلمون أنه في الجائحة حصل تحول
كبير جدا في علاقة المغاربة مع هذه
الطقوس التي تعتبر أساسية وربما
تخلق انسجاما للمغربي مع ذاته،
هل في نظركم هذه الجائحة سيكون
تأثير في صيغ هذه الطقوس الثقافية
أم أن هذه الطقوس قادرة على أن
تستمر على الشاكلة التي كانت في
السابق؟**

د. إدريس بنسعيد: هذه مسألة مهمة
أشرت إليها بالنسبة لهذه الطقوس؛ هي
طقوس مهمة وتزداد أهميتها كلما نزلنا
في السلم الاجتماعي والاقتصادي، ما دمنا
نعيش في مجتمع فقير، فالسواد الأعظم

معينة من الانتهازية ضرورية للبقاء على
قيد الحياة؛ الوصول إلى المادة الغذائية،
أو الإدارة أو غيره... لا يخضع لضوابط
يحترمها الجميع، بل يخضع لمنطق القوة.
إذن مسألة تدني الوعي الصحي ترجع
كذلك لهذه الأسباب.

المسألة الأخرى التي نلاحظها، خصوصا
في المدن الكبرى كالدار البيضاء والرباط،
أو مراكش، التي هي بؤر متقدمة في هذا
الوباء، نلاحظ أن هناك خروق سافرة

شيئا فشيئا تم إدماج "الكمامة" ضمن منظومة العلاقات
الاعتيادية بين المواطن وبين الدولة؛ الناس يعتبرون الكمامة
بمثابة وثيقة إدارية أكثر منها وقاية صحية، أنا سأضع الكمامة
حتى لا أتعرض للعقاب، وأضعها فقط لتكون ظاهرة، أما أن
أضعها بالشكل الصحيح فهو أمر لا تجده إلا لدى فئات محدودة
جدا.

لهذه التدابير؛ الناس مضطرة أن تخرج،
تشتغل وتبحث عن رزقها... شيئا فشيئا
تم إدماج "الكمامة" ضمن منظومة
العلاقات الاعتيادية بين المواطن وبين
الدولة؛ الناس يعتبرون الكمامة بمثابة
وثيقة إدارية أكثر منها وقاية صحية، أنا
سأضع الكمامة حتى لا أتعرض للعقاب،
وأضعها فقط لتكون ظاهرة، أما أن
أضعها بالشكل الصحيح فهو أمر لا تجده
إلا لدى فئات محدودة جدا. إذن مسألة
الوعي الصحي ودخولنا في هذه الحلقة
المفرغة، وظهور بؤر متجددة، صحيح أن
سببها انعدام أو تدني هذا الوعي، ولكن
أيضا فيها ظروف تعكس سياسة المدينة،
تعكس أو تبين عيوب كوارث ما يسمى
بالسكن الاقتصادي، بمعنى أنها تجمعات

مجال ضيق سواء كان سكنا غير لائق
تماما، أو سكنا اقتصاديا، أو سكنا تقليديا
تتقاسمه أسر كثيرة، بالنسبة لهذا المجال
اتضح أنه مجال مهين بالأساس لقضاء
الليل (النوم)؛ لا يتسع لكل أفراد الأسرة
أو كل أفراد العائلة لكي يعيشوا فيه أو
أن يتواجدوا فيه لمدة طويلة جدا، لأنهم
ينتشرون في اليوم كله ويعودون في
المساء إلى البيت.

تطرح بعض المسائل الحيوية،
كمشكل التنفس، ومشكل
العلاقة الحميمة، الاختلافات
بين الأجيال؛ بين الذكور وبين
الإناث الخ؛ وكلها مشاكل دفعت
بعدد كبير من الشباب للتمرد
على واقع الحجر وخرقه بقدر
كثير من الاضطراب، ولكن هذا
الخرق كان فيه، كذلك نوع من الاستهتار
والتحدي.

المسألة الثانية في هذه التدابير
الصحية، هي مسألة التباعد الاجتماعي،
عدم احترامها، لا نلاحظه في المغرب
فقط، نلاحظ ذلك في حوض البحر الأبيض
المتوسط كله؛ ذلك أن الثقافة المتوسطية
التي هي في الأصل ثقافة شفوية،
والتعبير فيها هو تعبير شفوي بالأساس،
غير أن الحركة الجسدية واللمس والعناق
والتقارب هو جزء من هذه الثقافة،
وجزء أساسي من التعبير. أن يتغلب
التطبع على الطبع، يتطلب مستوى
معين من الشروط فضلا عن ذلك يظهر
أن تشتتنا الاجتماعية تمت بجعل أشكال



الإنسان في الحداد ويستوعب أن الميت فارقنا جسديا وفارقنا أيضا اجتماعيا لغير رجعة، لا يتم إلا بهذه الطقوس، ناهيك عن حفلات أخرى مختلفة.. إذن عندما تطلب من الناس أن يتنازلوا عن هذه الطقوس التي يبدو أنها سهلة فإن الأمر يبدو صعبا، حتى لا نلصق كل شيء بالهشاشة في مظاهرها المختلفة.

تتابعون جميعا ما يحدث في أوروبا وكندا، الناس انضبطوا لإجراءات الحجر، ولكن في الموجة الثانية انضبطوا لأهم هذه الاجراءات، ولكن ما يشكل الآن مقاومة ودفع عددا من الحكومات إلى التراجع والتخفيف هو إغلاق مجالات الترفيه وفضاءات التنشئة الاجتماعية المتبادلة (مقاه، مطاعم، مساح إلى غير ذلك).. بالنسبة لطقس المرور ربما بالنسبة لعدد كبير من المغاربة، الجرح الشخصي وقساوته على الذات ربما كانت أقسى حتى من المنع من الخروج للشارع أو شيء من هذا القبيل.

زكرياء أكضيض: طرحت

أستاذ مسألة مهمة، وهي ما أطلقت عليه الإسمنت الاجتماعي، بمعنى أن هناك بناء اجتماعي وثقافي قوي جدا، وضع أمام هذه الجائحة. لدي سؤال آخر، بالفعل الجائحة كما طرحت

كان لها أثر كبير على العلاقات الاجتماعية، على طقوس المرور، على حميمية هذه العلاقات، لكن في

وغيرها من الأمور. فيما يتعلق بالحفلة، الزينة والماكياج والأكل والمدعوين الخ، يعني أنه لحد الآن لدى الفئات الفقيرة أو الفئات المتوسطة، كلفة العرس يستمر التحضير لها سنوات قبل الزواج، أو ربما يؤجل الزواج من أجلها، ويُسْتَمَرُّ في تأدية كلفتها لمدة طويلة؛ هذه الاحتفالات هي لإعادة إحياء الرابطة الاجتماعي، لإعادة اكتشاف الشبان المقبلين على الزواج أو يمكن أخذهم أزواجا للأبناء في المستقبل، هذا لازال ساريا بين الفئات المحافظة أو بالعالم القروي.

الآن أصبح ألبوم العرس وصوره هو التتويج والمكسب الثمين الذي يعيش عليه الزوجان مدة طويلة جدا، سابقا إذا تعذر عقد حفلة الزواج، يتم في عدد من المرات تأجيلها إلى حين ولادة الابن الأول أو شيء من هذا القبيل، حيث تصبح العقيقة تعويضا عن الزواج المؤجل الذي يبقى دائما عبارة عن دين اجتماعي في عنق الأسرة وفي عنق المجموعة. كذلك الأمر بالنسبة للجناز، وداع الميت والعزاء

طقوس مهمة وتزداد أهميتها كلما نزلنا في السلم الاجتماعي والاقتصادي، ما دمنا نعيش في مجتمع فقير، فالسواد الأعظم من سكان المغرب تنطبق عليهم هذه الحالة أي حالة الفقر وحالة الهشاشة، طقس المرور هنا، يصبح جزءا ضروريا من الاسمنت الاجتماعي..

والعشاء الخ، ما يسميه الفرنسيون commencer le deuil أي يبدأ

من سكان المغرب تنطبق عليهم هذه الحالة أي حالة الفقر وحالة الهشاشة، طقس المرور هنا، يصبح جزءا ضروريا من الاسمنت الاجتماعي.. الاحتفال له دلالة احتفالية، ولكن له دلالات أخرى. إذا أخذنا مثلا "الزواج"، لدى فئات متعلمة أو فئات ميسورة بدأنا نلاحظ، بشكل متواتر، اختصار هذه الاحتفالات المتعلقة بالزواج، بل ربما إلغاؤها وتعويضها باحتفالات رمزية في نطاق ضيق. ولكن بالنسبة لسواد المجتمع المغربي، الاعتراف بالزواج، وأنه زواج سليم، وأنه لم يتم لا بضغط، أو نتيجة لعلاقة غير مقبولة (اجتماعيا)، لا يتم إلا إذا تم الاحتفال به وإشهاره. هذا الجيل ربما لا يتذكر بعض الأشياء التي اختفت، ولكن بالنسبة لجيلنا لم يكن الاحتفال فقط داخل مكان (فضاء)، بل كان الطواف داخل المدينة أو داخل القرية، بجهاز العروس وأمتعتها وربما حتى إذا كانت حاصلة على الشهادة الابتدائية أو غيرها تعرض على العموم، ويتم هنالك إشهاد عمومي على زواجها وعلى ممتلكاتها، هذه الأمور

الآن أصبحت متناقصة، لا زالت حاضرة ولكن لم يعد لها حضور بشكل منهجي systématique كما كان الأمر سابقا، لكن مع ذلك، الاحتفال يبقى أساسيا، لأنه يتضمن الجانب الغذائي، وثقافة المتوسط يطغى عليها ذلك، وخاصة أن الأطعمة والمأكولات

الخاصة بالعرس، ليست بالطعام الاعتيادي الذي نأكله، خاصة من لحوم



حوار العدد : « الجامعة ادت إلى مزيد من إضعاف الامزاب السياسية ونحن مقبلون على سنة انتقافية »

نظام كامل ومحكم، هنالك نظام آخر، وهو نظام إمارة المؤمنين، ومرجعياته هي مرجعية تاريخية أولا، ومرجعية دينية ثانيا. بمعنى أن إمارة المؤمنين فيها الأمير/ الراعي وفيها الرعية، وأن الراعي يدبر أمور الرعية، وبما يتناسب ومصحة الرعية ومصحة الراعي. فمكونات إمارة المؤمنين هي بطبيعتها وبتعريفاتها متعالية على الصراع السياسي وعن التدافع السياسي، وتقع فوق الدولة بمعناها العصري، وهي مرجعيتها الأولى والأخيرة، وهي أيضا ليست مجبرة وليس مطلوباً منها أن تتقيد بالقوانين التي تنظم الدولة وفي مقدمتها الدستور، ولكن الأمور، إذا تمعنا في الصورة، ليست هكذا فقط، بل تظهر لنا بعض الملامح التي كان البعض يعتقد أنها اختفت، والتي تبين أننا أمام آليات أخرى مختلفة للحكم وهي المخزن؛ المخزن رسمياً اختفى كمصطلح رسمي، واختفى من القاموس السياسي ومن الدستور الخ، لم يبق له وجود، لكن اتضح أنه لا زال موجوداً! في نظام المخزن الولاء ليس للدولة ولكن الولاء للشخص والأشخاص، وأنه يشتغل بالآليات أخرى، آليات من يكون على رأس المخزن (الملك أو السلطان) هو بمثابة الأب، كما أن القبيلة رئيسها هو الشيخ في إحالة على العينية ولكن أيضاً في إحالة إلى السن، وأن أفراد المجتمع هم رعايا، وأن العلاقة بين الراعي وبين الرعية ليست علاقة تعاقدية قانونية، ولا علاقة

إلى أن تظهر ملامح الصورة التي التقطتها مكتملة. إذن فقد توقف ذلك الزمن الاضطراري؛ إن توقف الحركة الاضطراري هو ما جعلنا نكتشف العنصر الكاشف لبناء المجتمع السياسي بالمغرب، عدد من التحليلات سواء في العلوم السياسية أو في علم الاجتماع، اهتمت بدراسة الدولة والسلطة في المجتمع المغربي، وتكون وعي جنيني بوضعية يصعب الامسك بها، بالنسبة لي شخصياً.

فمكونات إمارة المؤمنين هي بطبيعتها وبتعريفاتها متعالية على الصراع السياسي وعن التدافع السياسي، وتقع فوق الدولة بمعناها العصري، وهي مرجعيتها الأولى والأخيرة، وهي أيضا ليست مجبرة وليس مطلوباً منها أن تتقيد بالقوانين التي تنظم الدولة وفي مقدمتها الدستور

لقد بينت هذه الجائحة لنا أن كلمة الدولة أو السلطة بالمفرد يصعب أن تنطبق على حالة المجتمع المغربي، لماذا؟ لأن لدينا ثلاثة نماذج أو ثلاثة آليات للسلطة، كل واحد مرجعيته مختلفة تماماً عن المرجعية الأخرى؛ هناك نموذج الدولة العصرية بمؤسساتها وبرلمانها بأحزابها وبتنخاباتها، التي تقوم على العقلانية وعلى أن السياسة تدبير لحياة الجماعة، ولكن الفرد/ الصوت هو المحدد لهذا الاختيار أو ذلك، هذه هي الدولة العصرية التي يحدثنا عنها دستور 2011؛ وهو الذي تحدثنا ديباجته عن مطامحها، بمعنى أنها العقلانية، وأنها الحدائثة، وأنها تمتح من مصادر مختلفة. ولكن بالإضافة إلى هذا النظام الذي هو

إلى أن تظهر ملامح الصورة التي التقطتها مكتملة. إذن فقد توقف ذلك الزمن الاضطراري؛ إن توقف الحركة الاضطراري هو ما جعلنا نكتشف العنصر الكاشف لبناء المجتمع السياسي بالمغرب، عدد من التحليلات سواء في العلوم السياسية أو في علم الاجتماع، اهتمت بدراسة الدولة والسلطة في المجتمع المغربي، وتكون وعي جنيني بوضعية يصعب الامسك بها، بالنسبة لي شخصياً.

جانب آخر، ما لاحظناه منذ بداية هذه الجائحة؛ أن هناك غياباً شبه كلي لوسائل أخرى داخل المجتمع غير وسيط الدولة، لاحظنا أن الدولة في صورتها التقليدي كمخزن - القائد وأعوانه، ظلت الفاعل المركزي في تدبير هذه الجائحة، والكل طرح السؤال، أين هم باقي الفاعلين؟ هل كانت هناك أشكال مضمرة موازية للتضامن الاجتماعي استطاعت التدبير الاجتماعي للجائحة؟ مادام الفاعل المرئي الوحيد هو الدولة، يمكن أن نطرح السؤال التالي: ما هو مبرر غياب الوسطاء الاجتماعيين عن تدبير الجائحة، سواء فاعلون في جمعيات أو في إطارات أخرى أو أية أشكال للتضامن الاجتماعي الأخرى؟

د. إدريس بنسعيد: أشكر على هذا السؤال الذي وضعت فيه الأصبع على إشكالية كبيرة جداً بالنسبة للمجتمع المغربي وتهم المجتمع السياسي، بالنسبة لهذه الجائحة ربما في عدد من الأشياء ومن جملتها هذا المجتمع السياسي لعبت دور الكاشف le révélateur؛ بعد أن نأخذ صورة بالآلة الفوتوغرافية القديمة في المختبر، وبعد أن يتم عكسها على الورقة الفوتوغرافية توضع في محلول؛ ذلك المحلول هو الكاشف le révélateur... وأنت تراقب انكشاف الصورة؛ تبدأ الملامح تتضح شيئاً فشيئاً



باستثناء حزب واحد هو الذي لم يقبل بعد بالملكية وبالنظام الملكي، أما بالنسبة للجميع فالملكية والنظام الملكي أصبح متوافقا عليه.

في بداية تدبير هذه الجائحة لمسنا بعض التردد، أي دولة من الدول، أية أجهزة من هذه الأجهزة سنستخدم؟ هنا تم فرض حالة "الاستثناء الصحي"، أي تم اللجوء إلى الناحية القانونية الدستورية المرتبطة بالدولة العصرية، بمعنى أن هذا القرار هو قرار دستوري ولا يمكن الطعن في قانونيته دستوريا لأن مرجعنا هنا

المتمثل في "المقدمين والشيخوخة والجزائية والمخبرين، ليس بمعنى المخبر الأمني، ولكن من يأخذون الأخبار ويقومون بتوزيعها لذوي الأمر" كما ولديه آلياته وتجهيزاته المختلفة.

إذن هذه الجائحة بينت على أن المغرب بالنسبة لنموذج السلطة، لم يحسم فيه بكيفية نموذجية وأن هناك ثلاثة دوائر: "الدولة العصرية؛ المخزن وإمارة المؤمنين"؛ إمارة المؤمنين ابتداء من دستور 1996 الظاهر أنه قد تم الحسم فيها على مستوى الطبقة السياسية ككل،

دينية بالبيعة كما في إمارة المؤمنين، وإنما علاقة السخط وعلاقة الرضا؛ إذا امتثلت الرعية فالراعي راض عنهم وإذا لم يمتثلوا أو تمردوا أو تظلموا فهو غير راض عنهم، وإلى عهد قريب كان شائعا بأن يقول لك شخص "هذا مسخوط المخزن، واللي ما صاب اللي يربيه يربيه المخزن، أو تمشي فين تتربي".

من الناحية السوسيولوجية هناك قاموس آخر؛ جهاز المخزن بعضه تم استدماجه داخل أدوات الدولة العصرية، مثل النظام الناجع والفعال والعنكبوتي

حوار العدد : « الجامعة ادت إلى مزيد من إضعاف الأحزاب السياسية ونحن مقبلون على سنة انتخابية »

هي عليه، ونحن على بعد أشهر من الانتخابات وأثناء الجائحة وبعدها، أن الصراع داخل ذلك "التنبر" أو الرقعة السياسية بدل أن يكون حول المستقبل وكيفية تدبير الآثار الاجتماعية والاقتصادية والصحية للجائحة، بدل أن يبدأ النقاش حول البرامج والمواقف، النقاش الوحيد الموجود حالياً يدور حول مقتضيات تقنية، حتى الناس المتعلمين إذا سألتهم عن "القاسم الانتخابي" وعن "العتبة" كن متيقنا أنهم لن يفهموا شيئاً. لقد لعبت الجائحة هذا الدور ليطم تنبيهنا كمواطنين/ ملاحظين، إلى طبيعة النظام ومآلاته المنتظرة.

زكرياء أكضيض: فعلا تبين أن المساحة التي يتحرك فيها الفاعل السياسي ضيقة بالمقارنة مع حضور المخزن بمفهومه التقليدي، وما يثير انتباهي هنا وأنا أتابع الجائحة منذ بدايتها، أن المخزن لم يعد يعرف بمعناه المركزي، نلاحظ أن هناك حركية لمخزن القرب بفاعليه المختلفين حتى على مستوى التدبير الاقتصادي، حيث تحول مجموعة من القياد إلى رموز على شبكات التواصل الاجتماعي بفضل تدخلاتهم لفائدة أسر تعيش وضعيات صعبة، كأداء واجب الكراء وتقديم مساعدات مالية مباشرة لبعض المعوزين، وهذا يحيلني على التدبير الاقتصادي والمالي، نلاحظ

ما يحيط بنا في الرقعة الجغرافية بالعالم، هو الفراغ السياسي، لأنه أوتوماتيكيا يتيح المجال لممارسات سياسية مرجعيتها غير سياسية/ مدنية، قد تكون مرجعيتها عرقية، قد تكون مرجعيتها دينية أو لغوية وأشياء أخرى من هذا القبيل، ومعنى ذلك أن المؤسسات السياسية دخلت في منحى من الضعف والتآكل من الداخل.

عندما حلت الجائحة تم اللجوء بكثافة إلى الأجهزة، والأجهزة لعبت دورها لحد الآن بنجاح، هي التي تتوفر على المعلومات، على الإحصائيات، هي التي تقرر، هي التي تضبط، هي التي تتساهل، بآليات اشتغال النظام المخزني الذي كان دائما عبر تاريخه يشتغل مثل الأكورديون Accordéon، يضيق أحيانا لمستويات، وأحيانا أخرى يتمدد. في مرحلة الجائحة تمدد ذلك الأكورديون، وضعفت المؤسسات وتآكل دورها بشكل واضح.

ما يزيد من خطورة ذلك، أنه

حتى الناس المتعلمين إذا سألتهم عن "القاسم الانتخابي" وعن "العتبة" كن متيقنا أنهم لن يفهموا شيئاً. لقد لعبت الجائحة هذا الدور ليطم تنبيهنا كمواطنين/ ملاحظين، إلى طبيعة النظام ومآلاته المنتظرة.

إذا بقيت الأجندة السياسية على ما

هي النص، ولكن بالنسبة لهذه الدولة العصرية أو التي نأمل الوصول إليها في يوم ما، إذا عدنا إلى أدبيات التحليل في السوسيولوجية السياسية أو العلوم السياسية، نجد أن هذه الدولة تتكون من أجهزة ومن مؤسسات؛ المؤسسات هي التي تخطط وهي التي ترمج وتعديل وتلغي وتقبل، وهي هنا البرلمان والأحزاب السياسية، النقابات وامتدادا لذلك المجتمع المدني والجمعيات إلى غير ذلك... وهنالك الأجهزة التي تنفذ، التي تقوم بعمل الضبط، من الشرطة إلى الشيوخ إلى المقدمين إلى القوات المساعدة إلى آخره، تقوم بعملية الضبط وعملية التنفيذ.

ما أظهرته الجائحة أن المغرب قد وصل إلى درجة متقدمة على مستويين؛ المستوى الأول، وهو أننا نعيش مرحلة متقدمة من الفراغ السياسي، الحياة السياسية حوصرت وقزمت وأصبحت تدور في رقعة بسيطة، أسميها رقعة "التنبر" أو "طابع البريد" بالنسبة للرسالة، هناك توجد الأحزاب والسياسة...

السياسيون يتعاركون ويتصالحون ويتحالفون إلى غير ذلك، ولكن الناس يتعدون، أو أبعدوا شيئاً فشيئاً عن الحياة والممارسة السياسية؛ هذا الأمر فيه خطورة كبيرة لأنه يهدد بالفراغ السياسي، وأخطر ما يمكن أن يواجهه مجتمع ما، خصوصا في الوقت الراهن، ونحن نلاحظ



الفقر وحجم الهشاشة الاجتماعية في المغرب؛ يعني أن المستفيدين من الدعم، سواء الذين يتوفرون على "الراميد" أو غير المتوفرين، تقريبا 7 ملايين أسرة، وإذا كان الحجم المتوسط للأسرة هو 3 أفراد، إذن نحن نتجاوز 23 مليون الذين يعيشون في هشاشة كبرى. بينت لنا أيضا مسألة أخرى، وهي أن العشوائية واللاهيكلة، لم تعد شيئا حكرا على البناء أو في الأحياء، ولم تعد في المغرب شيئا هامشيا، اتضح أن الناس الذين يعيشون في ظل الاقتصاد غير المهيكل، تقريبا ما يقارب 18 أو 19 مليون من السكان؛ هؤلاء الناس لهم خصائص وهي أنهم منذ زمن طويل، وهم تقريبا ما يزيد عن 50 بالمائة من سكان المغرب، وجدوا وتكونوا ويشغلون أو يحاولون الاشتغال بمنطق "البقاء على

قيد الحياة"، يستيقظون صباحا ولا يعرفون كم سيكون لديهم في المساء من نقود، وعليهم أن يحضروا ما يعيشون به مع عائلاتهم وأبنائهم، بدون التفكير في الطريقة التي يشتغلون بها ويتحصلون بها على المصروف، وهل ذلك العمل هو مشروع أو غير مشروع، يعاقب أو لا يعاقب عليه القانون.

القطاع غير المهيكل يشتغل في منطقة رمادية، بمعنى أن هذا القطاع يعيش وفق قاعدة غض النظر من قبل رجال السلطة، مثلا بقدرة قادر أن أحياء

أن نتأمل قليلا في دلالة الاسم نفسه للمخزن، أنه يخزن ويجمع، بمعنى جمع الأموال والثروات وإعادة توزيع جزء منها في حالة الضرورة للحفاظ على التوازن، هذه آلية من الآليات الأساسية لحكم المخزن. بالنسبة لعدد من الصور والفيديوهات التي كان موضوعها القيادة، كانت هناك مبادرات إنسانية رائعة، لكنها مبادرات ترجع إلى الشخص وليس إلى الجهاز الذي ينتمي إليه، وهم يُشكرون عليه. لكن بمجرد تأكد الجائحة بالمغرب تم إحداث صندوق خاص لتدبير

القطاع غير المهيكل يشتغل في منطقة رمادية، بمعنى أن هذا القطاع يعيش وفق قاعدة غض النظر من قبل رجال السلطة، مثلا بقدرة قادر أن أحياء المغرب كاملة والممتلئة بالباعة المتجولين الذين يروجون لرقم معاملات مهم جدا، اختفوا فجأة وظلوا فقط في بعض الأسواق بكثافة أقل!

الجائحة، ساهمت فيه الدولة بجزء ما، وساهم أفراد المجتمع بمقادير مختلفة وبكيفية مختلفة حتى تم الوصول إلى الرقم المعروف، ثم بدأ صرف هذه الأموال، إما للتجهيز أو دعم القطاع الصحي، أو القطاعات الاقتصادية أو جزء من تحمل القطاع الخاص أو المساعدة المالية والمساعدة الغذائية لفئات واسعة من السكان. إذن هذه الآلية قد اشتغلت وهي ناجعة. لقد أعطتنا هذه الآلية، بكيفية غير مقصودة أو غير مباشرة إحصائيات لم تكن معروفة أو كنا غير متأكدين منها، وهي ما يتعلق بحجم

كذلك التدبير المالي للجائحة من خلال صندوق الدعم، وهو تدبير يعود بنا إلى الطرق السابقة على مستوى تدبير الأزمات والجوائح؛ وسؤالي هنا: كيف يمكن أن نفهم هذه التجربة المغربية الفريدة من نوعها على مستوى التجارب الدولية؟ هناك طلب فوقي للإحسان بغرض المساهمة في صندوق الدعم، وتوزيع للأموال التي جمعت على المغاربة، وما الطابع المميز لهذه التجربة مقارنة بتجارب أخرى؟ وهل كانت لها الفعالية في التغلب على التداعيات الاقتصادية للجائحة؟

د. إدريس بنسعيد: أولا، أنا

متفق معك، ننبه في مستوى معين أن الدولة تطورت أدواتها، سواء بالنسبة لأجهزة الداخلية من

عمال وقياد أو بالنسبة للأمن وغيره، أنها استثمرت كثيرا في تكوين الأطر بوسائل وأدوات عصرية، بمعنى أن رجل الشرطة في سنوات الرصاص إلى حدود الثمانينات لا علاقة له برجل السلطة الآن؛ رجل السلطة اليوم شخص لديه تكوينه العصري، الذي هو تكوين جامعي، لكن تلقى تكويننا متخصصا بمواصفة عالية.

إذن الكفاءات الذاتية وطرق التعامل مع الناس اختلفت كثيرا عن الماضي، والمسألة هنا، إذا ما حللناها في إطار المخزن وليس الدولة العصرية، يكفي



حوار العدد : « الجامعة ادت إلى مزيد من إضعاف الازباب السياسية ونعن مقبلون على سنة انتقافية »

السؤال الأخير، باعتباركم باحث في علم الاجتماع، لاحظنا حركية للبحوث اجتماعية في زمن الجائحة، رغم أنها لم تصل إلى المستوى المطلوب. فماهي في نظركم المساحات التي ظلت مبهمة ولم تصل إليها الأبحاث الاجتماعية في ظل الجائحة؟

د. إدريس بنسعيد: بالنسبة لهذه الجائحة، سواء من الناحية السوسولوجية أو من الناحية العلمية البيولوجية والطبية أو من الناحية الاقتصادية، بدأ البحث يتطور ويتواتر استعمال مصطلح يعبر عن واقع الحال، هو الذي بلوره الفيلسوف والسوسولوجي الفرنسي "إدغار موران" في تحليله الأخير، الذي تحدث فيه عن "التفكير في اللايقين"، إذن العلم كله، بما فيه العلم الاجتماعي، وجد نفسه أمام هذه الوضعية، أي أنه مضطرب للتفكير في أشياء غير مألوقة، غير يقينية، لم يتوفر التراكم فيها.

العلوم الاجتماعية بمعناها الواسع، والعلوم السياسية كذلك، المواكبات فيها كانت كثيرة جدا، مركز مدى نفسه قام بمتابعات متميزة وبإضاءات مختلفة، الكثير أيضا من الجمعيات، من الأحزاب، من المؤسسات والجامعات، شاركت في هذا النقاش بشكل كثيف، بالوسيط الالكتروني؛ فيما يتعلق بالمواكبة، بدأت تخرج بعض الكتب وأعداد خاصة من

والديني والثقافي والأخلاقي، بمعنى أنك تتصرف وأنت مضطرب إلى أن تتصرف كما تتصرف عليه، ولكن بالنسبة لهذه الكتلة الديمغرافية من الناس التي تعيش في المجتمع المهيكل، وإذا استمرينا على هذا النحو، يتضح أن القطاع المهيكل سيصبح جزرا منعزلة داخل هذا المجتمع اللامهيكل، وأن القطاع المهيكل في حاجة إلى تثمين، وإلى الاستثمار في العنصر البشري اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا. لا أعرف إن كان هذا النموذج المقبل للتنمية (النموذج التنموي الجديد) ذهب في هذا الجزء من التحليل، ولا أعرف ماذا سيقدمه لنا من أشياء جديدة فيها قراءة متأنية للجائحة وواقعها.

لاحظ معي أن بروفائلات المنتمين إلى هذه الخلايا غالبيتهم المطلقة من هذا القطاع غير المهيكل، والغالبية أعمارهم تدخل في دائرة الشباب. الجائحة بينت لنا هذا القطاع غير المهيكل، وبينت لنا أنه عندما تعيش للبقاء على قيد الحياة فلا ينفع إلا "البريكولاج"؛ البريكولاج السياسي والديني والثقافي والأخلاقي

زكرياء أكضيض: ما طرحته مفيد جدا، فالمجال غير المهيكل، ليس مجرد حقل اقتصادي صرف، بل إنه حقل لتوليد سلوكات ثقافية، تسعى إلى خلق حدود تجاه المؤسسات والثقافة الرسمية، وفعلا نجد أن التيارات المتطرفة لديها جاذبية تجاه القطاع غير المهيكل المنفصل من سلطة الدولة؛ يحيلني هذا على

المغرب كاملة والمتمثلة بالباة المتجولين الذين يروجون لرقم معاملات مهم جدا، اختفوا فجأة وظلوا فقط في بعض الأسواق بكثافة أقل! لكن مقابل هؤلاء الناس، نلاحظ ارتفاع نسبة المتسولين، ارتفاع نسبة الطرق غير المشروعة للحصول على المال والبقاء على قيد الحياة، أشكال مختلفة من الإجرام الصغير أو المتوسط الخ، واحتداد الفقر واستنزاف المدخرات الهزيلة التي كانت لدى الناس.

من وجهة نظر التحليل الذي أحاول أن أذهب فيه، أن هذه اللاهيكلة، والعيش اقتصاديا في هذه المناطق الرمادية، يؤدي إلى أن السلوك الثقافي والسلوك الديني والسلوك السياسي، يجعل أن الناس مجبرين على العيش في القطاع اللامهيكل، بمعنى أن هذا الجزء الكبير من القطاع اللامهيكل يصبح في المجتمع المغرب ضاغطا، ولكن يمكن التحكم فيه وتحويله إلى قوة مضادة يمكن أن تواجه أية قوة أخرى منظمة ومعقلنة إلى غير ذلك من الأمور. مثلا، نحن

جميعا نتابع نجاحات الأمن المغربي في تفكيك الخلايا الارهابية، لاحظ معي أن بروفائلات المنتمين إلى هذه الخلايا غالبيتهم المطلقة من هذا القطاع غير المهيكل، والغالبية أعمارهم تدخل في دائرة الشباب. الجائحة بينت لنا هذا القطاع غير المهيكل، وبينت لنا أنه عندما تعيش للبقاء على قيد الحياة فلا ينفع إلا "البريكولاج"؛ البريكولاج السياسي



المجلات، بعض منها يتحدث عن تجربة شخصية، والبعض الآخر عبارة عن عمل جماعي وندوات...، تعرفون أن زمن العلم ليس هو زمن وإيقاع الواقع، فإيقاع التحليل العلمي يحتاج إلى بعض الوقت، لكن فقط مما هو متوافر حالياً، هنا بالمغرب، مقارنة مع دول في العالم العربي أو إفريقيا، كانت قوية ومتميزة، وبالنظر إلى الوسيط الإلكتروني، وصل صداها إلى خارج المغرب، بنفس الشكل أو أكثر مما كان داخل المغرب.

إذن ما يمكن أن نقوله، أنه كان هناك تفكير من الدرجة الأولى؛ تفكير في الآتي واستيعاب هذه الجائحة ومحاولة فهم تداعياتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، ولكن هنالك بعض الأشياء لم تتم بعد، نظراً لأن زمن العلم ليس مثل الزمن السوسولوجي؛ بالنسبة لي ما هو متوفر وما سيصدر قريباً هي أشياء مشرفة وستعطي للباحثين الشباب مادة للبحث لسنوات طويلة، انطلاقاً من براديجمات جديدة، وهي أننا إذا أردنا أن نفكر في هذه الجائحة يجب أن نفكر فيها كشيء جديد وغير مسبوق، وبالتالي نحن في حاجة إلى نوع من الإبداع والخيال العلمي لتجاوز أفكارنا وأدوات تحليلنا التي نشأنا عليها واطمأننا لها، نحن في حاجة إلى نوع من الإبداع والاستشراف العلمي بدأنا نلمس آثاره.

أريد أن أشير هنا إلى أمرين بودي

أن يهتم الباحثون بهما الشباب في العلوم الاجتماعية؛ المسألة التي أثارت الانتباه؛ هناك إحصائيات ولكن في العمق لم ندرس كثيراً، وهي أنه في اليوم الذي خرجت فيه إشاعة بأن وزير العدل تقدم للحكومة بمشروع قانون لفرض قيود متقدمة على الأنترنت، ما الذي وقع؟ الذي وقع أن الرفض لم يكن فقط من الأحزاب السياسية والمثقفين الخ، ولكن كان رفضاً شاملاً من مختلف فئات المجتمع، أين يظهر ذلك؟ يمكن فقط أن تدخل مواقع التواصل الاجتماعي، وترى

تحول في الإنسان نفسه، بمعنى أنه كان هناك "الإنسان الصانع" و"الإنسان المفكر" والآن على عتبة ظهور إنسان جديد هو L'homo connectus أي الإنسان المتصل، بمعنى أن الأنترنت لم تعد أداة، بل جزء من الذات وجزء من المجتمع، وتصبح الآلة بنية قاهرة تتطور بشكل كبير، والدراسات التي تتعلق بها في السوسولوجيا لا زالت في

ردود الفعل، إما ردود فعل مبنية، أو ردود فعل مكتوبة بالدارجة وبالحرّف العربي والفرنسي وبالخطأ، ولكن كلها تستنكر، هذا في عز الأزمة، حيث أن الناس قبلوا أن يتنازلوا عن جزء من حريتهم الجسدية، جالسين في بيوتهم، قبلوا أن يتنازلوا عن جزء من مداخلهم، حتى وإن كانت هزيلة أصلاً، ولكن أن تمس بجزء من حريتهم في الأنترنت، قاموا -كما يقول المصطلح الشائع- قومة رجل واحد...

يدل الأمر، في نظري، على أن كورونا

جعلتنا ننتبه، على مستوى الوعي، أن التحولات التي أحدثها العالم الافتراضي والأنترنت في حياتنا هي أعمق بكثير مما نتصور، أن المجتمع الافتراضي بدأ ينفصل شيئاً فشيئاً عن المجتمع الواقعي، ولم يعد مجتمعا افتراضياً أصبح شيئاً فشيئاً يحتل مساحة الواقع بل أصبح هو العالم الواقعي، بالنسبة لفئة واسعة من السكان. ما يقضيه الشباب أو الناس الأقل شباباً، والاهتمام والتركيز الذي يقومون به في الأنترنت، أكثر بكثير من الحياة التي يقضونها في الواقع الفيزيائي الكلاسيكي الذي كنا نعيشه. نحن الآن أمام مجتمع جديد، له ضوابطه، له قوته القاهرة، له آليات الاشتغال فيه والتفكير فيه واستغلاله، وهذه الأشياء لا زالت الدراسة فيها في مراحلها الأولية. أعيد التذكير بما أشرت إليه في مناسبات كثيرة، قبل عشر سنوات في السوسولوجيا الأنجلوساكسونية ظهر مصطلح جيل الإنترنت e-native ، هؤلاء الباحثين وضعوا تاريخاً افتراضياً هو سنة 1985... الذين ولدوا قبل هذا التاريخ ينتمون إلى مجتمع وبرايديجمات أخرى، و لن يتعلموا أبداً تديبه La manipulation كما يفعل مواليد ما بعد هذا التاريخ.

المولودون بعد هذا التاريخ ولدوا في عصر الأنترنت ونشؤوا داخل هذه المنظومة، يعني أن المولود، بعد ولادته



حوار العدد : « الجامعة ادت إلى مزيد من إضعاف الازباب السياسية ونعن مقبلون على سنة انتفابية »

أين وصل هذا البحث، ظهر أن السلوك الإنساني، حتى في المجالات الصحية أصبح حاسما ومحددا، وهذه أشياء لم تدرس لحد الآن.

أنهي بمسألة مرتبطة أساسا بالانترنت، في شق التراسل الفوري (الواتساب الى غير ذلك)، ظهر أنه من آليات الدفاع الاجتماعي أمام العجز العلمي، والعجز الاقتصادي أمام هذه الجائحة، كانت النكتة والكاريكاتور، وكانت هنالك إبداعات حقيقية جزء منها لا زلت أرجع إليها وأستمتع بها وكأنني أراها لأول مرة. أتمنى أن يقوم باحثون بجمع هذه المتن ودراسته، لأنه سيكون مفيدا لفهم هذه المجتمعات الجديدة (المجتمع الافتراضي)، ولفهم الآليات الجديدة للتنشئة الاجتماعية السياسية، أو التنشئة الاجتماعية فقط. ■

(transition épidémiologique)؛ أين وصل هذا البحث، ظهر أن السلوك الإنساني، حتى في المجالات الصحية أصبح حاسما ومحددا، وهذه أشياء لم تدرس لحد الآن. منظمة الصحة العالمية في تقرير 2004 أوصت بأن نعلن هذه السنة سنة انتقال وبائي، الأمراض ذات الأسباب جرثومية أو التعفنفة، أصبحت أقلية، والآن أصبحنا أمام أمراض سببها ليس هو الميكروب، وإنما سببها الإنسان والسلوك الإنساني، وعلاجها مرتبط بنمط العيش وبالإنسان وبالسلوك الإنساني، العلاج فيها أصبح يشكل جزءا بسيطا، ولكن الجزء الأكبر هو التربية الصحية، ونحن بحاجة إلى مقارنة صحية.

أطلقت منظمة الصحة العالمية مشروعاً كبيراً أسمته "المحددات الاجتماعية للصحة"؛ حول كيفية إعادة بناء الطب من التكوين إلى الممارسة إلى المستشفيات وغيره، ليس على أسس "علم الأمراض" الكلاسيكي، ولكن على أساس سلوكي إنساني. قبل 10 سنوات المغرب كان في المناقشات الأولية، وشاركت لحظتها فيها ولا أعلم الآن

بأشهر، يضع والديه بين يديه الهاتف، ولعل قوة هذه الأداة على الإسكات أكثر من الآليات الكلاسيكية... نحن الآن أمام تغير كبير... ذهب محللون مؤخراً إلى أبعد من ذلك وقالوا بأن الأمر لا يتعلق فقط بتحول بسيط، وإنما هو تحول أكثر من تاريخي، تحول في الإنسان نفسه، بمعنى أنه كان هناك "الإنسان الصانع" و"الإنسان المفكر" والآن على عتبة ظهور إنسان جديد هو L'homo-connectus أي الإنسان المتصل، بمعنى أن الانترنت لم تعد أداة، بل جزء من الذات وجزء من المجتمع، وتصبح الآلة بنية قاهرة تتطور بشكل كبير، والدراسات التي تتعلق بها في السوسيولوجيا لا زالت في بدايتها الأولية.

أعتقد أنه أمام العلم هذه الثغرة الموجودة؛ ثغرة أخرى ظهرت، ويمكن القول أنها تتعلق بسوسيولوجيا الصحة تحديداً، نعرفون أن الأوبئة تنتقل حسب ما يسمى بـ "الانتقالات الوبائية"



ترجمات

سوسيولوجيا الخطورة والأزمات الصحية: أضواء على وباء فيروس كورونا

Sociologie du risque et crises sanitaires : un éclairage sur la pandémie du coronavirus

ترجمة: عبد العالي صابر

حوار مع "باتريك بيريتي فاتيل" Patrick Peretti-Watel

أجرى الحوار مع الكاتب: "آن شاتونوفمالكليس" Anne Châteauneuf-Malclès Constitutionnel " نُشر الحوار بتاريخ 08/04/2020 على موقع SES-ENS، وهو موقع مخصص لإغناء التكوين العلمي في علم الاجتماع وفي العلوم الاقتصادية والسياسية. وقد جرى تطوير الموقع في إطار اتفاقية تمت سنة 2002 بين المدارس العليا للأساتذة والمديرية العامة للتعليم المدرسي بوزارة التربية الوطنية (بفرنسا).¹

(2000)، و"مجتمع الخطورة" (2010)،
و"سجارة الفقير" (2012).

مختلف القضايا التي تم التطرق
إليها في الحوار:

(1) مفهوم الخطورة ومقارنته
سوسيولوجيا

(2) موقع الخطورة ضمن
المجتمعات الحديثة المعاصرة
les sociétés modernes
contemporaines

(3) طبيعة الخطورة في المجتمعات
المُعوملة المترابطة فيما بينها بقوة

(4) وباء فيروس كورونا بوصفه فئة

في المعهد الوطني للصحة والبحث الطبي
INSERM، يشتغل ضمن مختبر "نواقل
العدوى المدارية والمتوسطة" VIT²
ROME (Vecteurs Infections TR
Opicales et Méditerranéennes)،
الكائن بمعهد المستشفى الجامعي
للأمراض المعدية (المتوسطة) بمارسييا
l'IHU Méditerranée Infection à
Marseille حيث يشارك في إدارة فريق
"معضلة وقرار، مخاطر وإجراءات طبية"
Dilemme & Décision, Risques et
Actes Médicaux.

والباحث متخصص في سوسيولوجيا
الخطورة، وسوسيولوجيا الصحة، وقد أنتج
عددا من المقالات العلمية والكتب، من
بينها كتاب "سوسيولوجيا الخطورة"

يشهد وباء فيروس كورونا على
المكانة المركزية التي تحتلها الخطورة
le risque في المجتمعات المعاصرة،
سواء كقلق اجتماعي أو كنتاج لتطور
هذه المجتمعات. وفي هذا الحوار
يتوقف السوسيولوجي "باتريك بيريتي
فاتيل" عند الطريقة التي تتناول بها
السوسيولوجيا واقع الخطورة، وكذا
المسائل الاجتماعية التي تطرحها الأزمات
الصحية وي طرحها تدبير هذه الأزمات.
ويوضح الباحث أن التمثلات والمواقف
اتجاه الخطورة، وأيضا التمايز الاجتماعي
بخصوص التعرض لها، هي عناصر لا
يجب إهمالها في مسعانا للوقاية من
خطورة صحية ما.

باتريك بيريتي فاتيل هو مدير الأبحاث



من المخاطر

(5) إدارة الأزمات الصحية

(6) مبدأ الوقاية

(7) ظهور المخاطر التكميلية
risques complémentaires في إدارة
أزمة صحية

(8) الاختلافات على مستوى تمثل
الخطورة بين الخبراء وعامة الناس

(9) تأثير الرسائل الوقائية
messages préventifs في مجال
الصحة

(10) أهمية المواقف في مواجهة
الخطورة ضمن عملية إدارة أزمة
صحية

(11) التفاوتات الاجتماعية في
مواجهة الخطورة

1) الخطورة le risque مفهوم معقد وشامل استثمرته العلوم الاجتماعية كثيرا انطلاقا من الثمانينات، فبوصفك سوسيولوجيا كيف تتصور هذا المفهوم؟

والقرن الخامس عشر مع ميلاد التأمين البحري، وذلك عندما قرر القائمون على تجهيز السفن les armateurs حماية أنفسهم من الأخطار البحرية بإرساء ميكانيزمات تأمين، وذلك بفضل مورد مالي ساهموا جميعا في إنشائه. لقد كان غرق السفينة أو علوؤها في الماضي يعتبر خطرا danger يُنظرُ إليه من منظور الحتمية، لكنه تحول إلى خطورة risque في اللحظة التي أصبح فيها لدى مُجَهِّزِي السفن وَعَيُّ بالتهديد الذي يواجههم، وبالتالي محاولة حماية أنفسهم منه بطريقة استباقية. إذن التهديد أو الخطر أو أيا كان ما نتحدث عنه يتحول إلى خطورة عندما تكون هناك جماعة معينة لديها وعي بوجود تهديد ما، ولديها أيضا إرادة للتحكم في هذا التهديد من خلال إجراءات وقائية أو آليات تأمين. وقد يحدث أن يكون هذا التهديد في جملته شيئا لاعقلانيا وخياليا؛ فقد سبق واشتغلت في أطروحتي على تخوف البروتستانتين من أن يكون مصيرهم هو الجحيم، والطريقة التي يطمنئهم بها دينهم لمواجهة هذه "الخطورة".

ينبغي أن نضيف إلى ما سبق أن مفهوم الخطورة ينبني على تصور تهديد معين باعتباره حادثا عارضا وعشوائيا؛ فبعد إقرار نظام التأمينات البحرية في القرن السابع عشر بفرنسا، أقر

لقد أوضحت العلوم الاجتماعية أن المخاطر تُبنى اجتماعيا، وعندما اشتغلت على مسألة الخطورة في أطروحتي انطلقت من أعمال الفيلسوف فرونسوا إيوالد (1996) François Ewald، والذي يرى أن القرن العشرين يتميز بكونه شَهْدَ -على نحو تدريجي- عملية "جَعَلَ العالم في حالة خطورة"، كما شهد عملية "طَمَأَنَةَ المجتمعات". ويقول إن العالم تم جعله في حالة خطورة يقصد هذا الفيلسوف أن ما يخلق الخطورة هو الطريقة التي ننظر بها لحدث معين؛ فعلى سبيل المثال الأنفلونزا الإسبانية التي أودت بحياة ما بين 20 إلى 50 مليون إنسان نهاية الحرب العالمية الأولى لم تكن مُمَثِّلُ خطورة إبان تلك الفترة، لأنه لا أحد توقع ظهورها، ولا أحد حاول تنبيه الآخرين منها والسيطرة عليها، لكن في المقابل فإن أنفلونزا الخنازير H1N1 أو فيروس كورونا هي مخاطر لأنها أوبئة تم استباقها، وفكرت السلطات بشأن تدابير معينة لصد الخطر le danger الذي تمثله، حيث اتخذت إجراءات معينة للوقاية منها، ورصد تهديدها، ثم محاولة التعامل مع هذا التهديد بطريقة معينة.

وبشكل تقريبي يربط فرونسوا إيوالد الماهية الخطورة تاريخيا بالفترة ما بين القرن الرابع عشر

الهوامش

1- رابط الحوار:

<http://ses.ens-lyon.fr/articles/sociologie-du-risque-et-crisis-sanitaires-un-eclairage-sur-la-pandemie-du-coronavirus#:~:text=pand%20du%20coronavirus-,Sociologie%20du%20risque%20et%20crises%20sanitaires%20%3A%20un,sur%20la%20pand%20du%20coronavirus&text=La%20pand%20du%20coronavirus%20t%20C3%A9moigne,e-t%20produit%20de%20leur%20d%20C3%A9veloppement>

2 - مختبر VITROME وحدة بحث مختلطة UMR، أنشأت في يناير من سنة 2018، وهي تابعة لجامعة Aix-Marseille، و"معهد البحث للتنمية" IRD، و"الخدمة الصحية للقوات المسلحة" SSA، وهي في شراكة مع "المساعدة العامة لمستشفيات مارسيليا" AP-HM.





جون باتيست كولبير Jean-Baptiste Colbert مرسومًا يُقضي بأن تغطي التأمينات الأضرار العارضة لركوب البحر نتيجة "حوادث البحر" كالعواصف البحرية، دون أن تغطي تلك التأمينات الخسائر والأعطاب المادية الناتجة عن أخطاء المُوَمَّنِينَ أو عن التمردات mutineries التي تحدث أثناء الرحلات البحرية والتي لم يتم اعتبارها حوادث عارضة. يتعلق الأمر إذن بالوقاية من خطر أحداث قد تحدث، لكنها تحدث بشكل نسبي، وغير متوقع، وعشوائي، ويعبر مفهوم الحادث l'accident عن هذه الخاصية العشوائية التي تميز الخطورة. ويعتقد فرونسا إيوالدان القانون الأول المتعلق بحوادث العمل، والذي تم إقراره سنة 1898 بفرنسا، يكرس قانونيا هذا التصور عن الخطورة. وقد أدى التصنيع في القرن التاسع عشر -وبشكل خاص إدخال الآلات البخارية- إلى انفجار في عدد حوادث العمل داخل المصانع، ولتجنب تحديد المسؤولية في هذه الحوادث -وهو الأمر الذي كان من شأنه عرقلة النمو الصناعي- اعتُبر قانون 1898 أن حوادث العمل هي أخطار dangers ملازمة لكل نشاط إنتاجي، وبالتالي لا يمكن تفاديها. ثم بعد ذلك حل مفهوم الخطورة المهنية محل مفهوم الخطأ، وسمح تعويض الضحايا بمعالجة المخاطر المهنية دون إيقاف النشاط المهني. وعلى امتداد القرن العشرين، وفي ظل دولة العناية، صُنِّفَ مزيد من الأحداث على أنها "مخاطر" (أحداث كالمرض، والعجز عن العمل، والبطالة، إلخ)، كما توسع أيضا حقل نشاط التأمينات (التأمين على السرقة،

وعلى حوادث الطريق، وعلى الفيضانات، إلخ).

وأخيرا فإن الوقاية ضد خطورة معينة، والقيام بإجراءات للتحكم فيها، أمر يفترض وجود تقديرات لحجم تفشي الخطر، وحجم الخسائر المتوقعة بسببه. ويقوم تصوُّر التهديد الذي تمثله الخطورة بهذا الشكل على أساس الدراسات التي يقوم بها خبراء، وهي غالبا ما تكون دراسات كمية/ إحصائية تهدف إلى مَوْضَعِ الخطورة objective le risque، ويتحقق ذلك على سبيل المثال بحساب احتمال تردد حادث معين أو تقدير التكلفة المالية التي سيكلفها. إن الخطورة إذن -بوصفها فئة تحليل في العلوم الاجتماعية- تُعْتَبَرُ في كثير من الأحيان إنتاجا اجتماعيا. ونجد الدراسات في سوسيولوجيا الخطورة كثيرة جدا، وتغطي مجالات جد متنوعة، وتهتم بشكل خاص بدراسة السلوكيات الفردية المرتبطة بمواجهة الخطورة، وعلى وجه الخصوص تمثالات الناس حول الخطورة، والسلوكيات التي قد تشكل خطورة، وأيضا الطريقة التي تعمل بها الخطورة على بِنْيَةِ تَجَمُّعٍ معين.

(2) ما الموقع الذي تحتله الخطورة ضمن مجتمعاتنا الحديثة المعاصرة؟

إن السوسيولوجي البريطاني أنتوني غيدنز، (1991) Anthony Giddens (1994)، والذي كثيرا ما أُسْتِنْدُ إلى أعماله، اهتم -في إطار فردي أكثر- بماله علاقة بالخطورة عندما تهدد الأفراد، وبتأثيرها

عليهم في اتخاذهم لقراراتهم اليومية. وبالنسبة لهذا السوسيولوجي تتميز الحداثة بهيمنة "ثقافة الخطورة" culture du risque، ويَقصد بذلك أن مجتمعنا يحفز بلا كلل الأفراد ذوي الاستقلالية الكبيرة على توجيه حياتهم بأنفسهم، وقيادة وجودهم الشخصي حتى فيما يتعلق بحياتهم الصحية، وذلك بأن ينتبهوا لكل ما يمكن أن يمثل ضمن بيئتهم تهديدا لسعادتهم المستقبلية أو فرصة لتحقيق هذه السعادة. وحتى يتمكن الأفراد اليوم من اتخاذ القرارات الجيدة التي تهم مستقبلهم فيما له علاقة بخيارات الاستهلاك، وغط الحياة، إلخ، فإنه تُوَضَّعُ تحت تصرفهم معارف صادرة عن خبرة savoirs experts، وغالبا ما تكون هذه المعارف ذات طابع كمي/ إحصائي. ويتوقف أنتوني غيدنز عند مثال الزواج، والذي لم يعد في أيامنا هذه اختيارا نتحمل مسؤوليته، ولكن ربما يمكن اعتباره بمثابة خطورة un risque بالنظر إلى إحصائيات الطلاق. وعلى سبيل المثال، ففي فرنسا نجد أن 20 بالمئة من الزوجات تنتهي بالطلاق خلال السنوات الخمس الأولى من الزواج حسب ما يذكره المعهد الوطني للإحصاء والدراسات الاقتصادية l'Insee، وهكذا فإن الأفراد يُقِيمُونَ قرار الزواج على ضوء خبرات معينة، ويعيدون تقييمه بحسب الفرص أو العوائق التي تواجههم.

إن هذه الإحالة على المسؤولية الشخصية للفرد في إدارة المخاطر التي تواجهه تتفق مع أعمال ميشيل فوكو Michel Foucault بشأن سيطرة المجتمع على الأجساد؛ فالسلطات



ترجمات : سوسولوجيا الخطورة والأزمات الصحية: أضواء على وباء فيروس كورونا

4 Ulrich Beck (2001) لقد شدد هذا السوسولوجي على واقع أن مخاطر عصرنا الراهن (والتي يدعوها بمخاطر الحداثة الجديدة) هي تهديدات تنفلت من إدراكنا؛ فنحن لا نراها، ولا نسمعها، ولا نحس بها، وهذا الكلام ينطبق على الفيروسات، وعلى التلوث، وعلى الإشعاعات النووية. ويوضح أولريخ بيك أن هذه المخاطر المعاصرة هي غالبا آثار خارجية لأنشطة إنتاجية تُنتج في نفس الوقت منتجات مادية محسوسة ذات قيمة، وأيضا مخاطر غير مرئية وصامتة، وهو ما يعزز انتشارها، وهذه إحدى مفارقات "مجتمع الخطورة" *société du risque* التي تم تسليط الضوء عليها من طرف أولريخ بيك، بفضل التطورات العلمية والتقنية أصبحت المجتمعات أكثر أمانا، لأنها صارت قادرة أكثر فأكثر على التحكم في الأخطار *les dangers*، لكنها أنتجت في نفس الوقت مخاطرة جديدة *nouveaux risques*. وبالنسبة لأولريخ بيك فإن هذه المخاطر غير المحسوسة إلا قليلا يتم بشكل عام إهمالها، لأن مجتمعاتنا تُتَمَنُّ قبل أي شيء الثروة المادية المُنتَجة فوراً. وما يزيد من انتشار هذه المخاطر أيضا عولمة القنوات الاقتصادية، وتكثيف المبادلات الدولية، وتطور وسائل النقل، وهذا

بمسؤوليتهم، وكذا تشجيعهم على استباق الأثر البيئي لسلوكاتهم بناء على المعرفة التي ينتجها الخبراء وذلك حتى يغيروا عاداتهم الاستهلاكية.

في المجتمعات المعاصرة إذن كل شخص مطالب بأن يكون لديه وعي بالمخاطر المُحدقة بنا، وبأن يتحكم في سلوكه وحياته الشخصية، وبأن "يحتل المستقبل" *coloniser le futur* - على حد قول أنتوني غيدنز- وذلك بالاعتماد على المعارف المتوفرة، وخاصة المعطيات الإحصائية. لكن ليس كل الأفراد يمتثلون لهذا المعيار أو لهذا المبدأ المُؤسس لثقافة الخطورة، ويتمثل الهدف من الدراسات السوسولوجية تحديدا في إبراز التنوع الاجتماعي للمواقف في مواجهة الخطورة ومواجهة المستقبل.

(3) هل تغيرت طبيعة الخطورة في المجتمعات الحالية التي هي مجتمعات مُعَوْلَمَةٌ ومتصلة ببعضها البعض أشد الاتصال؟

هناك كاتب آخر لا غنى عنه بخصوص مسألة الخطورة، وهو السوسولوجي الألماني أولريخ بيك

تحاول أكثر فأكثر أن تتحكم في الأجساد عن بُعد، بمعنى عوض استخدام القوة لإجبار الأفراد على تبني السلوكيات المرغوب فيها من طرف السلطات، يتم تحويل هؤلاء الأفراد أنفسهم إلى فاعلين في عملية تنظيم الممارسات الاجتماعية وضبطها وإخضاعها لقواعد. ولهذا نجد المسؤولية الفردية غالبا في قلب حملات الوقاية الصحية، والتي تشدد على أن الفرد مسؤول عن رأسماله الصحي، ووجب عليه حفظه والعمل على ازدهاره بتبني السلوكيات الكفيلة بتحقيق هذا الأمر. وعلى سبيل المثال فإن منظمة الصحة العالمية أطلقت حملة للوقاية من التدخين سنة 2000، وكانت الرسالة الأساسية الموجهة للشباب في هذه الحملة تقول: في سن الخامسة والعشرين سيكون متوسط عمرك المتوقع هو أربعون سنة إذا كنت مدخنا، ويصبح ثمانية وأربعين سنة إذا أقلعت عن التدخين. وكما هو واضح، فإن الأمر يتعلق بإقناع المدخنين بناء على معطيات إحصائية بأن مصلحتهم تقتضي تغيير سلوكهم الآن في اللحظة الحاضرة حتى يقطفوا ثمار هذا التغيير في مستقبل بعيد كما هو الحال في هذا المثال. ونلاحظ الأمر نفسه اليوم في المجال الإيكولوجي، حيث يتم أكثر فأكثر تحسيس المواطنين

الهوامش

3 - Ordonnance de la marine, août 1681 : Livre III, Titre VI « Des assurances ».

4 - Ulrich Beck (1944-2015). Pour une présentation de la sociologie du risque de Beck, voir par exemple : Frédéric Vandenberghe (2001), Introduction à la sociologie (cosmo) politique du risque d'Ulrich Beck. Revue du MAUSS, n° 17, 1, p. 25-39.



الأمر ينطبق على الفيروسات التي تنتشر بشكل سريع في كل بقاع العالم نتيجة تنقل البضائع والأشخاص بشكل أكثر فأكثر سرعة على المستوى العالمي.

المسألة الأخرى ذات الأهمية بالنسبة لأولريخ بيك، والتي صار لها حجم أكبر مع ظهور الأنترنت وتطور وسائل التواصل الاجتماعي، هي ظاهرة خيبة أمل العلم من ذاته؛ فحسب أولريخ بيك لم يتوانى العلم، على امتداد القرنين التاسع عشر والعشرين، عن توجيه شكه المنهجي نحو المعتقدات والخرافات لتفكيكها، لكن في وقت من الأوقات وجه العلم شكه المنهجي نحو ذاته، وهو ما أنتج تعددية على مستوى النظريات العلمية التي كانت نظريات مؤقتة، ومجزأة، ومتناقضة فيما بينها، وتسبب ذلك أيضاً في احتدام الخلافات العلمية. وكان يَطيَّبُ لأولريخ بيك خلال الثمانينيات القول إن: "الحديث مع عالمين موضوع الحقيقة أصبح أمراً محرّجاً، ربما بنفس القدر من الإحراج الناتج عن الحديث عن الإله مع رجل دين"، وينتج عن هذه الخلافات فيما بين العلماء صعوبة تعقب المخاطر المعاصرة وكذا إدارتها.

لقد اشتغلت على هذه المسألة إبان الأزمة الصحية لجنون البقر، وكانت هناك خلافات بخصوص مدى خطورة مرض جنون البقر وإمكانية انتقاله إلى الإنسان، وكل هذا تم تضخيمه بشكل كبير من طرف وسائل الإعلام. حينها لم يكن المرض قد تسبب في وجود أي ضحايا من البشر، لكن عالم ميكروبات بريطانيا، وهو ريتشارد لايسي Richard Lacey، تنبأ بأن مئات الآلاف من الناس سيموتون

كل سنة جراء هذا المرض نتيجة طول فترة حضائه. وفي فرنسا كانت هناك أيضاً خلافات حول وباء فيروس أنفلونزا الخنازير سنة 2009، حيث أخذت السلطات العمومية على محمل الجد التهديد الذي يمثله الفيروس، في حين أن متخصصين أكدوا أنه فيروس غير خطير، كما قال بذلك الطبيب والنائب البرلماني برنارد دوبري Bernard Debré، الذي اعتبر الفيروس مجرد أنفلونزا بسيطة. وبالطبع فإن مثل هذه الخلافات اليوم حول وجود خطورة ما ومدى فداحتها أصبح نطاقها أكثر اتساعاً بسبب وسائل التواصل الاجتماعي الراهنة.

4) في أي فئة يقع خطر أو خطورة وباء فيروس كورونا الذي نواجهه؟ هل هذا الوباء تعبير نموذجي عن "مجتمع الخطورة" بالمعنى الذي يستخدم به أولريخ بيك هذا المفهوم؟

في حالة فيروس كورونا الحالي أو أنفلونزا الخنازير من الواضح أننا نتحرك داخل مجال الخطورة، فهذان الوباءان تم استباقهما على عكس ما حدث مع الأنفلونزا الإسبانية. وعندما وصلت أنفلونزا الخنازير إلى فرنسا في خريف 2009 كان الوباء معروفاً قبل ذلك منذ ربيع تلك السنة، إذ كان موجوداً حينها في المكسيك، فتم الاستعداد له في فرنسا طيلة شهور. كما أن المنظمة العالمية للصحة أجرت سيناريوهات معينة، وأنتجت تقديرات إحصائية بخصوص

الوباء بالاعتماد على نماذج معينة. وهكذا فإن فيروس كورونا ينتمي بشكل واضح إلى فئة المخاطر اللامرئية التي هي تعبير عن "مجتمع الخطورة"، هذا على الرغم من أن أولريخ بيك يهتم خاصة بالمخاطر التكنولوجية الكبرى الكيميائية أو الإشعاعية أكثر من اهتمامه بالمخاطر ذات الصلة بأمراض معدية. ولأن عدداً من المصابين بفيروس كورونا، وخاصة الأطفال، يمكن ألا يُظهِروا أية أعراض، فقد كان ذلك إحدى الأسباب التي أوجبت كإجراء أول إغلاق المدارس لحماية الراشدين أو الأشخاص المسنين الذين يمكن أن يكون للأطفال اتصال بهم، ولأمرئية الخطورة هنا عكّدت عملية تدبير الوباء والتعامل معه.

شيء آخر أيضاً وهو أن الخطورة التي يمثلها فيروس كورونا هي جزء من تأثيرات نمط تطور معاصر، فكما سبق وقلت يُعزَى الانتشار السريع لفيروس كورونا إلى كثافة تدفق السلع والأشخاص عبر العالم. وخلال سنتي 1917 و1918 كانت الأنفلونزا الإسبانية (وهي شبيهة بفيروس كورونا) قد استغرقت سنتين أو ثلاث سنوات حتى تنتشر عبر العالم، لكن حالياً كانت بضعة أسابيع فقط كافية حتى ينتشر فيروس كورونا في كل مكان في العالم أو يكاد.

5) ما هي الصعوبات التي يطرحها تدبير الأزمات الصحية الشبيهة بفيروس كورونا؟

بالنسبة لي، فإن ما يميز الأزمات



ترجمات : سوسولوجيا الخطورة والأزمات الصحية: أضواء على وباء فيروس كورونا

عن فيروسات الأنفلونزا⁸، هذا على الرغم من عدم توفرنا على لقاح وكَوْنِ المرض معقدا بعض الشيء. وهناك لايقين كبير أيضا يتعلق بعلاج المرض، وهو الأمر الذي يبدو واضحا بالنظر إلى الخلاف العلمي بخصوص فعالية دواء الكلوروكين إن إحدى اللأيقينيات التي تهمني على وجه الخصوص في هذه الأزمات هو اللأيقين المرتبط بالعامل البشري، والذي لا تنتبه له غالبا السلطات العمومية مع أنه مسألة حاسمة، فالخطط التي تضعها الحكومات لتدبير الأزمة تفتقر أن الناس يتعاونون على إنجاز إجراءاتها، لكن الواقع أن رد فعل الناس لا يكون دائما على مستوى التطلعات. وعلى سبيل المثال، ففي مطلع سنة 2000 قامت السلطات الأمريكية بوضع بروتوكولات من شأنها مواجهة هجوم بيو-إرهابي bioterroriste مُفْتَرَضًا باستخدام فيروس الفاريولا variola، حيث سيتوجب على السكان الاتجاه مباشرة إلى مراكز للتلقيح ضد هذا الفيروس، وتم التشديد على ضرورة عدم ذهابهم للمدارس لجلب

اللأيقينيات الكبرى المتعلقة بالمشاكل الصحية المستجدة، كما ربطها بالتشكيك الذي يطال ممارسات معينة في سيرورات الخبرة العلمية.⁵

كان هناك باحث آخر ممن كتبوا في عدد المجلة الذي أتيت على ذكره، وهو متخصص في تدبير الأزمات، إنه باتريك لاغاديك⁶ Patrick Lagadec الذي اشتغل إبان تلك الفترة في مختبر الاقتصاد التابع لمدرسة البوليتكنيك. لقد أوضح هذا الباحث أنه -بشكل عام- تكون خطة التعامل مع الأزمة هي نفسها أول ضحية للأزمة⁷، ففي مواجهة أزمة جديدة لا نعرف عنها شيئا لا تنجح الخطة غالبا في تحقيق الغرض منها بسبب أخطاء الاستباق، والتقدير السيء للمخاطر. واليوم نحن لا نعلم حقا مدى خطورة وباء فيروس كورونا، فالأرقام المعلنة تدق جرس الإنذار، إذ أصاب الفيروس عشرات الآلاف، وأودى بحياة بضعة آلاف. لكن عندما نتأمل إحصاءات الوفيات بسبب فيروس كورونا نلاحظ أن الأمر لا يختلف كثيرا مقارنة بإحصاءات الوفيات الناتجة

الصحية هو اللأيقين؛ لايقينٌ بخصوص حجم التهديد، وفعالية وسائل معالجته، وكذا النتائج المترتبة عنه. هذا على الرغم من أن هذه الأزمات تظهر بشكل منتظم، ونحاول الوقاية منها بتفعيل إجراءات العناية الصحية، وتطوير الخبرة العلمية. وفي عدد لمجلة "مشكلات سياسية واجتماعية" كان موضوعه تدبير الأزمات الصحية (بيريتي فاتيل، 2010) تناولتُ بالتحليل أعمال باحث في السياسة، هو كلود جيلبرت Claude Gilbert، كان قد اشتغل على مفهوم الأزمة في مجال الصحة العمومية، وأشار هذا الباحث إلى الفارق الذي يمكن أن يكون موجودا بين الواقع الفعلي للأزمة الصحية وبين تمثل هذه الأزمة من طرف الحس المشترك، وكذا مبالغة الآراء في حدة رد الفعل أو مبالغتها في برودته. وعلى ذكر الواقع الفعلي للأزمة، فقد نصادف أزمات بدون ضحايا أو أزمات غالبا ما تستمر طويلا على نسق واحد كنتيجة لسعيها للوقاية منها. وإضافة لذلك ربط كلود جيلبرت الأزمات بفشل الخبرة العلمية جراء

الهوامش

5 - في مقال يعود لسنة 2011 بعنوان: "نحو تدبير سياسي للأزمات الصحية"، يوضح أيضا كلود جيلبرت أن إدارة أزمات الصحة العامة في الحالات المستعجلة أصبح اليوم شأنًا سياسيًا أكثر منه علميًا أو تقنيًا، لأن المشكلات الصحية بالغة الحساسية بالنسبة للرأي العام، وتنطوي على مخاطر سياسية كبيرة، وقد أمكننا أن نلاحظ ذلك في قضية الدم الملوث أو فضيحة الأمانت scandale de l'amiante. وفي التدبير السياسي للأزمات الصحية نجد أن العلاقات بين المقررين السياسيين، والخبراء، والفاعلين الاقتصاديين، هي علاقات ضرورية.

6 - باتريك لاغاديك هو مدير البحث الشرفي في مدرسة البوليتكنيك، وهو متخصص في إدارة المخاطر وإدارة الأزمات.

7 - في فرنسا نجد خططًا متعلقة بإجراءات الوقاية خلال الأزمات الكبرى، وفي المجال الصحي توجد مثلًا خطة باسم: "الخطة الوطنية لوباء الأنفلونزا"

8 - من الصعب إلى حد الآن أن نضع تقديرا لنسب الوفيات جراء وباء فيروس كورونا كما أشار إلى ذلك المعهد الوطني للإحصاء والدراسات الاقتصادية (فرنسا)، وذلك في منشور له على مدونته في الأنترنت بداية شهر أبريل سنة 2020. انظر:

Bayet A., Le Minez S. et Roux V., Mourir de la grippe ou du coronavirus : faire parler les chiffres de décès publiés par l'Insee... avec discernement. Blog de l'Insee, 7 avril 2020



الوقاية؟

حالة اللأيقين عبر إنتاج المعارف يسمح بالاندماج داخل نظام الوقاية الذي هو نمط تدبير أكثر كلاسيكية. وينطبق مبدأ الوقاية على المخاطر المعروفة كالتدخين، ووباء الأنفلونزا، والجريمة، إلخ (مواتي Moatti وبيريتيفاتيل، 2009)، فالوقاية تتمثل إذن في اتخاذ إجراءات بهدف التقليل من احتمال ظهور خطورة معينة، والتقليل من انعكاساتها في حال ظهورها، وكمثال على ذلك إنتاج لقاح لمواجهة الأنفلونزا.

7 ألا ترى أن الإجراءات المتخذة لتوقي خطورة معينة يمكن أن تؤدي إلى ظهور مخاطر أخرى؟

إن ظهور مخاطر تكميلية complémentaires، أو مخاطر منافسة concurrents، أو مخاطر بديلة substituables، كل ذلك يعبر فعليا عن صعوبة تدبير الخطورة، فبالحد من خطورة معينة نفتح المجال أمام مخاطر أخرى قد تكون اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو صحية، وفي هذا الإطار يمكننا تقديم مثال نموذجي من مجال الصحة يتعلق بمعالجة خطورة الانتكاسة rechute أو تكرار الإصابة بسرطان الثدي بعد الإصابة به أول مرة، فلتقليل هذه الخطورة تتلقى النساء علاجاً بالهرمونات لمدة خمس سنوات، لكن لأن هذا العلاج يحد ذاته مسرطن تقول التقديرات أنه بعد انقضاء هذه المدة تكون خطورة الإصابة بسرطان آخر أعلى من القدر الذي سيتم به تقليل خطورة الإصابة بسرطان الثدي مرة أخرى. وافترض

إن مبدأ الوقاية صادر عن قانون البيئة، وقد تعرض لتشويه كبير. وفي صياغته الأصلية كما ظهرت في النصوص القانونية الأولى نجد أن هذا المبدأ لا ينبغي أن يُفَعَلَ إلا في حالة مواجهة تهديد معين واسع النطاق يمكن أن يتسبب في خسائر فادحة لا يمكن التحكم فيها على المستوى البيئي، بحيث يتم ذلك بتكلفة اقتصادية مقبولة⁹. لكن منذ حوالي 15 سنة شاع استخدام هذا المفهوم في لغة الخطاب اليومي، بصورة عشوائية وبدون ضابط، غالباً لتحميل مسؤولية خطورة معينة لجهة ما، وشاع استخدامه أيضاً في جدالات نجد أطرافها جميعاً يعلنون تمسكهم بمبدأ الوقاية، وعلى سبيل المثال فعند ظهور ووباء أنفلونزا الخنازير كان الخبراء من جهة والمعارضون للقاح من جهة أخرى يطرحون جميعاً سيناريوهات استباقية كارثية على المستوى الصحي. وهكذا فما استفدناه كدرس أنه في أي مجال يجب توقع الأسوأ في ظل حالة اللأيقين، ويجب أيضاً الأخذ بعين الاعتبار أن مبدأ الوقاية لا ينبغي تطبيقه على كل قضايا الصحة الفردية، وأنه مبدأ يفترض وجود ضمانات تحوّل دون أن تكون الإجراءات المتخذة مكلفة جداً.

كذلك فإن من المفترض أن يكون مبدأ الوقاية إجراء مؤقتاً، إذ يستمر تفعيله ما دمنا لا نعرف شيئاً عن الخطورة القائمة إلى أن تسمح التطورات العلمية بالتوفر على المعارف الكافية بخصوص وجود الخطورة ومدى فداحتها. وإن الخروج من

أبنائهم، لكن كشفت دراسة استقصائية أنه في حالة وقوع الهجوم فعلاً فإن ثلاثة أرباع الأمريكيين لن يتبعوا هذه التوجيهات، إما بذهابهم فوراً إلى المدارس لإحضار أبنائهم أو بالامتناع عن تلقي اللقاح ضد فيروس فاريولا بسبب حذرهم من هذا اللقاح. وحين ظهور ووباء أنفلونزا الخنازير في فرنسا لم تستيق السلطات إطلاقاً حالة التعبئة الضعيفة التي كان عليها الفرنسيون بخصوص أخذ اللقاح، وفي النهاية فقط 8 بالمائة من الفرنسيين من توجهوا للمراكز الصحية لأجل التلقيح، وهكذا فشلت خطة الوقاية فشلاً ذريعاً، وذلك ببساطة لأن الناس لم يتصرفوا على النحو المتوقع. واليوم فإن استراتيجية الحجر الصحي المعممة على الساكنة منذ أشهر تعطيني انطباعاً بأنها استراتيجية مُرتجَلة، فهل تساءلنا بخصوص ما ستؤول إليه الأمور بالنسبة للناس الذين يغلقون على أنفسهم في منازلهم، وتداعيات هذا الوضع اقتصادياً وصحياً واجتماعياً؟ بالنسبة لي فإن إحدى الأبعاد الأساسية للأزمات هو اللأيقين الذي يرتبط بمستويات عديدة فيها، وبشكل خاص اللأيقين المتعلق بالطريقة التي سيتصرف الناس وفقها، فهل استجابة الناس للأزمة ستفسد عملية تدبيرها؟ إنه سؤال كلاسيكي في إدارة المخاطر.

6 عندما نجد أنفسنا في حالة لايقين بخصوص خطورة معينة وبخصوص مدى فداحتها، ألا يجدر بالحكومات أن تعمل بمبدأ



ترجمات : سوسولوجيا الخطورة والأزمات الصحية: أضواء على وباء فيروس كورونا

الضعف البنيوية لدى المجتمعات، فالإيوم نجد أن الصعوبات التي تواجهها المستشفيات في إدارتها لوباء كوفيد-19 في عدد من الدول الأوروبية، منها فرنسا، هي صعوبات ناتجة -كما هو واضح- عن عدم الاستثمار العمومي في هذا القطاع. وقد كشفت هذه الصعوبات أيضا عن تبعيتها الكبيرة للخارج (خاصة للصين وللهند) فيما يخص عددا من المنتوجات الاستراتيجية والحيوية خلال هذه الأزمة، كالأقنعة الواقية، وأجهزة التنفس الاصطناعي، والأدوية.

غير ذلك فإن الأزمات تُعتبر أيضا فرصا سياسية واقتصادية واجتماعية، فقد تمثل فرصة لتغيير المجتمع لأنها تتيح إمكانية لاتخاذ قرارات لم يكن ليكون ممكنا اتخاذها في ظروف أخرى، ففي باريس إبان القرن 19، ونتيجة تفشي وباء الكوليرا، تم إعادة النظر في شبكات الصرف الصحي بإعادة تهيئتها، واستغلت السلطات العامة ذلك لتغيير الهندسة المعمارية للعاصمة الفرنسية. أما بخصوص أزمة فيروس كورونا، فنجد عددا من الأصوات تتنبأ بحدوث تغيرات اجتماعية جذرية من قبيل نهاية العولمة، ومع أن ذلك يظل محل نظر، لكن يمكن أن تحدث أشياء أقل إبهارا، كتطور العمل عن بعد أو الرغبة

وبتعريض الآخرين للخطر نتيجة إدارتهم لأزمة فيروس كورونا. أما الخطورة الاقتصادية فلا شك أنها كبيرة جدا، وتحاول السلطات العامة الحد منها عبر إجراءات دعم لفائدة المقاولات، وإقرار نظام للبطالة الجزئية chômage partiel.

إن الأزمات الصحية هي إذن في نفس الوقت أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية، لأن لها انعكاسات على السياسة وعلى الاقتصاد وعلى المجتمع، ولكن أيضا لأن من أسبابها ما هو مرتبط بالسياسة وبالاقتصاد وبالمجتمع. وعلى سبيل المثال فإن السبب في أزمة جنون البقر بالمملكة المتحدة هو سياسة رفع القيود التي انتهجتها حكومة مارغريت تاتشر Margaret Thatcher، فنتج عن ذلك انخفاض صرامة المعايير المطبقة على أنشطة التخلص من جثث الحيوانات، وكذلك مراقبة بيطرية أقل لممارسات مُربي الماشية، ومراقبة أقل لصادرات اللحوم، وقد سهل كل ذلك عملية انتشار المرض. وعلى هذا النحو أيضا يمكننا القول إن تأثيرات موجة الحر لسنة 2003 ناتجة عن نموذج مجتمعي معين يُبقي الأشخاص المسنين في فضاءات معينة أطول مدة ممكنة. ويمكن للأزمات أيضا أن تكشف عن جوانب

الخطورة البديلة هو أيضا ما يدفع الآباء إلى الامتناع عن إعطاء أبنائهم بعض اللقاحات، وفي هذه الحالة فإن التأثيرات الثانوية للقاح -حتى وإن كانت نادرة جدا- فإنها تُعتبر من طرف الآباء خطورة ذات تأثير أكبر على الصحة مقارنة بخطورة الإصابة بالمرض الذي كان يهدف اللقاح لتوفير الحماية منه أو خطورة التعرض لتعقيدات صحية مرتبطة بهذا المرض.

إن إدارة الأزمة الصحية الحالية عبر إقرار الحجر الصحي للسكان، وتوقيف العديد من الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية، يؤدي إلى نشأة مخاطر جديدة، أو يفاقم أخرى موجودة، وهي مخاطر نكتشفها تدريجيا، ويجب الوقاية منها ومعالجتها هي الأخرى، وعلى سبيل المثال اضطر وزير الداخلية (الفرنسي) لاتخاذ إجراءات عاجلة لمنع العنف الزوجي والمنزلي، وهو العنف الذي يزدهر أكثر في بيئة الحجر الصحي (ومن هذه الإجراءات استقبال ضحايا العنف المذكور في الصيدليات، وإمكانية إرسال رسالة نصية تنبيهية للإشارة إلى وجود خطر). وعلى المستوى السياسي تجد السلطة التنفيذية نفسها أمام خطورة ملاحقات قضائية ضد أعضاء من الحكومة متهمين بعدم التأهب،

الهوامش

9 - جاء في إعلان ريو (Rio) (1992): "في حالة وجود خطورة منبئة بحدوث خسائر فادحة أو لا يمكن التحكم فيها، فإنه لا ينبغي استخدام غياب اليقين العلمي المطلق كذريعة لتأجيل تبني إجراءات فعلية بهدف تجنب تدهور البيئة". وجاء أيضا في قانون بارنييه Loi Barnier بتاريخ 2 فبراير 1995، والمتعلق بتعزيز حماية البيئة: "(...) بحسب مبدأ الوقاية (بعد الأخذ بعين الاعتبار المعارف العلمية والتقنية الراهنة) لا ينبغي أن يؤخر غياب اليقينيات تبني إجراءات فعلية ومناسبة بهدف الوقاية من خطورة تحمل خسائر فادحة ولا يمكن التحكم فيها على مستوى البيئة، وذلك بتكلفة اقتصادية مقبولة".



في تحقيق استقلال وطني على مستوى إنتاج المنتوجات المتعلقة بالاحتياجات الأساسية في حالة وجود وباء.

8) لقد اشتغلتم على تمثلات الخطورة وتنوع هذه التمثلات بحسب الفاعلين الاجتماعيين، ونجد على وجه الخصوص أن المتخصصين وغير المتخصصين لديهم غالباً تمثل مختلف عن الخطورة، الشيء الذي يمكن أن يدفع الخبراء والسلطات إلى إدانة المخاوف غير العقلانية للمواطنين العاديين، أو إدانة عدد من المواقف غير المسؤولة وسلوكات المقاومة اتجاه التعليمات الوقائية، فكيف تحللون هذه الاختلافات على مستوى تمثل الخطورة؟

إذا تكلمنا أولاً عن التمثلات العامة عن الخطورة سنجد أن التحليل السوسيولوجي يوضح لنا أن عامة الناس، ممن لا يتخذون القرارات الجيدة حسب الخبراء، ويشككون في مصداقية الخبرة العلمية، ليسوا بالضرورة غير مسؤولين وغير عقلانيين، فهم غالباً ما يُنتجون تمثلات معينة بالاستناد إلى تمثلات سابقة. وفي علاقة بكوفيد-19، سنجد أن الأفراد -في ظل غياب يقينيات علمية- يحاولون

الرجوع إلى تجارب سابقة كالأنفلونزا متسائلين: هل كوفيد-19 أكثر أم أقل خطراً من الأنفلونزا؟ وهل هو أكثر أم أقل منها قدرة على العدوى؟

إن مقاومة العامة للتعليمات الصحية قد يكون اختياراً مُفكِّراً فيه وعقلانياً تماماً من وجهة نظرهم. فلنأخذ مثال الاعتراض على التلقيح، وهو اعتراض قوي في فرنسا مقارنة بدول أخرى¹⁰، سنجد أنه منذ حوالي عَقْدٍ من الزمن اهتمت العلوم الاجتماعية بمفهوم التردد اللقاحي *hésitation vaccinale*، وقد أوضحت الدراسات في هذا الباب أن أقلية ضئيلة فقط من الساكنة هي التي رفضت التلقيح جملة وتفصيلاً، وهذه الفئة غالباً ما تكون أكثر قابلية للتأثر بالمعلومات المنشورة على وسائل التواصل الاجتماعي وبنظريات المؤامرة، لكن نسبة مهمة من الساكنة (تتراوح بين 20 و40 بالمائة حسب الدراسات) لا تشكك بمبدأ التلقيح نفسه، ولكن لديها مخاوف اتجاه عدد من اللقاحات، فهؤلاء يقررون تلقيح أبنائهم أو يمتنعون عن ذلك بناء على المزايأ أو المساوئ التي يتصورون وجودها في هذا اللقاح أو ذاك. ونجد أن النموذج النوعي الذي يمثل هؤلاء الأشخاص (كمواصفات) يتطابق مع أفراد حاصلين على شواهد عليا، وذوي اضطلاع واسع، وجد مهتمين بالنواحي الصحية لأبنائهم، فالأمر إذن يتعلق بأشخاص متشبعين تماماً بـ "ثقافة الخطورة" *culturedurisque* كما يُنظر لها أنتوني غيدنز، ويتخذون بأنفسهم القرار المتعلق بصحتهم، كما أنهم يقظون جداً عندما يتعلق الأمر بمخاطر تهددهم،

إلخ، فهؤلاء الأشخاص لا يمكن وصفهم إطلاقاً بأنهم غير عقلانيين، بل بالعكس هم يحاولون اتخاذ أفضل القرارات فيما يتعلق بصحة أبنائهم.

إن الخبراء أيضاً قد يَحْدُثُ أن يخطؤوا أو أن يستعملوا مناهج عليها خلاف، وقد اشتغل الباحث البريطاني في سوسيولوجيا العلوم برايان وين Brian Wynne على دراسة حدود الخبرة العلمية، والاختلافات في وجهات النظر بين العامة وبين الخبراء، وقد كان موضوع دراسته علماء إنجليز تم إرسالهم سنة 1986 من طرف الحكومة إلى شمال إنجلترا لتقدير حجم المخاطر بخصوص تلوث لحوم الأغنام جراء السحابة الإشعاعية لتشيرنوبيل. قام هؤلاء الخبراء بوضع الأغنام داخل حظائر في مناطق متعددة، حيث كانت الأراضي التي يُفترض تلوثها واقعةً في أماكن مختلفة، لكن فشلت التجربة لأن العلماء/الخبراء لم يَقْطُؤوا إلى أن بعض الأراضي كان يغمرها الطين وأخرى لا، وأن بعض الأغنام التي كانت مجتمعة في منطقة معينة لم تكن تحب البقاء داخل الحظيرة فقفزت الحاجز، إلخ، وهو الأمر الذي كان يَعْلَمُهُ تماماً مَرَبُّو المواشي. لقد أخطأ الخبراء لأنهم طبقوا مناهجهم الكونية والمعيارية دون الأخذ بعين الاعتبار المعارف العملية المحلية لِمُرَبِّي المواشي. وعلى سبيل الاختصار، فلدينا من جهة خبرة علمية مُنتَفِدة بشدة، ومن جهة أخرى معرفة عامة أقل سطحية أو غباء مما يتم تصويره، وفي عدد من المجالات يمكن لِعَوَامِّ مضطربين ويقظين أن يكتسبوا خبرة مضادة *contre-expertise*، وأن يلعبوا



ترجمات : سوسولوجيا الخطورة والأزمات الصحية: أضواء على وباء فيروس كورونا

دور مُطْلَقِي جرس الإنذار.

9) كيف يمكن أن نفسر واقع أن الرسائل الوقائية بخصوص ما هو صحي غالبا ما تكون لها فعالية محدودة؟

تميل الخبرات العلمية على مستوى ما هو صحي إلى إهمال البيئة الاجتماعية والثقافية للأفراد، وبالتالي فالرسائل الوقائية المتأتية من هذه الخبرات ليس لديها سوبفرصة ضئيلة لتكون رسائل فعالة. وعلى سبيل المثال فقد قُمتُ - اعتمادا بشكل خاص على أعمال برونو لاتور (1995) (Bruno Latour) - بدراسة تأثيرات هيمنة "الباراديغم الوبائي" على الطريقة التي يتم بها تمثُّل السلوكيات ذات الخطورة، وهيمنة هذا الباراديغم أيضا على مستوى تحديد السياسات الصحية الموضوعية للوقاية من المخاطر (بيريتي فاتيل، 2004). إن علم الأوبئة يركز على البحث في "عوامل الخطورة" الفردية وعلاقتها الإحصائية بمشكلة صحية ما، وكمثال على ذلك العلاقة بين التدخين وسرطان الرئة. وهذا النهج العلمي، وبشكل خاص نموذج السببي متعدد العوامل، انتشر على نطاق واسع

في تخصصات علمية عديدة، وانتشر أيضا خارج الحقل العلمي، بل إنشركة فيليب موريس Philip Morris (شركة تبغ) اعتمدت على دراسات وبائية خلال سنوات التسعينيات لإضفاء طابع النسبية على مخاطر التدخين السلبي tabagisme passif! والواقع أن الباراديغم الوبائي يطرح عددا من المشاكل المنهجية، ويفرز نتائج تفتقر بشكل عام للصلابة، كما أنه يميل بشكل خاص إلى توقع السلوكيات ذات الخطورة انطلاقا من العلاقات السببية البيولوجية وذلك على حساب فهم الظواهر والسلوكيات الإنسانية، وبالتالي فهو باراديغم يميل إلى إضفاء الطابع البيولوجي على سلوكيات تدرج في الواقع ضمن سياق اجتماعي أو ثقافي، وفي المقابل فإن أعمال السوسولوجيين توضح أن السلوكيات ذات الخطورة لها دلالة معينة بالنسبة للأفراد في علاقتها بمعتقدات، وبطقوس، وبال حاجة إلى إثبات الذات، وتأكيد الهوية، وتحقيق الاندماج الاجتماعي، إلخ.

لقد اشتغلت على التدخين كثيرا، وبشكل خاص ممارسات التدخين لدى الساكنة المحرومة، ومقاومة هذه الأخيرة لسياسات الوقاية (بيريتي فاتيل، 2012)، ويمكن فهم مواقف هذه الساكنة

10) ألا تجعل هذه المواقف عملية الوقاية من الخطورة الصحية عملية معقدة خلال أزمة كورونا؟

ما ينبغي أن نعرفه جيدا بخصوص

الهوامش

10 - غالبا ما يتم تصوير الحركة لمعارضة للتلقيح على أنها في حد ذاتها مرض مُعدٍ كما نرى في الصفحة الرئيسية لجريدة Libération سنة 2017 على الرابط التالي:

https://www.liberation.fr/direct/element/a-retrouver-dans-liberation-ce-mercredi-12-juillet_67521.

11 - Voir : Richard Hoggart (1970), La culture du pauvre. Étude sur le style de vie des classes populaires en Angleterre. Editions de Minuit, coll. Le sens commun.



والغذائية، إلخ) ذات خاصية ديمقراطية، لأنه لا أحد يفلت منها، على عكس مخاطر أخرى¹² نجدها -بشكل عام- متميزة اجتماعياً *socialément différenciés*. وهناك تقليد على مستوى الأعمال الأنجلو-سكسونية يسعى إلى إثبات أن الاختلافات الاجتماعية المتعلقة بتمثل الخطورة هي ببساطة تعبير عن تمايز اجتماعي يرتبط بمدى التعرض للخطورة، وهكذا نجد غالباً أن الأشخاص الأقل حظاً ممن يعيشون أوضاعاً اجتماعية سيئة لديهم حساسية أكبر إزاء بعض المخاطر، لأنهم الأكثر تعرضاً لها بحكم الواقع.

وهناك اتجاه بحثي تشكل خلال السبعينيات، هو باراديغم علم النفس القياسي، صمّم علماء اقتصاد وعلماء نفس سلوكيين، وقد اهتم بدراسة تمثيلات العامة من الناس عن الخطورة وكذا تمايز هذه التمثيلات اجتماعياً. وعمل بول سلوفيتش Paul Slovic، أحد الكتاب الأساسيين المعبرين عن هذا الاتجاه، هو وزملاؤه على وضع قائمة تضم كل أبعاد الخطورة التي يأخذها الأفراد بعين الاعتبار، مع تكميم *quantification* كل هذه المعطيات، وكان الهدف هو تقييم الخطورة وتبيين مدى مقبوليتها *son acceptabilité* بعيداً عن مدى انتشارها وفداحتها، بمعنى هل يتعلق الأمر بخطورة مألوفة أم جديدة؟ بخطورة مختارة أم مفروضة؟ بخطورة عادلة أم غير عادلة *juste ou injuste*؟ بخطورة يمكن أن تؤدي إلى وفاة عدد كبير من الأشخاص دفعة واحدة أم بخطورة تفعّل فعلها بشكل كئوم؟ إلخ،

المشروعة، أو السياقة بسرعات عالية، إلخ، وفي المنشورات البيو-طبية (المتعلقة بالتدخين مثلاً) يتم التركيز أكثر على إدمان المدخنين وبيان الأسباب الدافعة لهم للتوقف عن التدخين، وفي المقابل هناك اهتمام أقل بمسألة اللذة التي يُتيحها التدخين للمدخن مع أنها إحدى أهم الأسباب الدافعة إلى التدخين.

فإذ غالباً ما يواجه الأفراد مخاطر مُتأففةً للخطورة الصحية، واليوم هناك العديد من الأشخاص مستعدون لتعرض أنفسهم لخطورة الإصابة بفيروس كورونا بعدم الخضوع لإجراءات الحجر الصحي، لأنهم في مواجهة مخاطر أخرى مُتأففةً تمارس عليهم ضغطاً قوياً وفورياً؛ فهم معرضون لفقدان عملهم ومواردهم المالية، وعدم النجاح في قيادة مشاريعهم بشكل جيد، كما أنهم يخشون الوحدة، إلخ. إن الخطورة الصحية التي تسعى السلطات إلى تدبيرها لا تمثل بالضرورة أولوية للجميع، فالكثير من الأشخاص يخشون أكثر الانعكاسات السلبية لهذا التدبير على أُمّاط وشروط حياتهم.

11) هل يمكن القول إن الأزمة الصحية الناتجة عن فيروس كورونا كانت كاشفة لاختلالات اجتماعية، وبشكل خاص التفاوتات الاجتماعية في مجتمعنا في مواجهة خطورة هذا الفيروس؟

لقد ذكر أولريخ بيك أن المخاطر "الجديدة" (الصناعية، والإيكولوجية،

هذه الأزمة الصحية أن الأفراد يواجهون مخاطر منافسة *risques concurrents*، وهذه المخاطر المنافسة عنصر أساسي لفهم المواقف المُشكّلة إزاء عدد من المخاطر الصحية، وهناك عدد من الدراسات تسمح لنا بإعطاء المثل على ذلك. وهكذا سنجد أن من ضمن ما اهتمت به الدراسات المتعلقة بالتدخين في فرنسا أو في المملكة المتحدة طبيعة الدوافع التي تحفز الأمهات العازبات على التدخين، في حين أن مواردهن المالية ضعيفة إلى أقصى حد، والواقع أنهن يعانين يومياً من توتر فظيع، وصرّحن للباحثين بأن التدخين هو ما جعلهن يصمدن أمام هذا التوتر. وهكذا فإنهن يجدن أنفسهن بين خطورتين متنافستين: تتمثل الخطورة الأولى في الاكتئاب الفوري الذي سيشعرن به هنا والآن في حال توقفن عن التدخين، وتتمثل الخطورة الثانية في أضرار التدخين على صحتهن بعد بضعة عقود، وفي النهاية تختار هؤلاء الأمهات الاستمرار في التدخين لأنه يرتبط بحاجة لديهن تتطلب الإشباع الفوري. على هذا الغرار، وإبان ظهور وباء فيروس نقص المناعة البشرية، لوحظ أن عدداً كبيراً من المراهقين كانوا يمتنعون عن استعمال العازل الطبي، والسبب أن خطورة الإصابة بمرض مُعدّ جنسياً كانت بالنسبة لهم أقل أهمية من خطورة مُتأففةً على المدى القصير، والمتمثلة في عدم حصولهم على فرصة لإقامة علاقة جنسية في حال بادروا بتقديم عازل طبي لشريك جنسي مُحتمل. لقد سبق أن اشتغلت على السلوكيات ذات الخطورة في مجال الصحة العامة، سواء كانت تدخيناً، أو إدماناً للكحول، أو تعاطياً للمخدرات غير



ترجمات : سوسيولوجيا الخطورة والأزمات الصحية: أضواء على وباء فيروس كورونا

وقد تبين بشكل خاص أن الشعور بالقدرة على التحكم فردياً في خطورة معينة أو فقدان هذه القدرة هو أمر يتوقف على الموارد المادية والثقافية للأشخاص. كذلك أشارت الأنثروبولوجية البريطانية ماري دوغلاس (1921- Mary Douglas) في أعمالها إلى أهمية الموارد في خلق اللامساواة الاجتماعية في التعرض للخطورة، وتوقفت عند التمييز بين الخطورة المفروضة والخطورة المختارة، وبحسب الباحثة فإن بمقدور الأغنياء اختيار طبيعة ما يتعرضون له، في حين أن الفقراء لا يختارون العيش في مكان ملوث، حيث الجريمة حاضرة

بقوة، وحيث المساكن ضيقة، إلخ؛ إن الفقراء بشكل عام يتحملون وطأة المخاطر. وخلال الأزمات المماثلة للأزمة التي نعيشها فإن الأشخاص الأكثر فقراً وهشاشة وعُزلة هم فعلياً الأكثر عرضة للخطورة، والأكثر شعوراً بالضعف اتجاهها¹³.

الهوامش

- 12 - وبشكل خاص المخاطر "القديمة" التي نشأت بنشوء المجتمع الصناعي (البطالة، الحوادث، الشبخوخة...)، وهي مخاطر ملموسة، ويمكن التنبؤ بها، وقابلة ليتم التأمين عليها.
- 13 - يبدو هذا الأمر مؤكداً في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث الإحصاءات الأولى المتاحة تشير إلى أن الساكنة الأفرو-أمريكية هي الأكثر تمثيلاً للوفيات وللأشخاص الذين أصيبوا بالفيروس، وبالتالي تم إلحاقهم بالمستشفى جراء وباء كوفيد-19. إن المعانات الشديدة لهذه الساكنة من الهشاشة، ومن المرض، بسبب المهن التي تتهنها، والتفاوتات على المستوى الصحي، كل ذلك يمكن أن يفسر هذا الفارق في نسب الوفيات والإصابات. انظر:

المراجع البيبليوغرافية:

- Beck U. (2001), La société du risque, Sur la voie d'une autre modernité (trad. de l'allemand par Laure Bernardi, préface de Bruno Latour). Paris, Aubier. Première édition : Risikogesellschaft. AufdemWeg in eineandere Moderne (1986).
- Ewald F. (1996), Histoire de l'État-providence. Paris, Grasset et Fasquelle/Le Livre de Poche.
- Giddens A. (1991), Modernity and Self-Identity. Stanford, Stanford University Press.
- Giddens A. (1994), Les Conséquences de la modernité. Paris, L'Harmattan.
- Latour B. (1995), La science en action. Paris, Gallimard.
- Moatti J.-C. et Peretti-Watel P. (2009), Le Principe de prévention. Le culte de la santé et ses dérives. Paris, Seuil, La République des idées.
- Peretti-Watel P. (2000), Sociologie du risque. Paris, Armand Colin, coll. U-Sociologie.
- Peretti-Watel P. (2004), Du recours au paradigme épidémiologique pour l'étude des conduites à risque. Revue française de sociologie, n° 1, 45, p. 103-132.
- Peretti-Watel P. (2005), La culture du risque, ses marqueurs sociaux et ses paradoxes. Une exploration empirique. Revue économique, n° 2, 56, p. 371-392.
- Peretti-Watel P. (2010), La gestion des crises sanitaires. La Documentation française, Problèmes politiques et sociaux, n° 971, avril.
- Peretti-Watel P. (2010), La société du risque. Paris, La Découverte, coll. Repères.
- Peretti-Watel P. (2012), La cigarette du pauvre. Enquête auprès des fumeurs en situation précaire. Presses de l'EHESP, coll. Recherche, santé, social.

دراسات

الشباب و علم الاجتماع في تونس

هيام التري
باحثة في علم
الاجتماع بتونس

الصارمة المنظمة للحياة الجامعية و للجو العام داخل أقسام علم الاجتماع و الحرية "المبدعة" سعيا إلى تسهيل فرص الإشعاع الإيجابي لعلم الاجتماع على الشباب، خاصة مع ازدياد الحاجة إليه مع جملة التحولات التي تعيشها البلاد التونسية منذ 14 جانفي 2011.

لذا تمّ التركيز في هذا البحث على طبيعة علاقة الشباب بعلم الاجتماع اليوم كمتعلم أولاً و كقارئ ثانياً وكفرد في المجتمع ثالثاً، يمكن أن تكشف عن جزئيات لها علاقة بشكل من الأشكال بالمراجعات النقدية لعلم الاجتماع في البلدان العربية منذ الثمانينات، التي عادة ما اتبعت تشخيص أوضاع علم الاجتماع وتوجهاته و القضايا التي يعالجها و مدى نجاعتها و جدواها و الصعوبات التي تعترض السوسيولوجي ومشاكل التهميش التي قد تكون عناصر محددة في طبيعة العلاقة بين الشباب و علم الاجتماع.

الفئات الاجتماعية التي لا تمثل وحدة متجانسة و منسجمة فهي تختلف في ما بينها في المستوى التعليمي والثقافي و الوضع الاجتماعي و الاقتصادي⁴، إذن مرحلة الشباب تختلف من مجتمع إلى آخر حسب تقاليدها و أعرافها و خصوصيات الواقع المحلي.⁵

و يتنزل هذا البحث ضمن رؤية ميكروسوسيولوجية، تسعى إلى دراسة علاقة الشباب التونسي بعلم الاجتماع، إذ يهدف إلى معرفة جزء من واقع علم الاجتماع في تونس من خلال محاولة البحث في مدى إشعاعه على الفئة الشبابية و خاصة شباب علم الاجتماع من خلال تفاعله مع المكاسب المعرفية والعلمية السوسيولوجية مع رصد مدى إيمانهم بإمكانيات الاستفادة منه و معيقات تحقيق ذلك، خاصة و أنّ المسألة مقترنة أساساً بالبيئة المعرفية في أشكالها المنظمة و التلقائية أو الانفعالية، ليتراوح بذلك واقع المعرفة السوسيولوجية مثلاً بين الضوابط

أثبتت التجربة التي عاشتها البلاد التونسية مؤخرًا أهمية الشباب باعتبارهم فاعلين اجتماعيين مؤثرين في عمليات التغيير الاجتماعي¹، و تغيير المشهد السياسي من خلال تحركاتهم في الشوارع و ما لعبوه عبر شبكات التواصل من دور في التعبئة و سرعة نقل الأخبار و الإشاعات أثناء أحداث ديسمبر 2010 إلى جانفي 2011 و ما سبقها و ما لحقها أيضاً، لكن بقيت مشاركة الشباب ضئيلة جداً "باستثناء الحشد للمظاهرات"².

فالشباب يمثلون نسبة هامة في المجتمع التونسي تصل إلى 8825% بالنسبة للأعمار المتراوحة بين 20 إلى 34 سنة³ و إن تباينت المحددات العمرية لهذه الفئة، ممّا يؤكد صعوبة تعريف مفهوم الشباب انطلاقاً من التمييز بين مفهومي "البلوغ البيولوجي" و "البلوغ الاجتماعي"، وعموماً فإنّ الشباب من

دراسة : الشباب و علم الاجتماع في تونس

تدرس ظواهر اجتماعية معقدة، علم ملمّ بحياتنا للنهوض بالمجتمع والبحث في كل ما هو خفي ومن الضروري وجود مختصين في هذا العلم في كل المؤسسات لكشف الواقع، هو علم ينمي القدرات الذاتية...".

لكن هل تبدّلت صورة علم الاجتماع بعد أحداث جانفي 2011 في المجتمع التونسي؟ نلاحظ أنّ قرابة 77% من المستجوبين يؤكّدون أنّ "علم الاجتماع بقي من الاختصاصات غير المعترف بها والمجهولة، فهو يعدّ اختصاص لا يوجد فيه مواطن شغل أي غياب الأفاق فيه لعدم فهم طبيعة العمل الذي يمكن أن يقوم به المختص في علم الاجتماع، فيقلّ وجوده في المؤسسات إلّا بشكل نادر و دوره في الإعلام برز حديثاً"، كما أنّ بعض الإجابات تخلط بين تخصص علم الاجتماع و الخدمة الاجتماعية.

لعلّ ما حدث في البلاد التونسية

فأمام عدم وضوح معنى "الاختيار" يبرز لنا جزء من إشكاليات التوجيه الجامعي في تونس و تأثيرها العميق على مستقبل أعداد كبيرة من الشباب الجامعي، أما بالنسبة لما كان يعرفه الطلبة عن علم الاجتماع، فإنّ ما يمكن استنتاجه من خلال محاولة تحليل المقابلات اختلافا في الآراء فنجد صنفا منهم يرى أنّ علم الاجتماع "علم يختص بدراسة المجتمع بكل تغيراته ومجالاته و العلاقات داخله والظواهر الاجتماعية و كيفية التطرق إلى مختلف المشاكل الاجتماعية والواقع الاجتماعي و المعيش اليومي" تعريف يسعى إلى الربط بين البحث الماكروسوسيولوجي و الميكروسوسيولوجي، لكنّ نجد آراء أخرى تظهر محدودية ما كان يعرفه الطلبة عن علم الاجتماع، لكن من الملاحظ أنّ جملة هذه الأفكار قد تبدلت بعد مرور ثلاث سنوات من التكوين الجامعي في اختصاص علم الاجتماع إذ أصبحوا يميلون إلى اعتباره "شعبة مهمة

1. طبيعة علاقة الشباب بعلم الاجتماع في تونس:

1 - لمحة عن علاقة طلبة علم الاجتماع و تلاميذ البكالوريا بعلم الاجتماع:

تشير بعض صور علاقة الشباب بعلم الاجتماع إلى معطيات يمكن أن تكون لها علاقة بالمتغيرات المميزة لطلبة هذا العلم من مثل تأنيث هذه الشعبة⁶، و لعلّ ذلك يبرّر بنفس الأسباب تقريبا التي تفسّر ميول الإناث لشعبة الآداب (علم الاجتماع من الشعب التي يميل إلى اختيارها تلاميذ البكالوريا آداب)، 9 طلبة فقط وضعوه كاختيار أول⁷، و تجدر الملاحظة إلى أنّ 56% المستجوبين لم يكونوا يميزون بين علم الاجتماع التطبيقي و علم الاجتماع الأساسي، و قرابة النصف لم يوضّحوا مواطن الفرق بين الاختصاصين.

الهوامش

- 1 - المنجي الزيدي، الدخول إلى الحياة، تهر الزمان، تونس، 2005، ص 39.
- 2 - حسب ما جاء في النتائج الرئيسية، تونس إزالة الحواجز أمام إشراك الشباب، تقرير البنك الدولي، 2014، ص 1.
- 3 - حسب إحصائيات 2014 للمعهد الوطني للإحصاء بتونس.
- 4 - علي شعباني، "الشباب و ثقافة الشباب بين الثبات و التغير"، وزارة الثقافة و المحافظة على التراث و المجمع التونسي للعلوم و الآداب والفنون بيت الحكمة، قرطاج، 2011، ص 143.
- 5 - حسان القصار، "التغيرات الديمغرافية الاجتماعية : تحليل ديمغرافي-اجتماعي للشباب في تونس"، الشباب و الثقافة، المجمع التونسي للعلوم والآداب و الفنون "بيت الحكمة"، تونس، 2011، ص 75.
- 6 - فمن بين 39 طالبا في السنة النهائية بقسم علم الاجتماع بكلية الآداب و العلوم الانسانية بتونس أجريت معهم مقابلات موجهة 2 فقط ذكور من جملة 133 طالبا مرسما في السنة النهائية، السنة الجامعية 2015-2016 حسب إحصائيا مصلحة شؤون الطلبة بالكلية.
- 7 - 15 حالة لم يذكروا ترتيبها في ورقة التوجيه الجامعي 10 حالات توجّهوا بمحض الصدفة، و 9 منهم الرتبة الثانية و حالتين الرتبة الثالثة.



كاختصاص علمي و بالتالي تهميش لدوره و لما يمكن أن يقدمه المختص فيه، أما 10% المتبقية ما كان يعرفونه عن علم الاجتماع أنه "علم يهتم بكل المشاكل الاجتماعية"، ولعل هذه المعطيات يمكن أن تفهم إذا ما تأكدنا من خلال المقابلات أن معظمهم (70% من المستجوبين) لم يسمعو شيئاً عن علم الاجتماع و دوره و 30% منهم لخصوا دوره في سعيه إلى حل المشاكل الاجتماعية و النفسية للأفراد، و الملفت للانتباه أن هذه المجموعة من التلاميذ تؤكد أن أحداث 2011 لم تؤدي إلى تطوير أفكارهم حول علم الاجتماع باستثناء الحضور الإعلامي لبعض المختصين، بالإضافة إلى أنه لا وجود و لو لحالة واحدة ترغب في مواصلة الدراسة في هذا الاختصاص، ولعل هذا ما يفسر أن معظم المستجوبين من طلبة علم الاجتماع أو المتخرجين الجدد يؤكدون أن توجيههم لهذه الشعبة كان على سبيل الصدفة أو الخطأ و حتى في حالات الرغبة في التوجيه إليه تعود لقلة فرص التوجيه الجامعي خاصة بالنسبة لتلاميذ شعبة الآداب، مما يجعل اختيارهم لشعبة علم الاجتماع وليدة لحظة الاختيار، لا انطلاقاً من محبة أو رغبة واعية، كما أنهم لا يدركون حقيقة الفرق بين الاختصاص

حسب تعبيرهم في: "أنه الاختصاص الذي ندرسه و هو علم نرى أنه ذا قيمة وأهمية في المجتمع و علينا أن ندافع عنه لنكون مشاركين و فاعلين ، فهو اختصاص جعلنا ندرك عديد الخفايا داخل المجتمع و نعتقد أن هذا العلم جيد و شامل و يستحق أن يكون معترفاً به لحاجتنا الماسة له لتطوير المجتمع و هناك أمل أن يكون لعلم الاجتماع آفاق في العمل مستقبلاً إذ من الضروري أن يكون للطالب طموح و غاية من النجاح الدراسي خاصة أن تغيير الأفكار هو جوهر علم الاجتماع"، و من أجل تحقيق هذا التغيير يقترحون الاستراتيجيات التي تقوم أساساً على الإقناع و الحوار و نشر الفهم الصحيح و الوعي بأهمية هذا العلم، و لعل ما أجاب عليه الطلبة يعطي صورة متفائلة حول مستقبل العلاقة بعلم الاجتماع.

أما في إطار مقابلة موجهة مع بعض تلاميذ البكالوريا⁸ تحصلنا على النتائج التالية: أن 50% من المستجوبين لم تكن لهم معرفة بعلم الاجتماع و 40% منهم لم يجيبوا عن سؤال: ما الذي تعرفونه عنه؟ و عدم الإجابة يمكن أن تكون مؤشراً عن موقف اللامبالاة بعلم الاجتماع

لم يؤدي إلى تغيير العقلية في ما يخص قيمة علم الاجتماع رغم أهميته كعلم سماه البعض "علم الأزمات"، فالفكر السائد لا يعطي أهمية له، و يوضح المستجوبون المسألة بما يلي: "إلا أن المحيطين بنا أغلبهم لا يؤمنون بقدرات الأخصائي في علم الاجتماع و يميزون في المقابل الإختصاصات العلمية و المجتمع لا يعترف بمثل هذه التوجهات العلمية و أهميتها"، كما أن الإعلام لا يسعى إلى التعريف به و تقريبه إلى الناس بالرغم من أنه يستعمل كمادة إعلامية في وقت الأزمات، كما أضاف المستجوبون: "كان المختص في علم الاجتماع مهمّشاً وذلك لأسباب سياسية خاصة أمام قدرة السوسولوجي على توعية الناس و كشف الحقائق، كما أن طبيعة الإستراتيجيات في سوق الشغل في تونس لا تعطي أهمية لهذا العلم، فليس لعلم الاجتماع من قانون أساسي منظم له أمام عدم قدرة بعض طلبة و مختصي علم الاجتماع على الإقناع بأهمية اختصاصهم و توضيح نوع الأعمال التي يمكن أن يقوموا بها في المستقبل..."، يمكن أن نلاحظ من خلال هذا التحليل إقرار بعض المستجوبين بجزء من المسؤولية.

فمن خلال كل هذه المعطيات نتبين وضوح الرؤية لدى الطلبة حول صورة علم الاجتماع في تونس باعتبارهم يمثلون فئة هامة من الشباب و صورة عن مستقبل هذا العلم و سيرورة تطوره، و أمام سعينا لرصد مدى حرصهم على تغيير أو مزيد تحسين هذه الصورة تبين أن قرابة 90% من المستجوبين يسعون إلى ذلك، و تتلخص دوافعهم



دراسة : الشباب و علم الاجتماع في تونس

أنّ 5 حالات لا يعرفون حتى أوغست كونت رغم أنّه من ضمن الأسماء البارزة في برنامج تدريس طلبة علم الاجتماع في تونس منذ السنة الأولى، لذا لا يفاجئنا أن يكون معظمهم (81% من المستجوبين) لا يعرفون ولو كتابا واحدا له، وعلى العكس فإنّ جميعهم يعرفون ابن خلدون، فهو بالنسبة إليهم: "علامة" و أول عالم اجتماع تونسي وهو مؤسس لعلم الاجتماع. اهتم بدراسة تطورات المجتمع والعلاقة بين الدولة و المجتمع، من أشهر ما تحدّث عنه هو "العصبية"، و هو أيضا مؤرّخ و فيلسوف اجتماعي عربي و من ضمن كتبه المقدّمة وهي من أشهر كتاباته، درس التاريخ والحضر و الدين وعدّة مجالات أخرى ، كتب في هذا العلم و لم يكن يعلم بأنّه علم الاجتماع".

أمّا للإجابة على السؤال حول الطريقة المثلى لدراسة المجتمع اقترح الطلبة ما يلي حسب الترتيب التالي:

-التجرد و الحفاظ على الموضوعية و عدم الانحياز و الحياد العلمي.

-تكثيف المقابلات مع مختلف الأطراف الاجتماعية.

من المستجوبين) بأنّ مطالعاتهم أساسا ذات علاقة بالبرنامج الدراسي طيلة السنوات الثلاث دون اهتمام بقراءة الكتابات السوسيولوجية التونسية أو حتى الكتابات السوسيولوجية التي تهتمّ بظواهر اجتماعية و التي تخرج عن الروح العامة للبرنامج الدراسي دون تدقيق في المعطيات البيولوجرافية (لا حظنا خلطا في بعض الأحيان بين اسم المؤلف وعنوان الكتاب)، و لعلّ هذا ما يفسّر ضعف قراءاتهم و مطالعاتهم حتى في اختصاصهم.

و حول معرفة الطلبة بعلماء الاجتماع الذين درّسوا في الجامعة التونسية و كان لهم حضورا بارزا، اقتصرت الإجابات على أسماء قليلة جدّا، مع التركيز على ذكر بعض أسماء أساتذتهم المباشرين لهم، ما يبرز بشكل أو بآخر محدودية العلاقة المعرفية و الإنسانية التي تربط بين الطالب بأستاذ دون آخر، فتتحوّل إلى نوع من السلطة الرمزية داخل الفصل و خارجه، ما يمكن أن يرسم لنا بشكل آخر صورة من صور ملامح مستقبل تطوّر علم الاجتماع لا تخفي قيمة و حجم البعد الإنساني في تحديدها.

لكن من ضمن الأجوبة المفاجئة

التطبيقي و الأساسي بالنسبة لجميع الشعب الجامعية⁹، و كثيرا ما ينتقد الشباب التوجيه الجامعي و طريقة التوجيه و قواعده¹⁰، لكن كلّ هذه المعطيات تدفعنا إلى مزيد التساؤل حول حقيقة العلاقة بين الشباب التونسي و علم الاجتماع، فهل أنها تقف عند مرحلة ضبابية الرؤية و محدودية المعرفة أكثر من حقيقة التهميش الاجتماعي لهذا العلم؟ و ما هي حدود مسؤولية شباب علم الاجتماع في ذلك؟

2 - علاقة طلبة علم الاجتماع بمكاسبهم المعرفية في اختصاصهم العلمي:

لعلّ ما يثيره الطلبة من تعبير عن مخاوفهم الراجعة لإحساسهم بالعجز أمام إعداد تقارير التربص ومذكرات التخرّج و الصعوبات التي يواجهونها خاصة أثناء السعي إلى تطبيق ما درسه نظريًا، هو مؤشر دال على صورة من صور علاقة الشباب بعلم الاجتماع و بمكاسبهم المعرفية في اختصاصهم العلمي، و قد تعتبر علاقة هؤلاء الطلبة بالكتاب السوسيولوجي معطى هام يمكن التركيز عليه في هذا العنصر من البحث، فمن بين 26 طالبا أجاب معظمهم (85%

الهوامش

8 - خصوصيات هذه المجموعة أنّ أعمارهم بين 18 و 19 سنة عددهم 10 ، 7 منهم إناث و 3 ذكور، 7 منهم ينتمي إلى شعبة الآداب و 2 منهم شعبة إعلامية و العاشر لم يذكر ، معظمهم ينتمون إلى عائلات متوسطة الدخل (7 تلاميذ) أغلبهم من أصول حضرية (9 تلاميذ) و مرسومون بالمعهد الثانوي حي الرفاهة المنيهلة ولاية أريانة.

9 - حسب ما جاء في مقابلات غير موجهة مع متخرجين جدد من شعبة علم الاجتماع (عدددهم 21).

10 - Ahmed Khouaja, Hayet Moussa, L'intégration des jeunes dans la vie active et citoyennes en Tunisie possibilités, opportunités et obstacles (résultats de l'enquête qualitative), Banque Mondiale/ONJ(Tunisie), Avril 2013 , p33



-اعتماد المقاربة التشاركية و كذلك البحث النشيط.

-الملاحظة بالمشاركة.

- استعمال العينة الممثلة للمجتمع الأصل.

- اعتماد المنهجين الكمي و الكيفي.

مع الملاحظ أنّ قرابة 35% من المستجوبين لم يجيبوا على هذا السؤال، هذه النسبة تعتبر هامة بالنسبة لمسألة مركزية كهذه.

أما بالنسبة إلى معرفة الطلبة بتاريخ تأسيس علم الاجتماع كاختصاص يدرّس في الجامعة التونسية فإنّ عددا هاما من الطلبة المستجوبين (85% منهم) لم يجيبوا عن السؤال تأكيدا منهم بأنهم لا يعرفون شيء عن مرحلة التأسيس و قلة منهم قدّموا محاولات غير دقيقة بين من يحدّثها بالخمسينات و آخرين بالسبعينات و آخر يعود بنا إلى ابن خلدون.

أما بالنسبة للمفاهيم التي يعتبرها الطالب مركزية في علم الاجتماع أجابوا بما يلي حسب الترتيب التالي:

- الظواهر الاجتماعية - المجتمع - الواقع الاجتماعي - الفرد - الواقع - التنمية - السحر - العائلة - الهبة - الجماعة - الدولة - التحديث - التطوّر - التخلف - التواصل - علم الاجتماع.

فرع دون آخر في البرنامج الدراسي طيلة الثلاث سنوات و تليها عمق التأثير الفكري و العاطفي لأستاذ دون آخر لتعطي صورة من صور التراكم المعرفي و معيقاته و حدوده.

و من الأخطاء المنتشرة أن يعتبر التشخيص الاجتماعي و المناهج و الإحصائيات فرعا من فروع علم الاجتماع باعتبار أنّ بعض الطلبة لا يميّزون بين المواد التي يدرسونها و فروع علم الاجتماع.

أما بالنسبة للنظريات التي بقيت راسخة في ذهن طالب السنوات النهائية فمن الواضح أنّ هذا السؤال مبهم عند معظمهم رغم أنّ النظريات تدرّس منذ السنة الأولى، و لعلّ هذا ما يبرّر عدم إجابة أكثر من نصف المستجوبين (قرابة 54% من المستجوبين)، ومن بين النظريات المذكورة حسب ترتيب الطلبة: نظرية دوركايم /نظرية مارسل موس /نظرية ماكس فيبر/نظرية لوسيان/ النظريات الكلاسيكية، وبعضهم (20% من المستجوبين) من يخلط بين البراديغم و النظرية و النظرية و المناهج.

أما بالنسبة للفرق بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي نلاحظ أنّ هناك خلط في تحديد الفرق بين التفسير والتحليل، و خلط واضح بين المنهج و تقنيات البحث، و لكنّ معظمهم يرى أنّ المنهج الكمي يقوم على التكميم و المنهج الكيفي يعتمد على المقابلة و الملاحظة بالمشاركة و هي أيضا قراءة وصفية نوعية للواقع .

و هناك من تحدّث عن المناهج في السؤال عن المفاهيم و آخر عن التفسير و التوضيح و آخر على تقنيات البحث من استبيان و المقابلة و الملاحظة و التحليل و التفسير و المشاركة و الإحصائيات والشروط العلمية خاصة الموضوعية و هناك من تحدّث عن بعض البراديغمات كالفردانية و التفاعلية الرمزية و حوالي 23% من المستجوبين لم يقدّموا إجابة.

أما بالنسبة لمعرفتهم بالبراديغمات فإنّ أكثر من نصف المستجوبين لم يجيبوا عن هذا السؤال و حالتين ذكروا براديغم التفاعلية الرمزية، أما البقية يخلطون بين مفهوم البراديغم بتقنيات البحث كالمقابلة والاستبيان، و الخلط أيضا بين البراديغم بما هو تمثيلي استدلالي و فروع علم الاجتماع كعلم اجتماع العائلة و علم اجتماع الصحة و بعض المواضيع الانحراف

و من أجل مزيد فهم مدى استيعاب طلبة السنوات النهائية لهذه المعطيات التي من الضروري تمييزها لإعداد تقرير التربص أو مذكرة التخرّج و التي بدورها تعكس مدى استيعاب الطالب للشروط العلمية لإعداد بحث سوسيولوجي طرحنا سؤال حول فرع علم الاجتماع الذي يفضلونه، تحصّلنا على إجابات تؤكّد ميولا واضحة لعلم اجتماع التنمية و علم اجتماع العائلة و بدرجة أقل علم اجتماع الصحة ثمّ علم اجتماع الثقافة فعلم اجتماع العمل وصولا إلى علم اجتماع التربية بدرجة ضعيفة، و لعلّ هذا يمكن أن يبرّر بكثافة تدريس



دراسة : الشباب و علم الاجتماع في تونس

تحقيق ذلك هو غياب القانون الأساسي و العقلية المحقرة لعلم الاجتماع، فمن ضمن المشاكل المعقدة بطالة أصحاب الشهادات العليا و ضعف التشغيل وندرة المناظرات و الانتدابات و سوء التكوين و الضعف في اللغة الفرنسية و اللغات الأجنبية عموماً إلى جانب الظروف العائلية و تواضع الجانب المادي خاصة أمام الظروف الاقتصادية التي تمرّ بها البلاد..

إذن من الواضح أنّ الهاجس مقترن بالعمل الذي هو في الأصل " سمة مميزة للجنس البشري، و رغم اختلاف البنيات البيئية و التباين بين المجتمعات في نمط التقدّم التقني و التطور الهيكلي في المستوى الاقتصادي فالعمل قاسم مشترك و شرط لكل حياة اجتماعية"¹⁵، فالتشغيل هو من المسائل المحورية التي لقيت اهتماماً من قبل العديد من "المدارس الاقتصادية المتنوعة التي حاولت إيجاد علاقة بين الإستثمار، الإنتاج و اليد العاملة بحثاً عن التوظيف الكامل كوضع عادي و طبيعي لكل مجتمع"¹⁶.

الاجتماع يجد كل متخرّج حديثاً نفسه أمام أسئلة ملحة تدور حول: ما الذي يمكنه أن يقوم به في المستقبل؟¹² و لعلّ الإجابة عن هذا السؤال تكمن في مدى إدراكهم لخصوصية هذا العلم و ما يميزه و ما يمكن أن يقدّمه معرفياً و مهنياً، بالإضافة إلى عمق تأثير واقع التشغيل في تونس و ما يعانیه من صعوبات، لذا كانت الإجابات تؤكّد على عدم وضوح الإستراتيجيات المستقبلية و ضبابية الرؤية والآفاق المستقبلية، ففي إطار مقابلات موجهة مع طلبة السنة النهائية في علم الاجتماع¹³ تبين أن أكثر من نصف المستجوبين (62% من المستجوبين) لم يجيبوا، فالتساؤل عن المستقبل يقترن برؤية كل ثقافة و موقفها من الزمن الذي "يترجم عن نفسه في ممارسات تكرّس التوجّه التطوّري لهذا المجتمع أو توجهه الدائري السكوني"¹⁴، و في إطار السعي لمعرفة المشاريع المستقبلية لهؤلاء الشباب تحصلنا على إجابات تؤكّد تغليب الطموحات المهنية على الطموحات الدراسية التي و إن وجدت تكون مقترنة بالرغبة في الحصول على عمل، أما ما يراه الطالب عائقاً أمام

إذن لقد تمّ الاهتمام في هذا العنصر بالبحث في علاقة طلبة علم الاجتماع بمكتسباتهم المعرفية في اختصاصهم الأكاديمي و تمّ التركيز على طلبة السنوات النهائية انطلاقاً من بعض المؤشرات عبر تسليط الضوء حول مدى معرفتهم بالسوسيولوجيين و كتاباتهم و مدى معرفتهم بالنظريات السوسيولوجية والبراديغمات و المفاهيم و المناهج و التقنيات المعتمدة... كمعطيات من شأنها أن توضح جزئيات لا تقل أهمية في بناء قراءة حول علاقة الشباب بعلم الاجتماع في تونس في إطار البحث عن خصوصيات التجربة التي لا تخفي مسؤولية الطالب في ذلك.

3 - طلبة علم الاجتماع و مدى وضوح أم غموض استراتيجياتهم المستقبلية في العمل والدراسة:

يعدّ التساؤل حول المستقبل و الإمكانيات المتاحة و المعوقات من الإشكاليات الهامة التي تؤرق الشباب فهو سؤال "وجودي" في علاقة جدلية مع البحث في معاني الهوية¹¹، فمن بين أجيال متتالية من خريجي اختصاص علم

الهوامش

- 11 - من ضمن الكتب التي درست الهوية و تعقيدات محدّداتها نذكر: Jean - Claude Kaufman, L'invention de soi , Armand Colin, 2004.
- 12 - طرح هذا السؤال في إطار مقابلة جماعية غير موجهة مع 21 متخرّجاً حديثاً.
- 13 - من خلال إستجواب 39 طالباً في السنة النهائية بقسم علم الاجتماع في كلية الآداب و العلوم الإنسانية بتونس.
- 14 - إبراهيم التليبي، الشباب التونسي و أولويات المستقبل دراسة ميدانية حول تصورات شباب الجامعة و تلاميذ الأقسام الثانوية النهائية لمستقبلهم وأولوياتهم فيه، شهادة الدراسات المعمّقة، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بتونس، قسم علم الاجتماع، 1999-2000، ص 27.
- 15 - جورج فريدمان بيار نافيل، رسالة في سوسيولوجيا العمل، ج 1، بيروت، باريس، منشورات عويدات، 1985، ص 11.
- 16 - بشرى جمعة، بطالة الإطارات في المجتمع التونسي المعيش اليومي و التمثلات دراسة ميدانية: و لاية المهديّة نموذجاً، شهادة الماجستير، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بتونس، السنة الجامعية 2004-2005، ص 4.

و علاقتها بالشباب في تونس:

1 - التراكم المعرفي: شروطه و

صعوباته:

عادة ما توجد علاقة مباشرة بين المناخ المعرفي و البيئة الثقافية، فهذه الأخيرة تعكس المكونات الحيوية "في حالتي المدّ و الجزر و الارتباط الديناميكي بأصحاب المصلحة في تطوير هذه البيئة..."²⁵، فالبيئة الثقافية تؤثر بشكل مباشر في المناخ المعرفي و الجو العام الذي تعيشه الجامعات و ما تنتجه من مختصين في شعب و اختصاصات مختلفة، فهي المحدد لأبعاد الشخصية الثقافية للمجتمع، هذه البيئة غير الساكنة هي أيضا مرتبطة بتبدل إشكاليات العصر²⁶، و علم الاجتماع هو قبل كل شيء يعيش ضمن التداخل، فإلى أي مدى يتأثر البحث الميداني في هذا العلم بخصائص الباحث، تبعا لحقيقة أن الباحث في علم الاجتماع هو نفسه كائن ثقافي و كائن اجتماعي أيضا؟

فإذا اعتبرنا الجامعة أو القسم مؤسسة تملك ثقافتها الخاصة بها في علاقة تأثر و تأثير بالبيئة الثقافية و المناخ المعرفي الداخلي و العالمي، من هذا المنطلق يؤكد روث بينديكت "أن الأفراد أجهزة تتحرك تلقائيا بطريقة آلية، منفذة أحكام ثقافتها، و لم تتوصل المشاهدات بعد إلى أن ثقافة ما استطاعت أن تستأصل الفروق المزاجية للأشخاص ... هذه العلاقة وثيقة جدًا إلى حدّ استحالة مناقشة أنماط الثقافة دون

لتجاوز هذه الصعوبات رغم و عيه بها حلولا خارجية لا داخلية.

فمن أهم هواجس طالب علم الاجتماع هو غياب الآفاق، هذا الهاجس لا ينفصل عن وضع عام يعيشه الشباب و هنا بوجه خاص شباب التعليم العالي الذي يعاني عدد كبير منه من مشكل البطالة (47001 جامعي عاطل عن العمل يتراوح أعمارهم بين 25 و 39 سنة مع إمكانية تزايد هذا العدد في صفوف الجامعيين الذين وصل عددهم الجملي إلى 1170760 شاب²¹) في مجتمع تبرز فيه ظاهرة البطالة كمشكل ملح.

إذ أن "مفهوم المستقبل الذي قد يختزله الشاب التونسي في مجرد تلك الأحداث التي سوف يعيشها في غده، هو مفهوم جعله الخبراء الغربيون الذين تعتمد عليهم الدول الكبرى و الشركات العابرة للقارات في التخطيط لمستقبل العالم، يتجاوز مجرد هذه النظرة الضيقة التي نجدها عند الشباب"²²، فالشاب التونسي يلخص أهم مشغل بالنسبة إليه في العمل و أكبر معضلة هي البطالة على عكس مثلا الشاب الفرنسي الذي يرى في تأسيس العائلة التي يسعى إلى بنائها مركز الإهتمام بالنسبة إليه²³، و لعل هذا ما دفع بعض الدراسات إلى التأكيد على أن الشباب التونسي منذ سنّ المراهقة يعيشون نوعا من القلق و الحيرة و عدم وضوح استراتيجيات المستقبل لديه لعلها تمثل مبررات ميولهم للسلبية²⁴.

II. صعوبات تراكم المعرفة ا لسو سيو لوجية

لكن منذ أن بدأت تطفوا ظاهرة بطالة أصحاب الشهادت العليا في تونس، فتضاعف العدد بسرعة، وتمثلت الطلبة حول البطالة هي "دليل للفعل توجهه و توجه العلاقات الاجتماعية"¹⁷ من ورائه، فالمؤسسة التعليمية بعد أن خرجت من طابعها المعرفي إلى اعتبارها وسيلة لتحقيق الرقي الاجتماعي والحراك الاجتماعي نلاحظ اليوم ضبابية في هذه العلاقة بين إمكانيات و معيقات تحقق ذلك، فقد جمعت ليليا بن سالم مثلا في حديثها عن فئة الإطارات بين ثلاث عناصر هي الثقافة و التنمية والحراك، و أن الحراك الثقافي يعكس أشكالاً أخرى من الحراك و مؤهلات مجتمع ما و مدى استعداده للتخلص من التخلف¹⁸، فاجتماعيا الإطارات كانت تمثل "رمز النجاح الاجتماعي و هي تمثل المجموعة المرجح للحداثة مع كل ما يظهره سلوكها من مواقف القبول و الرفض"¹⁹، خاصة في مرحلة التعبئة مع الاستقلال فعدد الإطارات التقنية و الإدارية التونسية سنة 1956 كان يصل إلى 1570 إطارا من جملة 4960 أي بنسبة 30%²⁰، لتفقد الإطارات اليوم بعض رمزياتها و وجاهتها و حضوتها الاجتماعية في مجتمع تراجع فيه الأمية و ازدادت نسبة التمدرس و عدد حاملي الشهادت العليا، و من بين أسباب بطالة الإطارات في تونس أيضا تعود إلى أسباب اقتصادية (وطنيا و محليا) خاصة بعد أحداث 2011، بالإضافة إلى ضعف الرأسمال العلائقي لبعض المتخرجين و عدم مواكبة التكوين الأكاديمي لاحتياجات سوق الشغل ما عبر عنه الطلبة بـ"ضعف أو نقائص في التكوين"، مع الملاحظ أن بعض الطلبة ينتظر

دراسة : الشباب و علم الاجتماع في تونس

"بتفكك العلاقة" أو "تعطيل الدلالة"، لذا من الضروري أن تتم قراءة هذا الواقع من صنف "الدرجة الثانية"²⁹.

فانطلاقاً من نسبة النظريات السوسولوجية حسب معطى خصوصية التجربة الانسانية و الظروف التاريخية و الإطار الجغرافي لكل تجربة بحثية، من الضروري أن نبدأ بمعرفة ذاتنا و طبيعة المناخ المعرفي و النسيج الثقافي و الاجتماعي، و نعود هنا أيضاً إلى قوله الطاهر لبيب "الخطاب الثقافي يحيل إلى الواقع الاجتماعي المتغير عبر الدلالة التي ينتجها"، و يتم الاهتمام في ذلك بثلاث تصنيفات للواقع الاجتماعي: ذات بعد اجتماعي، ذات بعد رمزي، ذات بعد منطقي، و لكن في كل الحالات لا يمكن أن تكون رؤية العالم هي العالم ذاته، نظراً

الاجتماع كمعرفة و كتخصص يدرّس في الجامعات يطمح إلى تدريسه في المعاهد الثانوية.

لكن ما يزيد في تعقيد المسألة أن علم الاجتماع إنتاج معرفي له دور اجتماعي يحدد بظروف إنتاجه، ذلك أن السوسولوجي يمكن أن يرتبط بمصالح (و حتى بإيديولوجيات) القوى الاجتماعية و الحركات التاريخية التي يشارك فيها. و لقد تضاعفت اليوم أزمة علم الاجتماع مع تعقد أزمة المجتمعات و تسارع الأحداث و جملة التحولات مثال ما يعيشه المجتمع التونسي منذ جانفي 2011، فقد تفككت العلاقة بين المفهوم و الواقع لفائدة ما هو افتراضي الذي تحرّر من قيود الواقع المادي، أنتج قلقاً فكرياً عبر عنه الطاهر لبيب

مراعاة لعلاقتها بعلم النفس الفردي"²⁷، إذن لا يمكن أن نغفل هنا عن الجانب الإنساني و الانفعالي والمزاجي و العاطفي و المكاسب المعرفية الشخصية و الطاقة الذهنية أيضاً، لكن من جهة أخرى فإنّ البيئة الثقافية هي من محددات الأبعاد "الشخصية الثقافية للمجتمع . و ليست هناك بيئة ثقافية ساكنة أو أبدية، و إنّما يرتبط حياة و موت أمة بيئة ثقافية بطبيعة حركتها و مدى قدرتها على صياغة الشخصية الثقافية" في دور "يطرح من الأسئلة و يحاول الجواب بموازاة ما تطرحه الحياة الإنسانية و ثقافتها من إشكاليات العصر و الجغرافيا السياسية و التطور"²⁸، و بهذا المعنى، فإنّ إنتاج الثقافة هو محاولة لإنتاج بيئة ثقافية تملأه لكي يضطلع المثقف بدوره، و لعلّ ذلك يفسر العلاقة التي تجمع بين علم

الهوامش

17 - Claude Flament, Pratiques sociales et représentations, Paris, PUF, 1994, p 13.

18 - Lilia Ben Salem, Democratization de l'enseignement en Tunisie, RTSS, n16, 1969, p 83.

19 - Michel Camu, La Tunisie, PUF, Paris, 1989, p 98.

20 - Lilia Ben Salem, " Developpement et problemes de cadres", Cahier de CERES , serie sociologique , n 3, 1994.

21 - حسب ما جاء في إحصائيات المعهد الوطني للإحصاء لسنة 2014.

22 - إبراهيم التليلي، إبراهيم التليلي، الشباب التونسي وأولويات المستقبل دراسة ميدانية حول تصورات شباب الجامعة و تلاميذ الأقسام الثانوية النهائية لمستقبلهم و أولوياتهم فيه، ذكر سابقاً، ص 29.

23 - Olivier Galland, Bernard Roudet, Les valeurs des jeunes, L Harmattan, France, 2001, p 37.

24 - Ahmed Khouaja, Hayet Moussa, L'intégration des jeunes dans la vie active et citoyennes en Tunisie possibilités , op.cit , p. 11

25 - غالي شكري، الثقافة العربية في تونس الفكر و المجتمع، الدار التونسية للنشر، الطبعة الأولى، تونس، 1986، ص 32.

26 - ذكر سابقاً، ص 49.

27 - محمد السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي و مصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر و الدار التونسية للنشر بتونس، الطبعة الأولى، تونس، 1991، ص 187.

28 - غالي شكري، الثقافة العربية في تونس الفكر و المجتمع، ذكر سابقاً، ص 49.

29 - محسن بوعزيزي، " الغائب في النص السوسولوجي العربي"، إضافات، المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد 6، الجمعية العربية لعلم الاجتماع و مؤسسة فريدريش إيبيرت، بيروت، لبنان، أبريل 2005، ص 116.



و عموماً فإنّ الحديث عن صعوبات و معيقات تراكم المعرفة السوسولوجية في علاقتها بالشباب لا يتعد في وجه من أوجهها عن الحديث عن التنشئة الاجتماعية.

2 - صعوبات تأسيس مدارس في علم الاجتماع و علاقتها بحوار الأجيال:

إنّ الحديث عن المدارس في علم الاجتماع لا ينفصل عن الحديث عن التواصل و الامتداد و التراكم من ناحية و القطيعة من ناحية أخرى، و يزداد هذا الإشكال إلحاحاً خاصة إذا ما رجعنا إلى التجربة المغربية (المغرب الأقصى) و مدارسها السوسولوجية، يمكن أن نقدّم هنا على سبيل المثال³⁴ :

- عبد الله العرووي و المدرسة التاريخية.

- عبد الإله بن قزيز و المدرسة القومية العربية.

- عبد الصمد الديالمي و المدرسة الجنسانية (إذ اهتم بدراسة الجنس و الفضاء دراسة نفسية اجتماعية).

و لا نستثنى أيضاً المفكر المغربي محمد عابد الجابري و المدرسة الماركسية لدراسة الحضارة العربية الإسلامية.

كلّ هؤلاء كوّنوا طلبة يسرون على أساس مدارسهم أي خلقوا امتداداً فكرياً، في حين أنّ التجربة التونسية تكشف عن

لذا من الضروري تعديل و عقلنة المعوقات المانعة لإشعاع علم الاجتماع التي من بينها معيقات ذاتية مقترنة بالشباب نفسه و ميولاته و طموحاته و مستوى مطالعته و طريقة تكيّفه مع المستجدات المعرفية و الثقافية و الاجتماعية الوطنية و حتى العالمية و الافتراضية أيضاً و معيقات موضوعية مقترنة بما يوفّره المناخ و البيئة المعرفية و الثقافية و الاجتماعية كمشكل تهميش علم الاجتماع و تهميش دور السوسولوجي و غياب القانون الأساسي المنظم لعمل المختصّ في علم الاجتماع كإطار قانوني لإدماجهم في سوق الشغل و غياب تدريس علم الاجتماع في برنامج تدريس العلوم الاجتماعية في التعليم الثانوي.

و يمكن أن نذكر صعوبات و معيقات أخرى تتعلّق بضعف علاقة السوسولوجيين ببعضهم و لا نستثنى هنا التونسيين، مما يجعل الجانب الإعلامي لانتاجاتهم ضعيفاً ما يضعف درجة "تحوّل" الدراسات السوسولوجية بين السوسولوجيين أنفسهم، و تبقى الكثير من دراساتهم غير معروفة ولا يتمّ بذلك حسن استغلالها، فالباحث يلاحق نفسه، إذ أنّ اكتشاف الذات عن طريق علاقه بالآخر توضح الصورة أكثر، كما أنّ التجربة أثبتت أنّ البحوث السوسولوجية "تقتصر على أفراد و مواضيع محدّدة لا تتيح لمجموعات أخرى مواصلة البحث فيها بروح جماعية و تسليمها إلى فريق آخر و هكذا. و قد يرجع ذلك إلى طبيعة التنشئة الاجتماعية و طرقها في عالمنا العربي الحديث"³³.

لأهمية البيئة و المناخ الثقافي و المعرفي في إنتاج المعرفة و تطوّرها، فأى بيئة و أيّ مناخ يوفّر الأرضية الملائمة لإنجاح عملية التراكم المعرفي لدى السوسولوجي من أجل توسيع مجالات حضور علم الاجتماع في الواقع التونسي لضمان حسن تسويق صورته للشباب؟

فمن المهمّ إذن تسليط الضوء على علاقة إشعاع علم الاجتماع بتغيير تصوراتنا الاجتماعية حول قيمته، وذلك من خلال إدخال بعض التغييرات على تنشئتنا الاجتماعية لأبنائنا بدءاً بالعائلة إلى المدرسة ثمّ الإعلام و إعطاء قيمة لعلم الاجتماع كمعرفة و علم و كأداة للتغيير و التقدّم و النموّ في مختلف المجالات برؤية واقعية، و نبدأ بتخليص السوسولوجي من هاجس التهميش و الإقصاء أي البدء بالإصلاح الداخلي عبر التخلّص من رؤى العالم التي ورثها من خلال احتكاكه البسيط و الأوّلي لما يدور حوله و الذي يترسّخ في ذاكرته و ذهنه عبر عملية التنشئة الاجتماعية لتتولّد لديه رؤى جديدة تقوم على أساس عقلائي و موضوعي، ولا نستثنى هنا من بين الصور و الرؤى التي ورثها و يسعى إلى تغييرها صورة علم الاجتماع في المجتمع، "فشروط إمكان "الذات" المعرفية و الموضوع العلمي ليست سوى شيء واحد وكلّ تقدّم في معرفة الشروط الاجتماعية لإنتاج "الذوات" العلمية يقابله تقدّم في معرفة الموضوع العلمي، و العكس أيضاً. و لا يرى ذلك أبداً بوضوح إلاّ عندما يتخذ البحث موضوعاً له الحقل العلمي نفسه، أي الذات الحقيقية للمعرفة العلمية"³².



دراسة : الشباب و علم الاجتماع في تونس

لكن عموماً هناك أهمية لتبادل المعارف و التجارب على مستويات عدّة: أفقي بين الجيل الواحد والعمودي بين مختلف الأجيال و جغرافي بين مختلف المؤسسات التعليمية التي تدرّس مادّة علم الاجتماع في إطار تفاعل تبادلي وذلك عبر السعي إلى تقوية الرأس المال العلائقي بين السوسيولوجيين في ما بينهم و بينهم و بيئتهم الاجتماعية و الثقافية و العلمية، من أجل إيجاد نوع من "الانعكاسية المعرفية" و "التراكم المعرفي الفعلي"، خاصة و أنّ هذا التمثل للمعرفة السوسيولوجية هو اجتماعي أي ليس في معزل عن ما هو اجتماعي في جميع مراحل البحث التي يؤثّر فيها المناخ المعرفي بقوة خاصّة في عملية "التغذية المعرفية".

فمن خلال دراسة تسعى أن تكون "داخلية"، لما يحمله الشباب عن علم الاجتماع، نلاحظ أنّ للأسماء تأثيراً على كثافة أو ضعف القراءات و المطالعات

العرب هم معلّمون وإنتاجهم ضعيف و ليس لهم وقع على الحياة العامة خارج أسوار الجامعة و الحياة السياسية أو الحياة التربوية...³⁶، و إن بدأنا نلاحظ بعض التغيير ما بعد أحداث جانفي 2011 مع الاكتفاء بالدور الاستشاري خاصة في بعض البرامج في وسائل الإعلام، كما سبق أن ذكرنا، مع ندرة البحوث الجماعية، إذ من ضمن المشاكل ضعف تبادل المعارف و الخبرات البحثية بين السوسيولوجيين التونسيين، مما قد يؤدي إلى تكرار البحوث دون إضافة و تفاعل تطوّري من شأنه أن يخلق تراكماً معرفياً قادراً على صنع تراث سوسيولوجي خاصّ بنا، و في ذلك ضياع للطاقة البحثية و التمويلية، لذا من الضروري الاهتمام بالجانب التوثيقي، فالعلم على حدّ تعبير بوحدية "تراكم و زيادة لتتوصّل لمعرفة أدقّ من خلال تراكم التحليلات، فهناك حركية علمية اجتماعية، فالمعرفة تراكم".³⁷

وجود نوعاً من "القطيعة" الفكرية، إن صح الوصف، بين الأجيال التي درّسوها أو أشرفوا على بحوثها. و إجمالاً، فلازلنا حبسنا في المدارس الغربية الفرنسية أو الانكليزية، إلّا أنّ عبد الوهّاب بوحدية يبرّر ذلك بعدم إيمانه بتأسيس مدارس سوسيولوجية في تونس في الوقت الرّاهن و أنّنا لازلنا في "مرحلة التعدّدية" في المنهجيات و النظريات و المفاهيم السوسيولوجية، فهي مرحلة "فرقة" قد تنتج مدارس مستقبلاً³⁵، و لكن ألا يكفي نصف قرن من عمر علم الاجتماع في تونس لبناء مدارس سوسيولوجية؟ فهل يعتبر أنّ المعيق الأساسي هنا هو تواصل ممتزج بالميل للعمل الفردي أم هو معرفي يتدخل فيها الصراع الإيديولوجي؟

إذن يبقى تأسيس مدارس في علم الاجتماع مؤشراً هاماً لبناء صورة عن علاقة الأجيال ببعضهم و علاقة الشباب بعلم الاجتماع، و لقد لاحظ فريدريك معتوق أنّ "معظم علماء الاجتماع

الهوامش

30 - الطاهر لبيب، "ثقافة بلا مثقفين، من ملحمة إلى تراجمي"، المستقبل العربي، العدد 282، أوت 2002، ص 25.

31 - Ridha Boukraa, Sociologie classique et sociologie informationnel, Cahiers du CERES, hors serie n 1, Tunis, 2003, p 68.

32 - بير بورديو، ج.د.فاكونت، أسئلة علم الاجتماع في علم الاجتماع الإنعكاسي، ترجمة عبد الجليل الكور، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ص 164.

33 - إدريس سالم الحسن، "ملاحظات حول مفهوم البحث العلمي و وضعيته في العالم العربي"، شؤون عربية، العدد 36، وحدة المجلات، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، تونس، فيفري 1984، ص 179.

34 - حسب ما جاء في مقابلة غير موجهة مع الأستاذ بشير العربي في سبتمبر 2015.

35 - حسب ما جاء في المقابلة الموجهة مع عبد الوهّاب بوحدية في ديسمبر 2015.

36 - حسب ما جاء في المقابلة غير الموجهة مع فريدريك معتوق على هامش ملتقى 16 لأجيال علماء الاجتماع العرب ببيروت في نوفمبر 2006.

37 - حسب ما جاء في المقابلة الموجهة مع عبد الوهّاب بوحدية يوم 25 ديسمبر 2006.

كبرى للمجتمع مثال ذلك أحداث 14 جانفي.

فالعلاقات بين الأجيال تنبني على خاصيتين : خاصة التبعية، و تكون في بداياتها بيولوجية و تتجلى في ارتباط الإبن بوالديه، و تتحول إلى تبعية اجتماعية عبر عمليات التنشئة الاجتماعية، و الخاصة الثانية هي الصراع بين الأجيال المتعاقبة و هي تتجاوز الصراع الشخصي داخل نفس العائلة لتتحول إلى صراع ذو طابع اجتماعي.⁴⁵

فمنذ بداية القرن العشرين "زاد الانشغال بالفئات الشابة التي أصبحت تبتعد يوما بعد يوم عن المثل والقيم التي سادت في الماضي ، مما أحدث مواقف متعددة بين رافض و ناقد و متخوف"⁴⁶، و "يعدّ مفهوم الجيل مفهوما أساسيا في دراسة الشباب كفئة اجتماعية مخصصة"⁴⁷ و"أداة منهجية لقياس الزمن التاريخي"⁴⁸، و لقد أكد كارل مانهايم أنّ علم الاجتماع مؤهل أكثر من غيره لدراسة هذا المفهوم "ظاهرة الأجيال" لدراسة التحولات في المجتمع و تحليل تشكل الحركات الاجتماعية و الفكرية⁴⁹.

و لعلّ هذه المعطيات مثلت عائقا أمام تكوّن مدارس سوسولوجية في تونس يقع فيها تسليط الضوء على علاقة الأجيال ببعضها و انعكاسها على علاقة أجيال علم الاجتماع في تونس منذ أكثر من نصف قرن من تدريس السوسولوجيا كاختصاص أكاديمي في الجامعات التونسية.

يعطي صورة عن دور الجامعة في تونس التي تتلخص في الدور التعليمي لا الدور التراكمي المعرفي الذي لا يؤمن بالحدود و الأدوار الرسمية.

ففي علاقة الأجيال هناك من تحدّث عن صراع الأجيال³⁹ أو الهوة الفاصلة بين الأجيال و أزمة الأجيال⁴⁰، فالعلاقة بين الشاب و الجيل الآخر هي توجد ضمن العلاقات البينية-الجيلية، إذ "أفرزت التحولات الاجتماعية و الثقافية المتسارعة منذ بداية القرن العشرين العديد من المسائل و الظواهر التي استدعت اهتمام العلوم الإنسانية بمختلف فروعها، و من أهمها مسألة الأجيال التي أثارت جدلا كبيرا في العلوم الاجتماعية، حيث اختلفت التفسيرات و التحليلات باختلاف التخصصات العلمية و الاتجاهات الفكرية"⁴¹، ففي دراسة صراع الأجيال عادة ما يتم التركيز على العلاقة بالوالدين في حين أنّ المسألة تتجاوز العائلة إلى المؤسسات التعليمية و الشارع و مختلف المؤسسات، فهل علاقة التلميذ أو الطالب بأستاذه ضمن العلاقات التالية من العلاقات : علاقة الخضوع الإرادي أو علاقة الخضوع الإكراهي أو العلاقة الأفقية، خاصة و أنّ الصراع بين الأجيال من شأنه أن يدخل نوعا من الاضطراب في "نسق التوارث بين الأجيال"⁴² نتيجة لقصور المحيط لتلبية حاجات الشباب، فالشباب عادة ما يعطون قيمة كبرى للعلاقة بالأتراب و للصدقة أكثر من علاقتهم بالأجيال الأخرى⁴³، و القطيعة بين الأجيال تبرز خاصة في ما يهّم استمرارية نقل القيم عبر الأجيال⁴⁴ و نتبين ذلك في بعض الفترات التاريخية التي تقترن بتحوّلات

و حتّى درجة الاستفادة العلمية³⁸، بالإضافة إلى تأثير المواضيع والعناوين في توجيه المطالعات لقوة تأثير التخصص الفرعي في علم الاجتماع و قوة تأثير الميولات و مواطن الاهتمامات المعرفية، فقد ضعفت المعرفة الشمولية أمام مزيد من التخصص الذي هو بدوره يتأثر بما سمّاه بوحديّة "موضات" مصدرها لا فقط داخلي وطني، بل أصبح يميل أكثر فأكثر إلى العالمية، ممّا يجعلنا نتساءل عن المحدّد الرئيسي لما يمكن تسميته بـ"النموذج الإرشادي المعرفي السوسولوجي في تونس" الذي يوجّه إنتاج و قراءات السوسولوجيا في تونس في علاقة مركّبة بين الشباب و علم الاجتماع، لأنّ قوّة الجوانب الإنسانية تبرز خاصة أثناء تحقق أو عدم تحقق الإستعداد للإطلاع على إنتاج سوسولوجي ما و الاستفادة من كتابات أستاذ دون آخر.

و أمام ضعف قراءات الطلبة للكتابات السوسولوجية التونسية نلاحظ أيضا ضعف معرفتهم بالسوسولوجيين التونسيين أو الذين كان لهم حضورا في الجامعة التونسية أثناء المرحلة التأسيسية و ما بعدها إلى حدود التسعينات أو حتى الذين أنهوا فترة تدريسهم الجامعي إلى حدود بدايات العشرية الأولى من الألفية الثالثة فكان ذاكرة الجامعة التونسية قصيرة، ما يطرح أسئلة عدة حول طبيعة العلاقة بين أجيال علم الاجتماع و حدود علاقتهم بالجامعة و كأنها تختزل في دورين هما "الأستاذ" و "الطالب"، فتنتمي العلاقة مع نهاية خروج الأستاذ للتقاعد أو توقف الطالب عن الدراسة الجامعية، ما

دراسة : الشباب و علم الاجتماع في تونس

بـ" النجاعة الثقافية و المعرفية" للإنتاج الفكري.

فيذهب البعض إلى " أن شبكة النماذج الثقافية التي تسود في حضارة معينة تفهرسها اللغة التي تعبر عن تلك الحضارة ، و إنّ من الوهم الاعتقاد بأننا يمكن أن نفهم الخطوط العامة المميزة لثقافة ما عن طريق الملاحظة فقط دون الإهتمام بالنظام الرّمزي اللغوي الذي يمنح هذه الخطوط دلالاتها و معقوليتها في المجتمع ... فالناس لا يعيشون في العالم الموضوعي فقط و لا في عالم النشاط الاجتماعي كما يفهم عادة، بل هم واقعون تحت رحمة اللغة التي أصبحت وسطا للتعبير في المجتمع الذي يعيش فيه"⁵¹.

فاللغة من أبرز مكونات ثقافة أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية سواء كانت هذه اللغة منطوقة فقط أو منطوقة و مكتوبة، فهي بمقدورها أن تحمل جزءا كبيرا من الرموز الثقافية و أن تعبر عن معانيها بأكثر وضوح و أن تتداول بين أفراد هذا المجتمع في إطار تفاعلهم داخل بيئتهم الاجتماعية، كما يمكن أن تورث هذه الرموز و هذه المعاني من جيل إلى آخر عبر اللغة، فهي تحمل صورا مختلفة في جوهرها من مجتمع إلى آخر، و من يتقن لغة ما يستطيع أن يتمثل جزءا من ثقافة ذلك المجتمع، فمن أبرز الثنائيات المعقدة هي ثنائية اللغة و المعرفة و لا يمكن لأحد أن ينكر طبيعة العلاقة الجدلية بينهما خاصة إذا ما تحدّثنا عن ما يمكن التعبير عنه

3- اللغة و المعرفة ثنائية معقدة بين إشكالية نتائج التعريب و "عقدة" أحادية اللغة ومعيقاتها المعرفية:

نستهلّ حديثنا في هذا العنصر بقولة لجاك بيرك: "يمكن القول بأنّ اللغة العربية الكلاسيكية هي "Pensionna" المجتمعات العربية ، و ذلك في المعنيين الذين يملكها هذا اللفظ باللاتينية، الأوّل في دلالاته على "القناع" الخاص بالملاهي فوق الركح و المحافل، و الثاني في إشارته إلى الشخصية بما تفرضه هذه الكلمة من صدق و أصالة"⁵⁰.

الهوامش

38 - حسب ما جاء في المقابلات الموجهة مع طلبة السنوات النهائية في علم الاجتماع.

39 - Margaret Mead, Le fosse de génération , les nouvelles relations entre les générations dans les années 70, Paris, Denoël /Gonthier, 1979.

40 - Gérard Mendel, La crise de génération, Paris, Payot, 1974.

41 - ماهر الساحلي، تنشئة الشباب التونسي اجتماعيا و تفاعلاته مع الأسرة مثال: حي "الياسمينات" من ولاية بن عروس، شهادة الماجستير، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بتونس، السنة الجامعية 2010-2011، ص 133.

42 - Olivier Galland, Sociologie de la jeunesse Armand Colin, 3 em édition , Paris, 2004, p 160.

43 - Olivier Galland, Bernard Roudet, Les valeurs des jeunes, L Harmattan, op.cit, p 182.

44 - ibid , p 177

45 - Georges Balandier, Anthropos-Logiques, Librairie générale française, Paris, 1985, p 91

46 - منجي الزيدي، ذكر سابقا، ص 59.

47 - ذكر سابقا، ص 67.

48 - ذكر سابقا، ص 68.

49 - Karl Mannheim , Le problème des générations, Nathan, 1990, p 40.

50 - البشير سلامة، اللغة و مشاكل الكتابة، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، تونس، 1986، ص 7.

51 - محمد البحري، "لغتنا لدى الآخر"، في الثقافة و الآخر، عمل جماعي تكريما للظاهر لبيب، المعهد العالي للعلوم الإنسانية، الجمعية التونسية لعلم الاجتماع، الدار العربية للكتاب، تونس، 2006، ص 209.

و عموما توجد علاقة جدلية و تفاعلية بين اللغة و المخزون الثقافي سواء بالنسبة للفرد أو المجموعة وأنّ الفهم الأعمق لواقع التاريخ و الحضارة من بين آلياته البحثية ، إن صحّ التعبير، دراسة العلامة و الرموز اللغوية.

و النتائج الميدانية، كما سبق أن وضحنا، تؤكد أنّ اللغات الأجنبية اليوم من ضمن أكبر معيقات التراكم المعرفي لدى الطالب من أجل تحقيق النجاح و التقدّم في مجال البحث العلمي، حيث يجد الشاب اليوم صعوبة في التمكن منها و التي عادة ما كانت النخبة المتعلمة في تونس أوائل الاستقلال تعبّر بها عن مشاغلها الفكرية (خاصة اللغة الفرنسية و ما اقترنت به من ظاهرة الفرانكوارب)، ذلك أنّ هذا الوضع يجعل الفرد يعيش نوعا من التمزق اللغوي الذي يضعف الطاقة التعبيرية عنده رغم ما يقدمه من ثراء معرفي من جهة أخرى، فهناك رابط جدلي بين اللغة و الواقع⁵²، إلا أنّ تنوع المكاسب اللغوية من شأنها أن تدعم رصيد الباحث من الرأسمال العلائقي و تسهل إمكانية توسيع المطالعات.

كما نضيف اليوم صفات جديدة يمكن أن تنسب للسلوك اللغوي لدى الشباب و هي اللغة الرقمية المعتمدة أساسا في شبكات التواصل الاجتماعي، تؤسس لعلاقتهم الافتراضية، هذه اللغة التي أضعفت المكاسب اللغوية و التعبيرية المعرفية لدى الشاب أمام السعي لتقوية المكاسب التعبيرية العلائقية العامة، إن صحّ التعبير.

ففي إطار التركيز على دور اللغة في علاقة الشباب بعلم الاجتماع نلاحظ أنّ اللغة الرقمية و "التعريب الثقافي" بالبلاد التونسية منذ سنة 1981⁵³، مثلا مشكلتان لغويتان، فمنطق التمكن من الاكتساب اللغوي تتدخل بشكل مباشر في تحديد المستوى المعرفي و درجة تنوعه، و يعود هذا الوضع إلى عدم اهتمام التلاميذ و الطلاب بدراسة اللغات الأجنبية، بالإضافة إلى عدم العناية الكافية برفع مستوى دراسة اللغة العربية مع ضعف المجهود الموجه لتطويرها و انتشار ظاهرة "أمية المتعلمين" الذين لم يتدربوا في المعاهد على حبّ المطالعة و القراءة لغير الكتب المقررة في برامج التدريس الرسمية و على تنمية قدراتهم على التعليم الذاتي و اكتساب المعارف، و هنا يكمن الفرق بين التعليم و الثقافة، و إذا لم يكن لدينا الجمهور القارئ فما جدوى أن يؤلّف المؤلف، أو ينقل المترجم عن لغة أخرى؟ و قد اعتبر بعض الدارسين أنّ عملية التعريب في المغرب العربي كانت منقوصة تتسم بـ"الارتجال و الانغلاق"⁵⁴ أضعف الطاقة البحثية لدى الباحث الذي أصبح سجين أحادية اللغة.

و قد اعتبر عبد الوهاب بوحدية تعريب علم الاجتماع في تونس "مغامرة" بدأت بأزمة تدريس الفلسفة في الثانويات سنة 1974 من أجل "السعي لتوحيد الفلسفة العامة و الفلسفة الإسلامية"، فبدأت المناقشات حول موضوع اللغة نظرا لتراجع درجة التمكن من اللغة الفرنسية، ثمّ انعقد ملتقى بدار المعلمين العليا للفتيات و يقول في هذا الصدد: "و انتهينا بقناعة مشتركة بين الفرنسيين و المغاربة و الأفارقة إلى ضرورة استعمال

اللغة الأم". و يضيف "الفلسفة تعني رفع القناع عمّا هو مضيء في الذات الجماعية و المدخل لا يمكن أن يتمّ عن طريق لغة أجنبية، و قمنا بإعداد و تنظيم ملتقى حول تعريب الفلسفة و علم الاجتماع...و كان الحضور من المغرب و سوريا و العراق و زملائنا من تونس و كان الطاهر لبيب هو المشرف على هذا الملتقى وتمّ النظر في ضرورة التعريب...و اعددنا لذلك كتابا في جزأين ترجمنا فيه إلى العربية نصوصا تأسيسية للفلسفة غربا و شرقا...الفلسفة و القضايا الفلسفية و علم الاجتماع لم يأخذ إستقلاليته إلا في فترة متأخرة، و تمّ انعقاد الملتقى في أبريل 1975 و بدأ التدريس باللغة العربية في سنة 1976". و ينتهي عبد الوهاب بوحدية بقوله أنّ "الفكر التونسي الحديث لا يخجل لا من جذوره العربية و لا انتماءاته المتوسطة و إعجابه بالغرب، أي هناك حرية التحرك في أي لغة يشاء بالمعنى الوظيفي التام أي يتمّ توظيف اللغة لمستنداته الفكرية و مرجعيته الأدبية"⁵⁵، هكذا كانت أهداف و رهانات مشروع تعريب علم الاجتماع في تونس لينتهي بمشكل أحادية اللغة كعائق أمام التراكم المعرفي و فتح قنوات التواصل مع الآخر.

و قد بدأت الكتابة السوسولوجية التونسية باللغة العربية إثر تصفحنا لفهارس المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية سنة 1979 السنة 16 في الأعداد الخاصة التالية: 57/56 - 59/58، أمّا بالنسبة لكراسات مركز الدراسات و البحوث الإقتصادية و الاجتماعية في

دراسة : الشباب و علم الاجتماع في تونس

التي هي في الأصل متأتية من معيقات في التعريف بعلم الاجتماع و ما يمكن أن يقدمه المختص فيه من دور .

و لا يمكن أن تقترب المسافة بين الشباب و علم الاجتماع إلا عبر الاستجابة قدر الإمكان لانتظاراتهم وتسهيل نقل المعلومة، فإن تساوي الفرص في الدراسة و النجاح لا يمكن أن يجعلنا نغفل عن أهمية التساوي في الفرص و الحظوظ المهنية من خلال السعي إلى مراجعة برامج تدريس علم الاجتماع والطرق البيداغوجية المعتمدة، و لعلّ المسألة التشغيلية تتدخل بقوة فهناك علاقة جدلية بين العمل و ما يحققه للفرد من وجود و قيمة اجتماعية " هذا الوجود يتحدّد أساسا في مستوى علاقته الاجتماعية التي يحتلّ فيها موضوع و قيمة العمل مكانة مركزية"⁵⁹ و بذلك يطوّر الفرد إحساسه بالانتماء إلى المجتمع⁶⁰.

الخاتمة:

ففي إطار الاهتمام بمواردنا البشرية و لا سيما الشباب، فإنّ الرعاية بهذه الفئة تتطلب فلسفة تحدّد بوضوح الأهداف الفردية و الاجتماعية العامة و مجالات هذه الرعاية يلخّصها بعض الدارسين في: الرعاية الصحية و العقلية و النفسية و الاجتماعية و السياسية و الروحية و الذوق الفني و الجمالي⁵⁸، من خلال رؤية تربوية تسعى إلى دفع قيمة الشباب في المجتمع، عبر فتح مجالات التواصل و التفاعل وذلك من خلال الفهم و حسن التفهّم لبناء استراتيجيات مستقبلية تمتن العلاقة بين الشباب و علم الاجتماع في تونس خاصة في هذه المرحلة التاريخية التي تمرّ بها البلاد، تجعل من علم الاجتماع و حسن الاستفادة منه ضرورة و ذلك عبر القرب من الشباب أكثر للاستفادة من طاقاتهم و مؤهلاتهم بتجاوز "عقدة التهميش"

سلسلة علم الاجتماع منذ العدد 2 لسنة 1975 تحت عنوان " الدّاتية الثقافية و الضمير القومي داخل المجتمع التونسي" أشغال الملتقى المنعقد بتونس من 18 إلى 19 مارس 1974، وقد قال في هذا الشأن رضا بوكراع أنّ اللغة العربية " ارتبطت بصفة وثيقة بقضية القومية العربية كمفهوم سياسي وبقضية التراث كمفهوم حضاري يهيكل الذاتية الجماعية أمام تحديات الإمبريالية فإنّ الممارس للإنسانية في ميدان اللغة العربية لا بدّ من أن يصطدم، واعيا كان أو لا واعيا بالاختيارات الإيديولوجية"⁵⁶، فاللغة كما ذهب إلى ذلك خليل الزميتي: "ليست بالظاهرة المجردة إذ قد يرمي معنى الكلام غشاء يخفي عكسيا حقائق الأمور"⁵⁷، والأهمية المعرفية للغة تكمن في نقل المعرفة و تسهيل عملية التلاقح و التراكم الثقافي.

الهوامش

- 52 - عبد السلام المسدي، "الإزدواجية و الثنائية و أثرهما في الواقع اللغوي"، دور التعريب في تطوير اللغة العربية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ص 98.
 - 53 - غالي شكري، الثقافة العربية في تونس الفكر و المجتمع، ذكر سابقا، ص 47.
 - 54 - عروسي الزبيري، " التعليم العالي، المسألة اللغوية و حال العلوم الاجتماعية في الدول المغاربية : الجزائر نموذجاً"، كراسات مركز الدراسات و البحوث الإقتصادية و الإجتماعية، خارج السلسلة، العدد 2، مركز الدراسات و البحوث الإقتصادية و الاجتماعية و برنامج منح الشرق الأوسط، القاهرة، تونس، 2004، ص 235.
 - 55 - حسب ما جاء في مقابلة موجهة مع عبد الوهاب بوحدية يوم 25 ديسمبر 2006.
 - 56 - رضا بوكراع، "المعنى الإيديولوجي لتطبيق النظرية الألسنية على اللغة العربية"، سلسلة اللسانيات، العدد 4، مركز الدراسات و الأبحاث الإقتصادية و الاجتماعية، تونس، ص 409.
 - 57 - خليل الزميتي، "ارتباط المستوى اللغوي بعلاقات الانتاج: الحنانة و عقد الخماسة بواحات الجنوب التونسي"، سلسلة اللسانيات، العدد 4، مركز الدراسات و الأبحاث الإقتصادية و الاجتماعية، تونس، ص 402.
 - 58 - عمر محمد التومي الشيباني، الأسس النفسية و التربوية لرعاية الشباب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1973، ص 421 ص 656.
 - 59 - فرحات بن يونس، الشباب و التشغيل في جزر قرنة، شهادة الدراسات المعمقة، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، تونس، 1999، ص 5.
- 60 - Meda Dominique, Le travail une valeur de disparition, Flammarion, Paris, 1995 , p 24.

الخمول و الإحباط و ضعف الدافعية للتعلم، و هذا ما هزّ من صورة العلم و التعلم و دورهما في الرقي الاجتماعي بالنسبة للعائلة التونسية⁶⁸ و بالتالي له التأثير المباشر على طموحات و تمثلات الشباب لمستقبلهم و استراتيجياتهم المستقبلية، ليسقط الشباب أمام جملة التهديدات كفريسة أبرزها الإرهاب بغطاء التدين، ف"الشباب المتدين" اليوم يحمل أيضا بعضا من ملامح "الفرد الحديث": فهو "لا مبال و متبرّم بكل ما يمثل إلزامية مجتمعية تثقل عليه. و يصبح نمط الوجود و الظهور عنده سبيلا من سبل فضح العالم من حوله، هذا العالم الذي ينكره ويقصيه"⁶⁹، و لهذه الأسباب و غيرها كثير خاصة مع جملة التحولات التي تعيشها البلاد التونسية بعد أحداث 2011 أصبح من الضروري تقريب علم الاجتماع من الشباب و بذلك يزداد الدور الاجتماعي للمختص في علم الاجتماع إلحاحا إذ يجب أن نتجاوز البحث في سبل التقرب إلى الشباب إلى البحث في أولويات القيم و المعرفة عندهم و علاقتها بجملة التحولات التي يعيشها المجتمع التونسي من أجل مزيد فهمهم و تفهمهم ضمن ثقافة فرعية هي الثقافة الشبابية برؤية سوسيولوجية تحدّد بها الاستراتيجيات التربوية و التعليمية المستقبلية التي لها بالغ التأثير على تنشئة الشباب عبر السعي إلى حسن توجيه علاقتهم بالمعرفة و العلوم الإنسانية إيمانا بعمق تأثيرها على تحقيق السلم الاجتماعي.■

مركبة تقترب أن تكون خطرة و محددة ملامح مستقبل الشباب، فالتنشئة الاجتماعية هي الصيرورة التي يتعلم من خلالها الفرد كيف يربط في حياته بين مجموعة العناصر السوسيوثقافية بالمحيط الذي يعيش فيه و يدمج في شخصيته مع جملة التأثيرات التي تسلطها تجاربه و تجارب الآخرين من أجل إكتساب آليات التكيف مع الوسط الذي يعيش فيه أو الذي سيعيش فيه، إذ أنّ شباب اليوم خاصة أمام تضاؤل فرص العمل التي أضعفت فيه روح المبادرة و نظرتة للمستقبل التي أصبحت تتميز بالتشاؤم و نزوع الشباب إلى قيم الفردانية و مظاهرها خاصة من خلال الابتعاد عن الحلول الجماعية.

فحالة الرفض و ما تقترب به من أزمة يعيشها الشباب تبدأ من العائلة وصولا إلى المؤسسة التعليمية⁶⁵ وصلت اليوم إلى الشوارع التونسية في مختلف مظهراتها، و لعلّ هذا ما يؤكّد أنّ مشكلة علاقة الشباب بعلم الاجتماع لا تخرج عن مشكل عام يتمثل في عدم التوافق بين المهارات الفنية و العلمية و التقنية مع متطلبات السوق و بطء نمو الوظائف في الإقتصاد الوطني و المحلي، فصورة المجتمع والمدرسة في أزمة⁶⁶.

إذن المشكل الحقيقي يكمن في أنّ عدد العاطلين عن العمل في صفوف أصحاب الشهادات العليا عامة مرشح لمزيد التزايد من سنة إلى أخرى و المعضلة تبرز خاصة في نتائج القاعدة الاجتماعية التالية: "كلما ارتفع المستوى التعليمي للشباب التونسي إلّا و تضاءلت حظوظه في التشغيل"⁶⁷، مما أدّى إلى انتشار

فالمعيش اليومي للإطارات العاطلة عن العمل "وسمته البطالة بسمتها المفرغة من المعاني، فبدت الأفعال تكرارية و روتينية، و تضاءل بالتالي التفاعل الاجتماعي لهذه الفئة مع مكونات المجتمع المحيط"⁶¹، وهو ما يفسر حالة الخمول و الإحباط و الوقوع خارج دائرة التعليم و العمل و التدريب⁶² التي زادت مؤشراتهما عند الشباب و هو ما أكّده الدراسة الميدانية التي أشرف عليها البنك الدولي، فالمدارس والجامعات في تونس لم تتمكن من "تزويد الشباب بالمهارات اللازمة لمواجهة تحديات سوق العمل والانتقال إلى مرحلة النضج و المواطنة الإيجابية النشطة"⁶³، ما أدى إلى إضعاف دافعيتهم للتعليم، ف"من مميزات الشباب أنّه يعيش ظروفًا نفسية تتسم بالقلق و العزوف حينًا، و الرغبة في المشاركة والإنجاز أحيانا، فضلا عن الحاجة الماسة إلى تأكيد مكانته داخل بناء المجتمع"⁶⁴، فعادة ما يقال عن الشباب بأنهم يمثلون مجموعات اجتماعية متعددة و متميزة غير متجانسة تختلف في الأفكار والتصورات و النظرة للمحيط الاجتماعي و الاقتصادي و للمستقبل أيضا، لكن أثبت العمل الميداني في هذا البحث أنّ هناك هواجس مشتركة أو شبه عامة بين الشباب أو بين نفس الاختصاص العلمي.

و قد تعتبر التنشئة الاجتماعية من خلال مؤسساتها العائلة و المدرسة من أهم الآليات التي يمكن الإعتماد عليها من أجل تأسيس علاقة سليمة بين الشباب و علم الاجتماع في تونس اليوم خاصة أمام ما تعيشه البلاد من تحولات معقدة و

دراسة : الشباب و علم الاجتماع في تونس

الهوامش

- 61 - بشرى جمعة، بطلالة الإطارات في المجتمع التونسي المعيش اليومي و التمثلات دراسة ميدانية : ولاية المهديّة نموذجاً، ذكر سابقاً، ص 120.
- 62 - حسب ما جاء في النتائج الرئيسية، تقرير البنك الدولي، ص 24ص35.
- 63 - حسب ما جاء في النتائج الرئيسية، تقرير البنك الدولي، 2014، ص 3.
- 64 - إبراهيم التليلي، الشباب التونسي و أولويات المستقبل دراسة ميدانية حول تصورات شباب الجامعة و تلاميذ الأقسام الثانوية النهائية لمستقبلهم وأولوياتهم فيه، ذكر سابقاً، ص 14.
- 65 - سامية شبشوب، الشباب و الرفض، شهادة التعمق في البحث، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية بتونس، السنة الجامعية 1987-1988، ص 614.
- 66 - Ahmed Khouaja, Hayet Moussa, L'intégration des jeunes dans la vie active et citoyennes en Tunisie possibilités op.cit, p36
- 67 - فاتن مبارك، تونس منظورا إليها من قبل شبابها التصورات و الانتظارات، شهادة الدكتوراه ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية بتونس، قسم علم الاجتماع، 2010-2011، ص 286.
- 68 - Nasraoui(M), Jeunes ouvriers tunisiens face aux besoins, Synthèse d'une recherche, Cahiers de CERES , serie sociologique, N°10, 1984, p32
- 69 - عادل بالحاج رحومة، "التدين الشبابي بحثا عن معنى للهوية الذاتية"، الشباب و الثقافة ، المجمع التونسي للعلوم و الآداب و الفنون "بيت الحكمة"، تونس، 2011، ص-138 ص 139.

البيبلوغرافيا

- إحصائيا مصلحة شؤون الطلبة بكلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بتونس للسنة الجامعية 2015-2016.
- إحصائيات 2014 للمعهد الوطني للإحصاء بتونس.
- بالحاج رحومة (عادل) ، "التدين الشبابي بحثا عن معنى للهوية الذاتية"، الشباب و الثقافة ، المجمع التونسي للعلوم و الآداب و الفنون "بيت الحكمة"، تونس، 2011.
- البحري (محمد) ، "لغتنا لدى الآخر"، في الثقافة و الآخر، عمل جماعي تكريما لطاهر لبيب، المعهد العالي للعلوم الإنسانية، الجمعية التونسية لعلم الاجتماع، الدار العربية للكتاب، تونس، 2006.
- بن يونس (فرحات) ، الشباب و التشغيل في جزر قرقرنة، شهادة الدراسات المعمقة، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، تونس 1999.
- بورديو (بير) ، فاكوت (ج.د.) ، أسئلة علم الاجتماع في علم الاجتماع الإنعكاسي، ترجمة عبد الجليل الكور، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى ، الدار البيضاء، المغرب، 1997.
- بوعزيزي (محسن) ، " الغائب في النص السوسولوجي العربي"، إضافات، المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد 6، الجمعية العربية لعلم الاجتماع ومؤسسة فريدريش إيبيرت، بيروت، لبنان، أبريل 2005.
- بوكراع (رضا) ، "المعنى الإيديولوجي لتطبيق النظرية الألسنية على اللغة العربية"، سلسلة اللسانيات، العدد 4، مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية و الاجتماعية، تونس.
- التليلي (إبراهيم) ، الشباب التونسي و أولويات المستقبل دراسة ميدانية حول تصورات شباب الجامعة و تلاميذ الأقسام الثانوية النهائية لمستقبلهم وأولوياتهم فيه، شهادة الدراسات المعمقة، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بتونس، قسم علم الاجتماع، 1999-2000.
- تونس إزالة الحواجز أمام إشراك الشباب، تقرير البنك الدولي، 2014.
- جمعة (بشرى) ، بطلالة الإطارات في المجتمع التونسي المعيش اليومي و التمثلات دراسة ميدانية: ولاية المهديّة نموذجاً، شهادة الماجستير، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بتونس، السنة الجامعية 2004-2005.
- الحسن (إدريس سالم) ، "ملاحظات حول مفهوم البحث العلمي و وضعيته في العالم العربي"، شؤون عربية، العدد 36، وحدة المجلات، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، تونس، فيفري 1984.
- الزيري (عروسي) ، " التعليم العالي، المسألة اللغوية و حال العلوم الاجتماعية في الدول المغاربية : الجزائر نموذجاً"، كراسات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية و الإجتماعية، خارج السلسلة، العدد 2، مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية و الاجتماعية و برنامج منح الشرق الأوسط، القاهرة ، تونس، 2004.
- الزميتي (خليل) ، "ارتباط المستوى اللغوي بعلاقات الانتاج: الحنانة و عقد الخماسة بواحات الجنوب التونسي"، سلسلة اللسانيات، العدد 4، مركز الدراسات و



- الأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس.
- الزيدي (المنجي) ، الدخول إلى الحياة، تير الزمان، تونس، 2005.
 - الساحلي (ماهر) ، تنشئة الشباب التونسي اجتماعيا و تفاعلاته مع الأسرة مثال: حي "الياسمينات" من ولاية بن عروس، شهادة الماجستير، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية بتونس، السنة الجامعية 2010-2011.
 - سلامة (البشير) ، اللغة و مشاكل الكتابة، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، تونس، 1986.
 - السويدي (محمد) ، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي و مصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر و الدار التونسية للنشر بتونس، الطبعة الأولى، تونس، 1991.
 - شبشوب (سامية) ، الشباب و الرفض، شهادة التعمق في البحث، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية بتونس، السنة الجامعية 1987-1988.
 - شعباني (علي) ، " الشباب و ثقافة الشباب بين الثبات و التغيير"، وزارة الثقافة و المحافظة على التراث و المجمع التونسي للعلوم و الآداب والفنون بيت الحكمة، قرطاج، 2011.
 - شكري (غالي) ، الثقافة العربية في تونس الفكر و المجتمع، الدار التونسية للنشر، الطبعة الأولى، تونس، 1986.
 - الشيباني (عمر محمد التومي) ، الأسس النفسية و التربوية لرعاية الشباب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا، 1973.
 - فريدمان (جورج، نافيل) ، رسالة في سوسيولوجيا العمل، ج 1، بيروت، باريس، منشورات عويدات ، 1985.
 - القصار (حسان) ، "التغيرات الديمغرافية الاجتماعية : تحليل ديمغرافي-اجتماعي للشباب في تونس"، الشباب و الثقافة ، المجمع التونسي للعلوم والآداب و الفنون "بيت الحكمة"، تونس، 2011.
 - لبيب (الطاهر) ، " ثقافة بلا مثقفين، من ملحمي إلى تراجمي"، المستقبل العربي، العدد 282، أوت 2002.
 - مبارك (فاتن) ، تونس منظورا إليها من قبل شبابها التصورات و الانتظارات، شهادة الدكتوراه ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية بتونس، قسم علم الاجتماع، 2010-2011.
 - المسدي (عبد السلام) ، "الإزدواجية و الثنائية و أثرهما في الواقع اللغوي"، دور التعريب في تطوير اللغة العربية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.
 - إحصائيا مصلحة شؤون الطلبة بكلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بتونس للسنة الجامعية 2015-2016.
 - إحصائيات 2014 للمعهد الوطني للإحصاء بتونس.
 - بالحاج رحومة (عادل) ، "التدين الشبابي بحثا عن معنى للهوية الذاتية"، الشباب و الثقافة ، المجمع التونسي للعلوم والآداب و الفنون "بيت الحكمة"، تونس، 2011.
 - البحري (محمد) ، "لغتنا لدى الآخر"، في الثقافة و الآخر، عمل جماعي تكريما للطاهر لبيب، المعهد العالي للعلوم الإنسانية، الجمعية التونسية لعلم الاجتماع، الدار العربية للكتاب، تونس، 2006.
 - بن يونس (فرحات) ، الشباب و التشغيل في جزر قرقة، شهادة الدراسات المعمقة، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، تونس 1999.
 - بورديو (بير) ، قاكونت (ج.د.د) ، أسئلة علم الاجتماع في علم الاجتماع الإنعكاسي، ترجمة عبد الجليل الكور، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى ، الدار البيضاء، المغرب، 1997.
 - بوعزيزي (محسن) ، " الغائب في النص السوسيولوجي العربي"، إضافات، المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد 6، الجمعية العربية لعلم الاجتماع ومؤسسة فريدريش إبيرت، بيروت، لبنان، أبريل 2005.
 - بوكراع (رضا) ، "المعنى الإيديولوجي لتطبيق النظرية الألسنية على اللغة العربية"، سلسلة اللسانيات، العدد 4، مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية و الاجتماعية، تونس.
 - التليبي (إبراهيم) ، الشباب التونسي و أولويات المستقبل دراسة ميدانية حول تصورات شباب الجامعة و تلاميذ الأقسام الثانوية النهائية لمستقبلهم وأولوياتهم فيه، شهادة الدراسات المعمقة، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بتونس، قسم علم الاجتماع، 1999-2000.
 - تونس إزالة الحواجز أمام إشراك الشباب، تقرير البنك الدولي، 2014.
 - جمعة (بشرى) ، بطاقة الإطارات في المجتمع التونسي المعيش اليومي و التمثلات دراسة ميدانية: ولاية المهديّة نموذجاً، شهادة الماجستير، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بتونس، السنة الجامعية 2004-2005.
 - الحسن (إدريس سالم) ، "ملاحظات حول مفهوم البحث العلمي و وضعيته في العالم العربي"، شؤون عربية، العدد 36، وحدة المجلات، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، تونس، فيفري 1984.
 - الزيري (عروسي) ، " التعليم العالي، المسألة اللغوية و حال العلوم الاجتماعية في الدول المغاربية : الجزائر نموذجاً"، كراسات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية و الاجتماعية، خارج السلسلة، العدد 2، مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية و الاجتماعية و برنامج منح الشرق الأوسط، القاهرة ، تونس، 2004.



دراسة : الشباب و علم الاجتماع في تونس

- الزميتي (خليل) ، "ارتباط المستوى اللغوي بعلاقات الانتاج: الحنانة و عقد الخماسة بواحات الجنوب التونسي"، سلسلة اللسانيات، العدد 4، مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس.
- الزيدي (المنجي) ، الدخول إلى الحياة، تبر الزمان، تونس، 2005.
- الساحلي (ماهر) ، تنشئة الشباب التونسي اجتماعيا و تفاعلاته مع الأسرة مثال: حي "الياسمينات" من ولاية بن عروس، شهادة الماجستير، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية بتونس، السنة الجامعية 2010-2011.
- سلامة (البشير) ، اللغة و مشاكل الكتابة، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، تونس، 1986.
- السويدي (محمد) ، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي و مصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر و الدار التونسية للنشر بتونس، الطبعة الأولى، تونس، 1991.
- ششوب (سامية) ، الشباب و الرفض، شهادة التعمق في البحث، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية بتونس، السنة الجامعية 1987-1988.
- شعباني (علي) ، " الشباب و ثقافة الشباب بين الثبات و التغيير"، وزارة الثقافة و المحافظة على التراث و المجمع التونسي للعلوم و الآداب والفنون بيت الحكمة، قرطاج، 2011.
- شكري (غالي) ، الثقافة العربية في تونس الفكر و المجتمع، الدار التونسية للنشر، الطبعة الأولى، تونس، 1986.
- الشيباني (عمر محمد التومي) ، الأسس النفسية و التربوية لرعاية الشباب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا، 1973.
- فريدمان (جورج)، نافيل (بيار) ، رسالة في سوسيولوجيا العمل، ج 1، بيروت، باريس، منشورات عويدات ، 1985.
- القصار (حسان) ، "التغيرات الديمغرافية الاجتماعية : تحليل ديمغرافي-اجتماعي للشباب في تونس"، الشباب و الثقافة ، المجمع التونسي للعلوم والآداب و الفنون "بيت الحكمة"، تونس، 2011.
- لبيب (الطاهر) ، " ثقافة بلا مثقفين، من ملحمي إلى تراجمي"، المستقبل العربي، العدد 282، أوت 2002.
- مبارك (فاتن) ، تونس منظورا إليها من قبل شبابها التصورات و الانتظارات، شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية بتونس، قسم علم الاجتماع، 2010-2011.
- المسدي (عبد السلام) ، "الإزدواجية و الثنائية و أثرهما في الواقع اللغوي"، دور التعريب في تطوير اللغة العربية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.
- Balandier (Georges), Anthropos-Logiques, Librairie générale française, Paris, 1985.
- Ben Salem (Lilia), " Développement et problemes de cadres", Cahier de CERES , serie sociologique , n 3, 1994.
- Ben Salem(Lilia), Democratization de l enseignement en Tunisie, RTSS, n16, 1969.
- Boukraa (Ridha), Sociologie classique et sociologie informationnel , Cahiers du CERES , hors serie n 1, Tunis, 2003.
- Camu (Michel), La Tunisie, PUF, Paris, 1989.
- Dominique (Meda), Le travail une valeur de disparition, Flammarion, Paris, 1995 .
- Flament (Claude), Pratiques sociales et représentations, Paris, PUF, 1994.
- Galland (Olivier), Bernard Roudet, Les valeurs des jeunes, L Harmattan, France, 2001.
- Galland (Olivier), Sociologie de la jeunesse Armand Colin, 3 em édition , Paris, 2004.
- Jean - Claude Kaufman, L'invention de soi , Armand Colin, 2004.
- Khouaja (Ahmed), (Moussa) Hayet, L'intégration des jeunes dans la vie active et citoyennes en Tunisie possibilités, opportunités et obstacles (résultats de l'enquête qualitative), Banque Mondiale/ONJ(Tunisie), Avril 2013 .
- Mannheim (Karl), Le problème des générations, Nathan, 1990.
- Mead (Margaret), Le fosse de génération , les nouvelles relations entre les générations dans les années 70, Paris, Denoël /Gonthier, 1979.
- Mendel (Gérard), La crise de génération, Paris, Payot, 1974.
- Nasraoui(M), Jeunes ouvriers tunisiens face aux besoins, Synthèse d une recherche, Cahiers de CERES , serie sociologique, N°10, 1984.

دراسات

دور الحركات الاجتماعية الاحتجاجية في الانتقال الديمقراطي بالبلدان العربية: دراسة للجزائر والسودان

الحافظ النويني

دكتور باحث في القانون العام
والعلوم السياسية

مقدمة:

منذ الحراك العربي سنة 2011، اعتقد العالم أنه لن تقوم قائمة أخرى للحركات الاجتماعية ببلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، خاصة وأن جل الدول التي عرفت حراكا احتجاجيا أدى إلى تغيير النظام أو قيامه بإصلاحات جذرية، أغلبها لازالت تتخبط في مشاكل اقتصادية واجتماعية. لكن في نهاية 2018 وبداية 2019 خرج الشعبين السوداني والجزائري على التوالي بشكل غير متوقع، للإعراب عن رفضهم وسخطهم على الأوضاع المزرية التي يعرفها البلدان.

وجاءت الاحتجاجات في السودان كنتيجة لما تعيشه البلاد بسبب الأزمات المتراكمة التي تعرفها خاصة في الجانب الاقتصادي والسياسي، وتصاعدت المظاهرات بعد قمع الأجهزة الأمنية لها، وراح ضحيتها عدد من القتلى في

صفوف الشعب الثائر في وجه سياسات النظام المنتخبة، حيث كانت بداية مطالبهم معيشية فقط، ليرتفع سقفها للمطالبة برحيل النظام وسقوط عمر البشير، وطالبت الجبهة الوطنية للتغيير المكونة من 22 جماعة سياسية وحزب، بـ "نظام جديد" في البلاد، حيث أعلنوا "أن نظام الرئيس عمر البشير الحالي لا يستطيع التغلب على الأزمة بسبب عزلته السياسية والاقتصادية والإقليمية والدولية، ولا سبيل لتغيير النظام الحالي إلا بإقامة نظام جديد بثقة الشعب السوداني".

نفس الشيء، بالنسبة للجزائر، فكانت رغبة الرئيس بالترشح لولاية خامسة القشة التي قسمت ظهر البعير، بحيث خرج ملايين في احتجاجات عارمة لمطالبة بوتفليقة بعدم الترشح، وكذا ضد سياسات النظام الذي كان يرأسه والتي تضررت كثيرا بعد الانخفاضات الكبيرة في أمانة النفط، والتي انعكست

على السياسات الاقتصادية والاجتماعية بالبلاد.

وسقط النظامين السوداني والجزائري كنتيجة لهذه الاحتجاجات الشعبية، بحيث تم اعتقال عمر البشير من طرف الجيش السوداني، وقدم عبد العزيز بوتفليقة استقالته هو الآخر من رئاسة الجمهورية الجزائرية. وفيما تستمر مسيرات الشعبين أو الموجة الثانية من الحراك العربي، وأصبح البلدان أمام فترة انتقالية يتفاعل فيها عدد من المتدخلين كالمؤسسة العسكرية والفعاليات المكونة للحركات الاحتجاجية الشعبية، ومن بين هذه المكونات التيار الإسلامي، الذي يحاول أن يجد موطن قدم له في الفترة القادمة من الحكم في الدولتين وأن يساهم في مرحلة الانتقال الديمقراطي الذي يعرفه البلدان.

ويعتبر الإسلاميون أحد الفاعلين الأساسيين في الموجة الأولى من الثورات



دراسة : دور الحركات الاجتماعية الديمقراطية في الانتقال الديمقراطي بالبلدان العربية

التحرير الإسلامي" وكان يرأسها بابكر كرار ومحمد يوسف محمد¹. واستمر الصراع بين هذه التيارات الإسلامية إلى أن تم الصلح خلال مؤتمر جمع كل الأطياف الإسلامية بالسودان.

لم يستمر هذا التفاهم طويلاً، حيث ظهر اسم جديد في التيارات الإسلامية، وهو حسن الترابي، واستمر الأخير في التحالفات والتوسع إلى انخرط مع النظام، حيث أصبح تأثيره ظاهراً على النومييري في تلك الفترة وفي عدد من القوانين التي تم إصدارها آنذاك، إلى أن سقط حكم النومييري. واستمر الترابي في المشهد السياسي من خلال تأسيس حزب إسلامي سمي "الجبهة القومية الإسلامية" وشارك في حكومة وفاق مع الصادق مهدي إلى سنة 1989 حيث قام الجيش بالانقلاب على السلطة².

وقام انقلاب الجيش السوداني بقيادة العمر البشير على دعم التيارات الإسلامية، خاصة حركة الإخوان المسلمين، وكذا على الاستثمار في كل ما له علاقة بالدين، وتجلّى ذلك في قيامه بجمع كل التيارات الإسلامية في تحالفات واحدة، جعلتهم يصلون إلى مكانة في السلطة لم يكونوا ليحلموا بها. لكن

2- دور التيارات الإسلامية في الثورات السودانية والجزائرية وفي مسلسل الانتقال الديمقراطي بها.

3- مستقبل تيارات الإسلام السياسي بهذين البلدين.

1 - التأصيل النظري للإسلام السياسي في السودان والجزائر

ظهرت الحركات الإسلامية أول مرة في السودان والجزائر خلال فترة الأربعينات أي قبل استقلال البلدين، وكان المصدر الرئيسي لهذه الحركات هو حسن البنا في مصر، بحيث أن البعثات الطلابية التي كانت تدرس في مصر من طلبة الدولتين، تأثر بعضهم بفكر الإخوان المسلمين، وتشبثوا به لدرجة أنهم أسسوا فروعاً لحركة الإخوان في بلدانهم.

ونشأت أول حركة إسلامية بالسودان سنة 1946 من طرف أحد التابعين للبنا، ليتأسس المكتب الإداري لحركة الإخوان المسلمين بالسودان سنة 1948، وبعد ذلك بسنة نشأت حركة إسلامية جديدة غير تابعة للإخوان، سميت "حركة

العربية، بحيث وصلوا للسلطة في أغلب البلدان التي شهدت حراك اجتماعي، واختلفت توجهاتهم وطرق حكمهم باختلاف الدول، بين من اختار التوافق مع النظام القائم كما في حالة تونس والمغرب، وبين من اختار المواجهة كما في التجربة المصرية وآخرون ساروا في طريق الحرب الأهلية وحمل السلاح كحالة ليبيا وسوريا واليمن.

وبالتالي ستحاول هذا الورقة معالجة إشكالية رئيسية تتمثل في:

هل ستعلب التيارات الإسلامية أدوار طلائعية في الموجة الثانية من الحراك العربي؟ وهل ستستطيع تجديد خطابها وآلياتها والتكيف مع المتغيرات الحاصلة للمشاركة في مسلسل الانتقال الديمقراطي والوصول إلى السلطة أم أنها ستقع في نفس الخطأ خلال ثورات سنة 2011؟

وسنعالج هذه الإشكالية على شاكلة التصميم الآتي:

1- التأصيل النظري للإسلام السياسي في السودان والجزائر.

الهوامش

- 1 - محمود هدهود، "تاريخ الحركة الإسلامية في السودان"، موقع إضاءات (بتاريخ: 15/04/2019، تمت زيارته بتاريخ: 24/07/2019 على الساعة 14:12)، <https://www.ida2at.com/history-islamic-movement-sudan>.
- 2 - نفس المرجع السابق.



هذا التزاوج بدأت تتخلله توترات خلال السنوات الأخيرة، بفعل سياسات البشير التي أظهرت أنه يتعد عنهم، وكانت زيارة الرئيس السوداني المقال لسوريا من الأسباب التي أدت إلى كسر حبل الود بينه وبين التيارات الإسلامية التي كانت ضد نظام الأسد وكانت تدعو لإسقاطه والجهاد ضده.³

وشارك عدد من التيارات الإسلامية في الاحتجاجات ضد البشير وانحازوا لقوى إعلان الحرية والتغيير، بل وأيدوا موقف الجيش عند اعتقال البشير، وظهر الإسلاميون بمظهر من يحاول الحفاظ على النظام، بشكل لا يجعلهم يتواجهون مع الجيش من جهة ولا مع المتظاهرين من جهة أخرى. ويبقى حضور الإسلاميين في الحركات الاحتجاجية السودانية ضعيف نظرا لانقسامهم وأيضا لكون الشعب السوداني يعتبرهم جزء من النظام الذي يحتجون ضده.

من جهة أخرى، ساهم النظام الجزائري في عهد الشاذلي بن جديد في ظهور الحركات الإسلامية في المشهد السياسي الجزائري، وذلك من خلال دعمهم ضد التيارات الماركسية الاشتراكية القوية آنذاك، بالإضافة إلى الأزمة الاقتصادية التي عرفتتها الجزائر سنة 1986 فاقمت من الأزمة الاجتماعية، لتجعل الشباب يلتجئ للحركات الإسلامية التي رفعت شعا "الإسلام هو الحل" من أجل رفع الظلم والغبن، وتطور الوضع بشكل كبير، نتج عنه اكتساح "الجبهة الإسلامية للإنقاذ" للانتخابات البرلمانية سنة 1991.⁴

هذا الأمر لم يقبله الجيش الجزائري، وأعلن انقلاب على الجبهة، هذه الأخيرة لم تتقبل الأمر ورفعت السلاح في وجه المؤسسة العسكرية، كل هذا الأمر أدى بالبلاد إلى حرب أهلية دامت عشر سنوات، والمعروفة بالعشرية السوداء، وانتهت بفوز النظام نظرا لخبرته وقوته، وتم عقد المصالحة الوطنية آنذاك التي أنهت الحرب الأهلية وأعدت الأمن والسلم في الجزائر.⁵

وضعف الإسلام السياسي بعد ذلك في الجزائر، وانفض الجميع من حوله إلى أن بدأ يتلاشى، بحيث ظهر أنه مشروع هش وفاشل، وأدى بالبلاد إلى التهلكة، كل هذه العوامل أضعفت الإسلاميين بالجزائر، وجعلت نظام بوتفليقة يحتوي من بقي منهم بعد ذلك، بحيث أنه حسب مراقبين قام ب:"إقصاء المتطرفين، وتقريب المعتدلين من السلطة ووزع عليهم المناصب، وورط الكثير منهم في الفساد".⁶

ونجحت الحكومة الجزائرية بتحديد كل المتطرفين من التيارات الإسلامية المتواجدة بالجزائر من خلال سياسات مختلفة مزجت بين النعومة تارة والقوة تارة أخرى، بحيث قامت بإعادة إدماج مختلف العائدين من الجهاد في أفغانستان داخل المجتمع، وإشراكهم في مناحي الحياة.⁷ كل هذه الإجراءات أدت إلى النقص من النشاط الإرهابي باسم الإسلام، والحد من انتشار المتطرفين، إلا أن هذا الفكر وأصحابه لم يندثروا تماما لعدة عوامل، بحيث أن تنظيم القاعدة بالمغرب الإسلامي لا يزال متواجدا في المنطقة، ويقوم بتنفيذ عمليات إرهابية

بين تارة وأخرى.⁸

بين السياسي في السودان والجزائر لهما تاريخ في الممارسة السياسية بالبلدين وبالتواجد داخل المجتمعين، أي أنهما مساران للتطورات الأخيرة التي تشهدها المنطقة العربية وللموجة الثانية من الثورات العربية التي تعرفهما السودان والجزائر، بل وأنهم مشاركون فيها ولعبوا من خلالها دورا في عملية الانتقال الديمقراطي الذي لا زالت في طريقها في كلا هذين البلدين.

2 - دور التيارات الإسلامية في الثورات السودانية والجزائرية وفي مسلسل الانتقال الديمقراطي بها.

بالرغم من تاريخ التيارات الإسلامية والإسلام السياسي في كل من السودان والجزائر الذي لا يحظى بقبول داخل الشعبين، فالأول محسوب على النظام حيث أن عمر البشير كان دائم يحاول إضفاء الصبغة الدينية علة حكمه وتقريب كل الإسلاميين الذين يتفقون مع وجهات نظره، والثاني كان شبه منبوذ باعتبار أن الإسلام السياسي سبب الحرب الأهلية والعشرية السوداء التي أودت بحياة الكثيرين وأدخلت البلاد في نفق مظلم. لكن رغم كل هذا فلا زالت بعض التيارات الإسلامية حاضرة داخل أوساط المجتمع، خاصة في الهوامش، وتستمد قوتها من طبيعة الشعبين المتدينين ومن الوقوف إلى جانب كل مظلوم، وقد تأكد



دراسة : دور الحركات الاجتماعية الديمقراطية في الانتقال الديمقراطي بالبلدان العربية

هذا الأمر عند مشاركتهم في المظاهرات موافقه.⁹ لكن بشكل عام فالإسلاميون، في السودان كانوا من المرفوضين من طرف الشعب، وتجسد ذلك في مطالب المحتجين باعتبارهم جزء من النظام الذي اعتمد في حكمه السلطوي على التحالف معهم بالإضافة لقوات الأمن والجيش لتشكيل طبقة حاكمة، ولذا كان المتظاهرون يرفعون شعارات تطالب بإسقاطهم من قبيل "يسقط الكيزان"¹¹، وتجدد هذا الرفض أثناء مفاوضات تحالف "الحرية والتغيير" في السودان، بالرغم من أن حركة الإخوان المسلمين كانت جزء من النظام، إلا أنها شاركت في الاحتجاجات التي أطاحت بعمر البشير خاصة التيار المناوئ لحسن الترابي، ولا زالت تشارك إلى اليوم، بالرغم من أنها ليس طرفا من "إعلان الحرية والتغيير" إلا أنها تدعم قراراته وتبني مواقف قريبة من

الهوامش

- 3 - محمود جمال عبد العال، "مستقبل التيارات الإسلامية في السودان في مرحلة ما بعد البشير"، منشورات المركز العربي للبحوث والدراسات، منشور بموقع المركز بتاريخ: 21/04/2019، تمت الزيارة بتاريخ: 24/07/2019 على الساعة 13:35، <http://www.acrseg.org/41182>
- 4 - ولهي حمه، "مآلات الحركة الإسلامية بعد نهاية الإسلام السياسي: التجربة الجزائرية أمودجا"، مقال منشور بموقع مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث بتاريخ: 26/05/2017، تمت الزيارة بتاريخ: 25/07/2019 على الساعة 14:01، <https://www.mominoun.com/articles/%D9%85%D8%A2%D9%84%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%83%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D9%86%D9%87%D8%A7%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AC%D8%B1%D8%A8%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%A3%D9%86%D9%85%D9%88%D8%B0%D8%AC%D8%A7-5102>
- 5 - نفس المرجع السابق.
- 6 - إسلام عبد الحي، "الإسلاميون والعسكر والفساد.. نقاط التلاقي والاختلاف بين حراك الجزائر والربيع العربي"، مقال منشور بموقع الجزيرة الإخبارية (بتاريخ: 22/03/2019، تمت الزيارة، يوم: 25/07/2019 على الساعة 14:18)، <https://www.aljazeera.net/news/politics/2019/3/22/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A-%D8%AD%D8%B1%D8%A7%D9%83-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1>
- 7 - داليا غانم، الماداميك المتقلبة للإسلام السياسي في الجزائر، دراسة منشورة بموقع كارنيجي للشرق الأوسط (بتاريخ: 22/07/2019، تمت الزيارة يوم: 25/07/2019 على الساعة 20:37)، <https://carnegie-mec.org/2019/07/22/ar-pub-79541>
- 8 - Radio France International (RFI), "Algérie: dix ans après la charte, où en est la réconciliation? " [Algeria: Ten Years After The Charter, Where Does The Reconciliation Stand?], RFI, September 29, 2015, <http://www.rfi.fr/afrique/20150929-dix-ans-charte-reconciliation-algerie-disparus-paix-victimes>
- 9 - محمود هدهود، مرجع سابق.
- 10 - حسام بدوي، هل يحل المجلس العسكري في السودان مؤسسات النظام السابق؟، إندبندنت عربية، (منشور بتاريخ: 17/4/2019، تمت الزيارة يوم 25/07/2019 على الساعة 22:00)، <http://bit.do/ePVMd>
- 11 - يطلق هذا المصطلح على الإسلاميين ويطلق عليهم أيضا "الكوز"، ويطلق عليهم في السودان تهكما نسبة لمقولة الترابي أثناء تحالفه مع عمر البشير عندما قال: "الدين بحر ونحن كيزانه".





عندما دعوا لإلغاء العمل بدستور 2005 وطلب إعادة الهيكلة واستبعاد الأفكار الإسلامية.¹²

وبالتالي، فالتيارات الإسلامية والإسلام السياسي، تساهم في الحراك السوداني بشكل غير مباشر، فهو من جهة يشارك عن طريق منتسبيه في الاحتجاجات، ومن جهة أخرى، حاضر ويؤثر في المجلس العسكري، ولعل عدد من القرارات التي يقوم بها هذا المجلس والتي يفاوض عليها دليل على ذلك.

من جانب آخر، يعيش الإسلام السياسي في الجزائر حالة مشابهة لما قبل الثورة المصرية، بحيث أن الأحزاب والحركات الإسلامية كانت ضعيفة وهامشية، ومُتحكم بها من طرف النظام، كما أنها كانت براغماتية وتبحث عن مصالح لفائدتها، بالإضافة أنها كانت تعاني من خلافات وصراعات فيما بينها جعلتها تفقد مصداقيتها وحضورها في المجتمع الجزائري.¹³

وجاءت احتجاجات 2019، لتشكل فرصة للإسلاميين من أجل كسب ثقة الشعب، لكنهم لم يكونوا في الموعد، بحيث أنهم كانوا حذرين بشكل انتهازي، ولم يخطرطوا في الحراك إلا بعد أن أثبت قوته، وخرجوا في المظاهرات رافعين شعار أن المصلحة العامة فوق المصالح الخاصة للأحزاب السياسية الإسلامية، ولم يسلم قادة الإسلام السياسي في الجزائر من الانتقاد عند نزولهم مع الشعب مثل مقري وجاب الله وسلطاني، وتم وصفهم بأزلام نظام بوتفليقة وبأتباعه وعملائه.¹⁴

إذن فحركات الإسلام السياسي في الجزائر والسودان ليسوا بمنأى عما يعرفه البلدان من ثورات ضد أنظمتها، بل ويساهموا فيه كل من موقعه وحسب قدرته وزاوية تمركه في هذين الحراكين، لكن تبقى هذه المساهمة ضعيفة وليست ذا أهمية كبرى، لكون كِلا الشعبين لا يثقون في الإسلام السياسي، وهذا الأخير لا يتوفر على أي قوة شعبية تمكنه من الخروج إلى العلن والدفاع عن مصالحه خلال الاحتجاجات بكل من السودان والجزائر.

3 - مستقبل الإسلام السياسي بهذين البلدين

تحاول التيارات الإسلامية بالسودان التهرب من أية علاقة بنظام البشير، والسعي لتحميله وحده للمسؤولية الكاملة، لكن قوى الحرية والتغيير تعتبرهم جزء من النظام وداعما رئيسيا لعمر البشير عندما كان على رأس السلطة، ومشاركتهم في الحكومة وكافة الأنشطة الرسمية دليل على ذلك.¹⁶

وتسير كافة الاتجاهات والآراء القادمة من المجتمع السوداني إلى انعدام قيام التيارات الإسلامية بأي دور رئيسي خلال المرحلة الحالية، وأن حضورهم في السياسة سيشهد تراجعاً كبيراً، لكن في نفس الوقت، لن يندثر الإسلام السياسي من البلاد، وسيكون منالاستحالة اختفائهم عن الحقل السياسي باعتبار أنهم طوال الثلاث عقود من الزمن وهم حاضرون في السلطة، ما جعلهم يتغلغلوا في مختلف أجهزة ومفاصل مؤسسات

الدولة.¹⁷

ويعرف الحقل السياسي السوداني حالة من الضعف والتفكك على مستوى الأحزاب السياسية، التقليدية والحديثة، ما يجعل تحديات المرحلة الانتقالية مرتبطة بالتفاهم بين المجلس العسكري والقوى المدنية، ومدى تجاوز الصراع الإسلامي-العلماني الذي كرسه الفترات السابقة للحكم، من أجل تفادي أخطاء عمر البشير وإقصاء أطراف فاعلة من المشاركة في المرحلة الانتقالية لعملية الانتقال الديمقراطي الذي تشهد دولة السودان.¹⁸

في المجمل، يبدو مستقبل التيارات الإسلامية في السودان مستمر في التواجد والحضور في الساحة السياسية، بحيث أن هذه التيارات لا يمكن أن تحسبها على جهة دون أخرى، فشارك بعضها بشكل فعلي في السلطة، وكان آخرون يدعمون النظام دون المشاركة معه مثل حزب المؤتمر، وهناك طرف ثالث انشق عن النظام واصطف إلى جانب المعارضة مثل حزب المؤتمر الشعبي الذي أسسه حسن الترابي، وكذا حركة الإصلاح، وهذه التيارات كلها تراقب تسلسل الأحداث وتحاول إيجاد موطئ قدم لها من باقي القوى التي تحاول إقصاءها.

أما فيما يخص الجزائر، فالوضع مغاير إلى حد ما، باعتبار الإسلام السياسي أمر مرفوض بدرجة أولى من الشعب، وبدرجة ثانية من المؤسسة العسكرية، وهذين أقوى فاعلين في هذه المرحلة داخل الجزائر، وهذا الرفض راجع إلى ذكريات أليمة عاشتها البلاد مؤسسات



دراسة : دور الحركات الاجتماعية الديمقراطية في الانتقال الديمقراطي بالبلدان العربية

المؤسسة العسكرية، دليل على ذلك، ويبقى ظهورهم للعلن داخل الحركات الاحتجاجية محتشم وغير ذي فعالية، كمحاولة لمسيرة الفترة الانتقالية والمساهمة في الثورة التي تعرفها الجزائر. لكن، تبقى هذه التيارات الإسلامية، ملزمة بإحداث تغييرات جذرية من أجل إعادة كسب ثقة المجتمع الجزائري، بتجديد الخطاب وتحديثه بشكل يطرح حلول للمشاكل اليومية، وفي حالة استمرارها على نهجها القديم، فهذا سيؤكد ما قاله أحد السياسيين الجزائريين وهو رئيس حزب الحركة الشعبية الجزائرية عندما صرح أن نتائج الانتخابات الأخيرة هي بمثابة "إعلان لبداية نهاية الإسلام السياسي في الجزائر" ²¹.

الحل".¹⁹ وبالتالي فمستقبل تيارات الإسلام السياسي بالجزائر لا يزال هو الآخر مستمر، لكنه أصبح مطالباً بإعادة مراجعة لأفكاره وسياساته وشعاراته لصالح المواطن الجزائري ومشاكله الاجتماعية والاقتصادية في ظل النزيف المستمر الذي يعرفه، والذي أكدته آخر انتخابات عرفتها الجزائر قبل الحراك والتي أظهرت عزوف وانقطاع كبيرين للمنخرطين بالأحزاب الإسلامية.²⁰ ويتحاشى مؤيدي الإسلام السياسي في الجزائر مواجهة النظام مباشرة، ولعل صمتهم خلال بداية الحراك، وتأبيدهم للحل الدستوري الذي تطرحه

وشعباً خلال العشرية السوداء، والتي كان سببها الرئيسي الحزب الإسلامي الذي رفض الخضوع لانقلاب الجيش وحمل السلاح في وجهه ما أدى إلى حرب أهلية أنهكت الدولة.

لكن هذا لا يجعل الإسلام السياسي ميتاً في الجزائر، فهو يشغل عن طريق الحركات الدعوية، التي تعتمد على ملاحظات سياسية خلال خطاباتها الدعوية والإرشادية، ما يجعل توجهه وتتحكم بملايين من الجزائريين من خلال تلك الأنشطة، بشكل تتجنب فيه الصدام مع النظام ومؤسساته، وتؤسس في نفس الوقت لبيئة حاضنة لفكر الإسلام السياسي والتشعب بشعار "الإسلام هو

الهوامش

- 12 - خيري عمر، السودان وإمكانية الخروج من الحالة الانتقالية، دراسة منشورة على موقع مركز دراسات الشرق الأوسط (21/05/2019)، تمت الزيارة يوم: 25/07/2019، على الساعة 22:19، <https://www.orsam.org.tr/ar/--29>
- 13 - وليد زايد، الجزائر: أزمة ما بعد بوتفليقة، الانتقال السياسي بقيادة الجنرالات، منشورات المركز العربي لتقدم السياسات، (20/08/2018)، تمت الزيارة يوم: 26/07/2019 على الساعة 13:13، <https://www.arabprogress.org/2018/08/20/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1-%D8%A3%D8%B2%D9%85%D8%A9-%D9%85%D8%A7-%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A8%D9%88%D8%AA%D9%81%D9%84-%D9%8A%D9%82%D8%A9%D8%8C-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%AA%D9%82%D8%A7>
- 14 - داليا غانم، مرجع سابق.
- 15 - وليد زايد مرجع سابق.
- 16 - محمود جمال عبد العال، مرجع سابق.
- 17 - المعارضة السودانية توحد الصف والاسلاميون أقل تأثيراً، فرانس 24 (16/04/2019)، تمت الزيارة يوم: 26/07/2019 على الساعة 16:39، <http://bit.do/ePVLW>
- 18 - خيري عمر، مرجع سابق.
- 19 - داليا غانم، مرجع سابق.
- 20 - أحمد مرواني، مستقبل الأحزاب الإسلامية في الجزائر، منشورات مركز واشنطن لسياسة الشرق الأدنى (10/04/2018)، تمت الزيارة يوم: 26/07/2019 على الساعة 21:22، <https://www.washingtoninstitute.org/ar/fikraforum/view/the-future-of-islamist-parties-in-algeria>
- 21 - نفس المرجع السابق.



وشكلا وقد أثبت عدم فعاليته عندما تمكن من الوصول للسلطة خلال الموجة الأولى من الثورات العربية سنة 2011، بحيث أن الحراك العربي آنذاك جلب معه مجتمعا مدنيا مستقلا لا يؤمن بتجزئ الحقوق والحريات ولا يقبل بالضحية بحق مقابل آخر، وهذا يناقض ما يدعو له الإسلام السياسي.

وبالتالي فنحن أمام حقبة جديدة، ليست بالضرورة ما بعد إسلامية، لكنها على الأقل متجاوزة للأفكار التقليدية للإسلام السياسي، والتي تحتم عليه في المستقبل مراجعة جذرية لأفكاره وآلياته وسياساته، باعتبار أن التيارات الإسلامية والإسلام السياسي لن ولم يموتوا داخل المجتمعات العربية وداخل السودان والجزائر كحالتين للدراسة، بل هو حي يرزق داخل مجتمعيهما، وسيبقى جزء من حياتهم العامة وسمة بارزة في ممارستهم اليومية. ■

قاداتها ومرشديها.

خاتمة:

بعد دراسة دور الإسلام السياسي في الموجة الثانية من الثورات العربية، التي تعرفها كل من السودان والجزائر، والتي خلصنا فيها إلى أن تيارات الإسلام السياسي هي مرفوضة تماما من طرف القوى المشكلة للحراكين معا، بالرغم من حضورها ومشاركتها إلا انها غير فاعلا تماما، ولعلها لم تستفد من أخطاء سابقها خاصة في مصر وليبيا، كما لم تتعلم من تجربتي تونس والمغرب اللتين اختارتا التوافق والاستمرار في العمل السياسي بدل الانتحار السياسي.

كل هذا يقودنا إلى استحضار نظرية "الما بعد الإسلامية"، والتي أصبحت مطروحة بقوة، بحيث أثبتت هذه النظرية من خلال التحليل على عدم قدرة الإسلام السياسي بأن يتحرر مضمونا

وتشير كل المؤشرات في المرحلة المقبلة بالجزائر إلى ترجيح رسم السياسات العامة للبلاد من طرف من يدعمهم الجيش، لكن ستبقى التيارات الإسلامية المعتدلة حاضرة في الساحة كأطراف سياسية فاعلة في مستوى معين جد ضيق بسبب عدم قبول الرأي العام للإسلام السياسي ويعتبرون حتى المعتدل منه موالي لنظام بوتفليقة. بينما سيتسمر العمل على الجانب الدعوي وتهيئة المناخ للخروج من جديد إلى العلن في الوقت المناسب.²²

وبالتالي فمستقبل الإسلام السياسي بعد الموجة الأولى والثانية في العالم العربي مرتبط بمدى استفادتهم من الأخطاء التي وقعت، ورغبتهم في مسيرة التطورات ومراجعة النظريات المؤسسة لها والتقرب إلى المواطنين ومحاولة إيجاد حلول لمشاكلهم والسعي للمصلحة العامة للبلدان بعيدا عن المصالح الضيقة والخاصة لبعض الجماعات أو لبعض



دراسة : دور الحركات الاجتماعية الديمقراطية في الانتقال الديمقراطي بالبلدان العربية

الهوامش

22 - داليا غانم، مرجع سابق.

المراجع

- عثمان، طارق، "مأساة الإسلام السياسي: قرن من التجارب مع الحداثة"، مجلة القاهرة، (القاهرة: 2015).
- محمود هدهود، "تاريخ الحركة الإسلامية في السودان"، موقع إضاءات.
- محمود جمال عبد العال، "مستقبل التيارات الإسلامية في السودان في مرحلة ما بعد البشير"، منشورات المركز العربي للبحوث والدراسات، منشور بموقع المركز.
- ولهي حمته، "مآلات الحركة الإسلامية بعد نهاية الإسلام السياسي: التجربة الجزائرية أمودجا"، مقال منشور بموقع مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.
- إسلام عبد الحي، "الإسلاميون والعسكر والفساد.. نقاط التلاقي والاختلاف بين حراك الجزائر والربيع العربي"، مقال منشور بموقع الجزيرة الإخبارية.
- داليا غانم، الماداميك المتقلبة للإسلام السياسي في الجزائر، دراسة منشورة بموقع كارنيجي للشرق الأوسط.
- حسام بدوي، هل يحل المجلس العسكري في السودان مؤسسات النظام السابق؟، إندبندنت عربية.
- خيرى عمر، السودان وإمكانية الخروج من الحالة الانتقالية، دراسة منشورة على موقع مركز دراسات الشرق الأوسط.
- وليد زايد، الجزائر: أزمة ما بعد بوتفليقة، الانتقال السياسي بقيادة الجزائر، منشورات المركز العربي لتقدم السياسات.
- المعارضة السودانية توحد الصف والاسلاميون أقل تأثيرا، فرانس 24.
- أحمد مرواني، مستقبل الأحزاب الإسلامية في الجزائر، منشورات مركز واشنطن لسياسة الشرق الأدنى.

- Radio France International (RFI), "Algérie : dix ans après la charte, où en est la réconciliation ?" [Algeria: Ten Years After the Charter, Where Does the Reconciliation Stand?], RFI, September 29, 2015.

نصوص وإبداعات

قصيدة

لا نصدقك !

الشاعر محمد الشاوي

لا تتخدع بدموع
فالتماسيح امام ضحاياها ،
بدموعها؟
تبدو للألم (تجاهد)!!!
قل ماشئت، افعل ما شئت
انت حر!
حريتك ..الاهك انت له عابد؟
حريتي.كياني وجودي...
خطاب جامد!
دماؤك حمراء زكية ،تجري في
عروق جنس سائد!!
دمائي خضراء تجري
في عروق "نوع" بائد!
يجث كما يجث من الارض العشب
زائد!
لابأس؟ فلتسفك بدم بارد!
لن نصدقك فماضيك
خير شاهد!!!

لا نصدقك !
فتاريخك خير شاهد...
كنت دائما في الحق تعاند!
من جبروتك كنا، ولا زلنا..
نكابد!
قضينا احقبا لغيك
نجاهد
لا أصدقك !
فتاريخك خير شاهد
استعبدتنا،والحرية اله
انت له عاكف ، عابد!
لا نصدقك !
فالتاريخ شاهد!
انتهكت حرماننا ،وكنت دائما
للطاغوت تساند!
لا نصدقك
فتاريخك شاهد!
لمن يسبح في برك الوهم
افق من غفوتك!

نصوص وإبداعات

قصيدة

تمائم الهجرة

الشاعر عبد الله العثماني

ويتم القتل باسم الآلهة
هكذا تكلم.... وهكذا تكلم...
أنبياء وأتباع وكتب
وتتشعب السبل
ويته الإنسان بين ركام الغموض
أسئلة تناسلت وتتناسل
تزدحم في الرؤوس وتبقى الأجوبة مؤجلة
ويبقى الأمل

أسفار وكتب محنطة
كتبت بحبر الأحبار ومداد الأشرار
نروي قصصها مجترة أساطير الآلهة
هذا ديننا، هذه مدينتنا
وتبدأ مسيرة الكهنة في إنشاء المذبح والهيكل
ويبدأ المكان المقدس في إطلاق العنان لأدعية
والتلاوات...
والأبخرة تعطر المكان
ويسكن الجمع سكون الأموات
هكذا قال الإله، وبهذا يأمركم
هل يخضع الإنسان للإله؟
أم يخضع للكاهن وخدام المعبد؟
قبل صكوك الغفران، امتلأت جيوب الكهنة
تسلط الخوف على الرقاب
ينشد الخلود بين أسئلة تائهة
يبحث عنها بالتقرب والتضحية
ينزل الإله من على عرشه
يقسم إرثه على ابنائه الآلهة
تكثر المعبودات ويكثر العبيد

قراءات

جيجك يكشف معانيه العميقة ومفارقاته وفوضاه في كتاب جديد: "وباء كورونا.. هل يرج العالم فعلا؟"

قراءة: محمد جليد

الكاتب في عدد من الصحف منذ بداية جائحة كورونا، وبعضها لا يتجاوز 900 كلمة. كما يضم الكتاب مقدمة وخاتمة. وجاءت عناوين هذه المقالات على النحو الآتي: "نحن الآن جميعا في المركب ذاته"، "لماذا نحن متعبون دائما؟"، "نحو عاصفة كاملة في أوروبا"، "مرحبا بالصحراء الفيروسية"، "المراحل الخمسة للجوائح"، "فيروس الأيديولوجيا"، "اهدأ وافزع"، "رقابة وعقاب نعم رجاء!"، "هل قدرنا البربرية بوجه إنساني؟"، "الشيوعية أو البربرية: هكذا ببساطة!"، "موعد في سامراء"، وهذا الفصل أضافه جيجك بعد أيام من صدور الكتاب.

يدعو سلافوي جيجك القارئ إلى التساؤل: ما الخطأ في نظامنا حتى أخذتنا الكارثة على حين غرة على الرغم من أن العلماء ما فتئوا يحذروننا منها منذ سنوات؟ إذ يرى جيجك أن الجائحة ما كانت لتحدث لولا غياب حرية التعبير في الصين وحقوق الإنسان، وهذا ما

الجديد"، وهو مثقف راديكالي. وكما يبين عنوان أحد كتبه الجديدة، وهو بعنوان "العيش في الأزمان الأخيرة"، فإن اهتمامه الفلسفي هو الشعور واسع الانتشار بكارثة عالمية وشيكة وأسبابها الأيديولوجية الكامنة. وهذا ما جعله يركز في أعماله على الأزمة السياسية والاقتصادية والبيئية العالمية القائمة.

وقد صدر كتاب "جائحة كوفيد-19- ترج العالم" عن دار النشر "أور بوكس"، وهي دار يسارية تنشر كتابا أو كتابين في الشهر، ومعاييرها التحريرية صارمة. وقد وصفتها مجلة "دايزد" بأنها رد فعل جذري ومثير على الهيمنة الأمازونية (نسبة إلى شركة أمازون). وقد تنازل جيجك عن حقوق ملكية كتابه، وخصص عائداته لمنظمة "أطباء بلا حدود".

يقع الكتاب في 146 صفحة من القطع الصغير، موزع إلى 11 مقالا، لأن الكتاب تجميع لمقالات صحافية نشرها

يكشف سلافوي جيجك، الناقد الثقافي والفيلسوف السلوفيني، في كتابه الجديد "جائحة كوفيد-19- ترج العالم"، المعاني العميقة لجائحة كورونا التي تجتاح العالم، وتأمل في مفارقاتها المحيرة وتكهن بعواقبها. ويشر جيجك بشيوعية جديدة، تختلف عن الشيوعية بمفهومها التقليدي وتلك التي تتبناها الصين، للخروج من الأزمة وتفادي الانحدار إلى بربرية عالمية. ويحاجج جيجك بأن بعض الإجراءات التي اتخذت في بريطانيا والولايات المتحدة، وما تدعو إليه منظمة الصحة العالمية، تؤيد دعواه التي جعلته هدفا للنقد والسخرية من اليمين واليسار.

سلافوي جيجك واحد من أكثر الفلاسفة إنتاجا وشهرة في العالم اليوم؛ وصفته مجلة المحافظين الجدد الأمريكية "ذا نيو ريبليك" بأنه "أخطر فيلسوف في الغرب"، والصحيفة البريطانية "ذا أوبزرفر" بـ"النجم المخلص لليساار



وقد وصفتها مجلة "دايزد" بأنها رد فعل جذري ومثير على الهيمنة الأمازونية (نسبة إلى شركة أمازون). وقد تنازل جيجك عن حقوق ملكية كتابه، وخصص عائداته لمنظمة "أطباء بلا حدود".

يقع الكتاب في 146 صفحة من القطع الصغير، موزع إلى 11 مقالا، لأن الكتاب تجميع لمقالات صحافية نشرها الكاتب في عدد من الصحف منذ بداية جائحة كورونا، وبعضها لا يتجاوز 900 كلمة. كما يضم الكتاب مقدمة وخاتمة. وجاءت عناوين هذه المقالات على النحو الآتي: "نحن الآن جميعا في المركب ذاته"، "لماذا نحن متعبون دائما؟"، "نحو عاصفة كاملة في أوروبا"، "مرحبا بالصحراء الفيروسية"، "المراحل الخمسة للجوائح"، "فيروس الأيديولوجيا"، "اهدأ وافزع"،

وصفته مجلة المحافظين الجدد الأمريكية "ذا نيو ريبلك" بأنه "أخطر فيلسوف في الغرب"، والصحيفة البريطانية "ذا أوبزرفر" بـ"النجم المخلص لليسر الجديد"، وهو مثقف راديكالي. وكما يبين عنوان أحد كتبه الجديدة، وهو بعنوان "العيش في الأزمان الأخيرة"، فإن اهتمامه الفلسفي هو الشعور واسع الانتشار بكارثة عالمية وشيكة وأسبابها الأيديولوجية الكامنة. وهذا ما جعله يركز في أعماله على الأزمة السياسية والاقتصادية والبيئية العالمية القائمة.

وقد صدر كتاب "جائحة كوفيد-19- ترج العالم" عن دار النشر "أور بوكس"، وهي دار يسارية تنشر كتابا أو كتابين في الشهر، ومعاييرها التحريرية صارمة.

يكشف سلافوي جيجك، الناقد الثقافي والفيلسوف السلوفيني، في كتابه الجديد "جائحة كوفيد-19- ترج العالم"، المعاني العميقة لجائحة كورونا التي تجتاح العالم، وتأمل في مفارقاتها المحيرة وتكهن بعواقبها. ويبشر جيجك بشيوعية جديدة، تختلف عن الشيوعية بمفهومها التقليدي وتلك التي تتبناها الصين، للخروج من الأزمة وتفادي الانحدار إلى بربرية عالمية. ويحاجج جيجك بأن بعض الإجراءات التي اتخذت في بريطانيا والولايات المتحدة، وما تدعو إليه منظمة الصحة العالمية، تؤيد دعواه التي جعلته هدفا للنقد والسخرية من اليمين واليسار.

سلافوي جيجك واحد من أكثر الفلاسفة إنتاجا وشهرة في العالم اليوم؛



القارة راكدة بالفعل، وهي أيضا أكثر اعتمادا من مناطق العالم الأخرى على الواردات والصادرات. أما العاصفة الثالثة في نظر جيجك، فيمكن تسميتها "فيروس بوتوغان" (بوتين/ أردوغان)؛ ذلك أن الانفجار الجديد للعنف في سوريا بين تركيا ونظام الأسد (المدعوم مباشرة من روسيا) جعل بوتين وأردوغان يستغلان معاناة الملايين من النازحين لمكاسبهم السياسية الخاصة. ■

والجوع. إن الإجراءات التي تبدو لمعظمنا اليوم أنها "شيوعية" يتعين النظر فيها على مستوى عالمي: يجب أن يكون تنسيق الإنتاج والتوزيع خارج إحدائيات السوق. ويعتقد جيجك أنه حان الوقت لإسقاط شعار "أمريكا (أو أيا يكن) أولا". وكما قال مارتن لوثر كينغ منذ أكثر من نصف قرن: "ربما نكون قد وصلنا جميعا على متن سفن مختلفة، لكننا في القارب نفسه الآن".

وشبه الكاتب مصير أوروبا في ظل تفشي جائحة كورونا بمصير سفينة الصيد الأميركية "أندريا جيل". إذ يرى جيجك أن ثمة علامات تشير إلى أن القارب الذي يسمى أوروبا يقترب أكثر بكثير من الآخرين من مصير أندريا جيل؛ ففوق أوروبا تتجمع ثلاث عواصف وتتدمج قوتها: وباء الفيروس التاجي في تأثيره البدني المباشر (الحجر الصحي والمعاناة والموت) وآثاره الاقتصادية التي ستكون أسوأ في أوروبا من أي مكان آخر؛ لأن

"رقابة وعقاب نعم رجاء!"; "هل قدرنا البربرية بوجه إنساني؟"، "الشيوعية أو البربرية: هكذا ببساطة!"; "موعد في سامراء"، وهذا الفصل أضافه جيجك بعد أيام من صدور الكتاب.

يدعو سلافوي جيجك القارئ إلى التساؤل: ما الخطأ في نظامنا حتى أخذتنا الكارثة على حين غرة على الرغم من أن العلماء ما فتئوا يحذروننا منها منذ سنوات؟ إذ يرى جيجك أن الجائحة ما كانت لتحدث لولا غياب حرية التعبير في الصين وحقوق الإنسان، وهذا ما تؤكدته فيرنا يو، الصحافية المقيمة في هونغ كونغ: "لو كانت الصين تعلي من شأن حرية التعبير، لما وجدت أزمة فيروس كورونا. وسوف تتكرر مثل هذه الأزمات طالما لم تحترم حرية التعبير والحقوق الأساسية للمواطنين الصينيين..."

كما يرى الكاتب أن تطور الوباء في جميع أنحاء العالم، جعلنا ندرك أن آليات السوق لن تكون كافية لمنع الفوضى



إصدارات

باحثون يدرسون آثار جائحة كورونا في كتاب جماعي



صدر عن مؤسسة باحثون للدراسات، الأبحاث، النشر والاستراتيجيات الثقافية، ومركز تكامل للدراسات والأبحاث، كتاب: "جائحة كوفيد 19، وآثارها الاجتماعية والتربوية والنفسية"، وهو مؤلف جماعي، قام بتنسيق مداخلته ودراساته الباحث ربيع أوطال، وقدمه الباحث أحمد شرآك. وقد ساهم في هذا الكتاب باحثون متميزون من مختلف مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية، وهم كالتالي: عياد أبلال، زبيدة أشهبون، محمد حدوي، وديع جعواني، نادية عاتقي، غزلان السليماني، عبد العزيز عبد الصادق، سعيد بنيس، ربيع اوطال، محمد القدام، إدريس بنعبد المالك، جمال والزين، أحمد الكرعاني، منير برقادي، امحمد مهدان، ادريس الدريسي، محمد راضي، المصطفى شكدالي، محمد السعيد الكرعاني، السعدية قجي، ربيع حمو. وتشكلت اللجنة العلمية للكتاب من كل من: عبد الرحيم العلام، أحمد شرآك، عياد أبلال، سعيد بنيس، حفيظ هروس، زبيدة أشهبون، عبد الهادي الحللوي، عبد الغني الزباني. بخصوص الكتاب، يقول الباحث السوسولوجي أحمد شرآك في تقديمه: "تشترك في مناولة هذا الفيروس كل العلوم الدقيقة والإنسانية والاجتماعية، ولربما لم تجتمع كل هذه العلوم في مناولة فيروس سابق أو حدث سابق إلا حول هذه الجائحة ولعل هذا الملمح يعكسه هذا الكتاب من حضور علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم نفس الطفل، وعلم نفس معرفي.. وعلم السياسة وطب وطب نفسي وبيولوجيا.. تتراوح فيه المناولة (المناولات) ما بين التشخيص وتفكيك المفاهيم وتحليل الخطاب، وخطاب الشهادة العلمية... فضلا عن خطاب معياري في بعض المداخلات..."

شرآك يضع مقدمات حول "كورونا والخطاب"

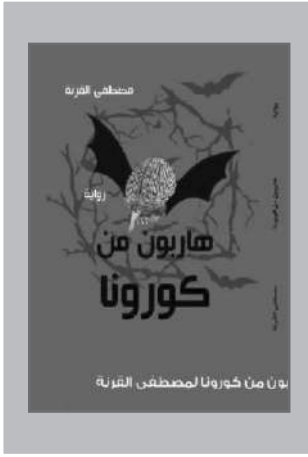


عن مؤسسة مقاربات صدر للباحث والكاتب أحمد شرآك كتاب بعنوان "كورونا والخطاب: مقدمات ويوميات". يزاوج شرآك في هذا العمل بين السؤال السوسولوجي والتأمل الفكري في ارتباط مع الخطاب اليومي من أجل تشخيص عصر كورونا، بل واستشراف المستقبل عبر هذه المقدمات أو المفاتيح لقضايا كبرى وصغرى، قابلة لنقاش علمي أكثر برودة فيما بعد.. وأخيرا يمكن القول، إنهي إلا تأملات، أملاها توالي أيام هذه الإقامة الجبرية.. يوميات تتخذ طابع الشمولية والعموم، بدون تفاصيل لما يضغط به الحدث في الانكتاب. يقع الكتاب في 144 صفحة من القطع المتوسط وقد أتاحتها مؤسسة مقاربات الكترونيا لقرائها في إطار استراتيجيتها لتشجيع القراءة في فترة الحجر الصحي. ونقرأ من المقدمة التي وضعها شرآك لكتابه: "هل هذه الكتابات حول هذه الجائحة كتابات جديدة على مستوى البنى والإواليات بل والمنطق..؟ أم أنها كتابات مرتبطة بحالة الحجر، وقد لا تختلف على سبيل أسباب نزولها تحديدا إلا عن كتابات أحداث تاريخية (إنسانية) مثل حرب الخليج الأولى (1990)، ومثل أحداث 11 ستمبر 2001، وأحداث الربيع عام 2011.. أحداث كبرى يعرفها العالم كل عقد من الزمن، كيف يمكن توصيف ما يكتب وما ينشر سواء على صعيد القول أو صعيد الصورة من رسوم وأيقونات.. أو على الصعيد السمعي من فيديوهات وأوديوهات وأثيريات، أو على الصعيد الرقمي والإلكتروني..."



رواية الهروب من كورونا

مصطفى القرنة



صدرت في الآونة الأخيرة، عن دار الرواية العربية، رواية "هاربون من كورونا" للكاتب الأردني مصطفى القرنة. إذ تتناول الرواية، المساوقة لزمانها، مسار الوباء، عبر التنقل في فضاءات مختلفة، قاسمها المشترك الخوف من هذا الوباء الجديد الذي اجتاح العالم، متطرفة إلى تجارة الحيوانات البرية، وثقافات الشعوب فيما يخص ذلك، وتتبع الأوبئة السابقة وطرق انتقالها من الحيوانات إلى الإنسان، كما توضح عوامل الضعف عند الإنسان. ويمتد زمن الرواية خلال شهور الهجمة التي شنها وباء كورونا، وأصاب مختلف دول العالم.

كورونا من زاوية سوسولوجية

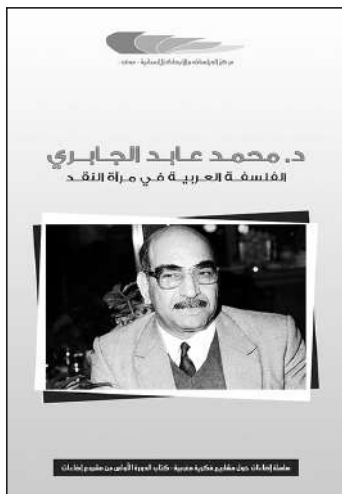
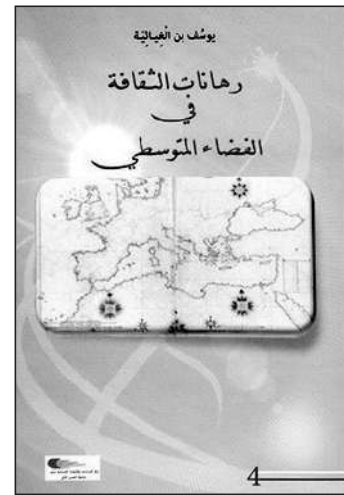
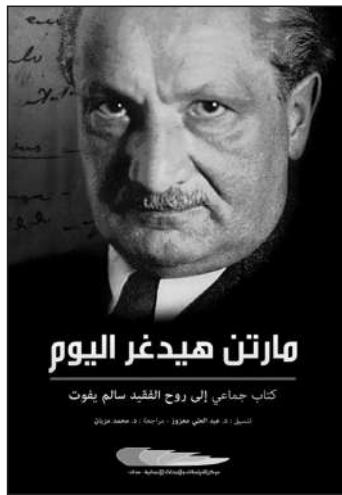
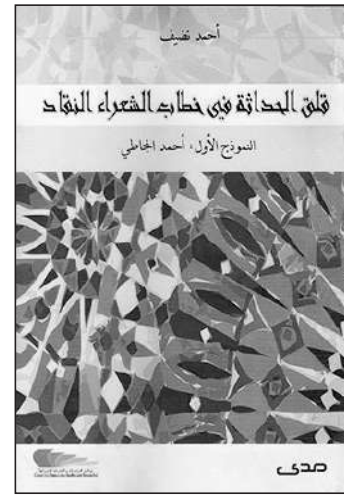
عبد العالي دبله



صدر مؤخرا عن دار النشر الجامعي الجديد، للكاتب عبد العالي دبله، كتاب "سوسولوجيا كوفيد 19.. عندما يفقد العالم توازنه". إذ يقارب فيه الوباء من زاوية سوسولوجية، حيث يتتبع آثاره، وذلك من خلال تحليل سوسولوجي للآثار التي سببها على الفرد والمجتمع. كما يحاول استقراء المستقبل على ضوء المعطيات والأحداث التي صاحبت ظهور الوباء. وي طرح المؤلف تساؤلات حول جدوى العلم، وجدوى الترسانة التي تمتلكها الدول من الأسلحة الفتاكة وأسلحة الدمار الشامل، وماهية الرفاه الاقتصادي، وحق الإنسان في العيش بكرامة.



منشورات مدى



أفر أعداد مجلة رهانات

العدد 47

مجلة فكرية ثقافية فصلية جامعة تصدر عن مركز الدراسات والأبحاث الإنسانية - مدى

العدد 47
2018

مجلة رهانات

حوار العدد
المفكرة سميرة رجب
في حوار شامل لمجلة رهانات
"عمل التدخل الفني على خلق توازن مدني في الشرق الأوسط، بما لا يسمح للعرب، ذوي الأغلبية العددية، التفوق على المستعمر، أو التفوق على إسرائيل، تقديرا لتجارب سابقة"

ملف العدد
ظاهرة الاحتجاجات المحلية
عولمة المحلي أو محللة المعولم

افتتاحية العدد
"لقد عبرت جبهة الجرح أن ميثاقا تطوره أربع منظمات الإصديان وأعطته بشرية جديدة تحت عنوان المحادثة عن "الوطن" وأن قوى خارجية تتدخلت من "المغرب" لزيادة التوتير، كما أن قوى إقليمية مثل تركيا وأوروبا وإسرائيل استهدفت من العنصر تحرير مصطلحا، رغم أنها تحسن الجرائم الجديدة نفسها التي طلب وراء الظاهرة في العنصر العربي"

العدد 46-45

مجلة فكرية ثقافية فصلية جامعة تصدر عن مركز الدراسات والأبحاث الإنسانية - مدى

العدد مزدوج
46-45
2018

مجلة رهانات

حوار العدد
المفكر إدريس هاني
في حوار شامل لمجلة رهانات حول:
فضايا التنوع العرقي في رهن المجتمعات المسلمة
الجدل الدائر حول الإرث ومواطنة المرأة
مواقع وأدوار المثقفين داخل الفضاء الصوملي

ملف العدد
الحريات بين الخاص والعام

افتتاحية العدد
بمضي حالي و 47 سنة من ظهور الإجماع الذي يروج أنه الإجماع السياسي على ما-أدى الدولي، والعقاب الإجماعي داخلها وكذلك من أجل دفع واضطهاد الحركات الاجتماعية والسياسية في العالم الثالث.

مجلة فكرية ثقافية فصلية جامعة تصدر عن مركز الدراسات والأبحاث الإنسانية - مدى

العدد مزدوج
51-50
2020

مجلة رهانات

حوار العدد
الدكتور والخبير محمد الخمسي
في حوار شامل لمجلة رهانات
"التعليم العربي اليوم يعاني من أزمة، بحيث كانت الفئات المستهدفة من حصر معرفة التعليم استغناء أن يكون عامداً قبل أن يتجه إلى التوظيف"

ملف العدد
التعليم بالمغرب.. توالي الإصلاحات وغياب النتائج

افتتاحية العدد
"إسهال واضح مهام العملية التربوية في بناء الهوية الوطنية، وتعزيز الإجماع الاجتماعي وثقافة المواطنة والحسن التقدي، بالإضافة إلى ملامحة طمايين للقرارات التعليمية مع السياق الثقافي والسياسي السائد...."

مجلة فكرية ثقافية فصلية جامعة تصدر عن مركز الدراسات والأبحاث الإنسانية - مدى

العدد مزدوج
49-48
2019

مجلة رهانات

حوار العدد
الفيلسوف المغربي محمد سيلا
في حوار شامل لمجلة رهانات
"فجح في العملية لتلافة التحول التوسمي الذي حدث في الإسلام السياسي، وهو الانتقال من محورية فكرة التهمة إلى محورية فكرة الهوية، وهذا هو الذي دفع بالصومع الهولندي إلى الواجهة"

ملف العدد
التحولات القيمة في المجتمع المغربي

افتتاحية العدد
"لقد أدى انتقال المجتمع المغربي من حضنة الطماح القروي إلى غلبة النمط المدني إلى تمركز الأسرة النووية، وإلى صعود النزعة الفردية ونشأة الروح الاستيعابية، من جهة، وإلى تهاطل الروابط العائلية، وإعطاء تقدير متزايد للتكسب المادي، في مقابل انخفاض منسوب التضامن الاجتماعي..."

العدد 51-50

العدد 49-48